إسرائيل

بين التاريخ .. الحاضر .. المصير

دراسة تاريخية تحليلية



الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

محمد رجب

إسرائيل

بين

التاريخ.. الحاضر.. المصير

[دراسة تاريخية تحليلية]

د/ مصطفى حلمي

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى
٢٠٢٤م

رقم الإيداع القانونى
٢٠٢٤/١٤٨٩٧٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله..

أما بعد:

فقد كان الطابع العام لأوضاع المنطقة العربية قبل يوم ٧ أكتوبر عام ٢٠٠٧م خاضعًا لإستراتيجية الأمن القومي الأمريكي، بحيث تدعم الولايات المتحدة بحزبيها -الجمهوري والديمقراطي- دعمًا دائمًا لإسرائيل والحفاظ على التفوق العسكري لإسرائيل، بينما رئيس وزرائها كان ماضيًا في تنفيذ سياسته بضم أجزاء من الضفة الغربية والتوسّع الاستيطاني ومعارضة حل الدولتين[١].

هذا بينما اتضح من مراقبة التغير الأمريكي الحادث في الداخل نحو القضية الفلسطينية، ظهور التوجّه الذي **قاده المحافظون الإنجيليون الجدد هناك؛ حيث اعتبروا المواقف المؤيدة للحقوق الفلسطينية إنما هي «موضة قديمة» وسياسة مستهلكة وآن الأوان للغة جديدة ومفاهيم عصرية واصطفافات مختلفة و«عدو مختلف»، وإعلان إسباغ حمايتها على إسرائيل!!** [٢].

ثم وقعت الواقعة بطوفان الأقصى، الذي جرف أمامه المياه الآسنة، وتلقت إسرائيل لطمة مفاجئة أذهلتها وأفقدت ساستها الصواب، وبدلًا من مواجهة بطولات شباب المقاومة المذهلة على الأرض، تلك التي ضخّت دماء جديدة -في الصحوة الإسلامية- استأنفت إسرائيل كعادتها هجماتها الوحشية الدموية على غزة الصامدة بشيوخها ونسائها وأطفالها العزل، تؤيدها أساطيل الولايات المتحدة وإنجلترا وفرنسا وإيطاليا!!

---

(١) ص ٤٩/ ص ٢٥ باختصار مجلة الدول العربية، مقال بقلم سامية بيبرس (الأزمات العربية..)، شتاء سنة ٢٠٢٠م.

(٢) عمرو موسى (كتابيه: سنوات الجامعة العربية)، ط دار الشروق ٢٠٢٠م ص ٥٢٥، وأبدى دهشته حيث فوجئ العالم بأن أعلن في أغسطس سنة ٢٠٢٠ الاعتراف والتطبيع بين الإمارات المتحدة وإسرائيل، والخشية من اتباع دول أخرى ذات الأسلوب جراء الضغوط التي تتزايد (ص ٥٢٧)!!

وشتان ما بين كميات الأسلحة الأمريكية وسلاح المقاومة المصنوع محليًا، ولكن بتفوق الروح القتالية المتمثلة (بالجهاد) التي خاضت به الأمة حروبها مع التتار والصليبيين على مدى تاريخها فانتصرت، كذلك جددته (أفغانستان) في العصر الحديث، فكسرت طوال عشرين عامًا أنف الغطرسة الأمريكية؛ حيث وُصف انتصارها بأنه بحق (معجزة القرن)!! وبإذن الله تعالى سيوصف نصر المقاومة بأنه (المعجزة الثانية)، والله أعلم.

واشتعلت حرب (طوفان الأقصى) في التوقيت المناسب تمامًا، أي بعد «الهرولة العربية» في اتجاه التطبيع المجاني مع إسرائيل، والصرخة التي أطلقها الأستاذ عمرو موسى -الأمين العام لجامعة الدول العربية- وهو يقول: (إن الحفاوة التي يستقبل بها المسئولون الإسرائيليون في عديد من الدول العربية تجعلني أقر -بكل أسف- بأن الإسرائيليين قد نجحوا في تحقيق هدفهم الإستراتيجي -أي التطبيع المجاني- دون التنازل عن شبر واحد من الأرض، أو التسليم بحق واحد من حقوق الشعب الفلسطيني، أو تغيير موقفهم من القدس، بل توسعوا عبر بناء المستوطنات والتهام المزيد من الأرض العربية)[1].

ومن الظواهر الشاذة لكل من يراقب سلوك إسرائيل في هذه الحرب، أن الرئيس الأمريكي يقف وراءها بالتأييد الكامل ومدعمًا إياها بالسلاح والمساعدات المالية و(الفيتو) أيضًا، مع التحريض على استمرار إبادة سكان غزة المسالمين من الرجال والنساء والأطفال!!

ويبدو أنه يسلك طريق الرئيس الأسبق (بوش) الذي قدّم سياسته في حرب العراق كحرب صليبية، وجمع الغرب حوله ممثلين في كل حكام الدول الأوروبية الاستعمارية القديمة[2].

بل يتضح من مراجعة سياسة (بوش) أنه كان ينفذ نظرية «صراع الحضارات»، التي طرحها عالم السياسة الأمريكي صموئيل هنتنجتون، وكان يرى أن الحرب الباردة الجديدة ستكون بين الإسلام والغرب. .. وأن المشكلة الأساسية للغرب ليست الأصولية الإسلامية بل الإسلام نفسه!

يقول الأستاذ عمرو موسى: (والمؤسف أن تلك الأفكار جرى قبولها من قبل «المحافظين الجدد» في الولايات المتحدة، الملتفين حول إدارة الرئيس بوش، وتحولت من مجرد رؤية نظرية في

---

(١) عمرو موسى (كتابيه: سنوات الجامعة العربية)، ص ١٤٦ ط دار الشروق سنة ٢٠٢٠م.

(٢) روجيه جارودي (الإرهاب الغربي) جـ١ ص ١٣ ترجمة د/ داليا الطوخي ود/ ناهد عبد الحميد ود/ سامي مندور- مكتبة الشروق الدولية بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.

القرن الواحد والعشرين إلى سياسة عملية تحكم العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة)!![1].

هذا، وربما تعرضت أجيال المسلمين التي لم تعاصر نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ لعملية غسيل مخ بواسطة الإعلام المضلل، وصوّرت إسرائيل بأنها دولة صديقة تربطنا بها معاهدات واتفاقيات. .. إلخ.

أي تزوير تاريخي ومغالطة تمامًا للحقائق لكي تسلّم الأجيال الجديدة بالأمر الواقع ولا تنهض للدفاع عن فلسطين، وهي من ديار الإسلام وبها المسجد الأقصى المبارك بمدينة القدس؛ حيث يقع على عاتق البلاد الإسلامية الدفاع عنه إزاء الانتهاكات التي تهدد بهدم المسجد، وذلك مما دعى (مؤتمر الأزهر العالمي لنصرة القدس المنعقد في يناير سنة ٢٠١٩ إلى تنفيذ مبادرة الأزهر بتصميم مقرر دراسي عن القدس الشريف، يُدرّس في المعاهد الأزهرية وجامعة الأزهر استيفاء لجذور قضية القدس في نفوس النشء والشباب، وترسيخًا لها في ضمائرهم، مع دعوة القائمين على مؤسسات التعليم في الدول العربية والإسلامية وفي سائر بلدان العالم وكافة المنظمات والهيئات الفاعلة، إلى تبني هذه المبادرة) [2].

ولاقتناعي بهذه المبادرة الملحة، وبتوفيق من الله عز وجل وحده، عرضت بكتابي هذا القضية الفلسطينية تاريخيًا ودينيًا وفق المصادر الموثقة؛ لكي يتضح الحق بميزان الشرع ومقياس العدل.

---

(١) عمرو موسى (كتابيه: سنوات الجامعة العربية) ص ٥٠٢ ط دار الشروق سنة ٢٠٢٠م.

تحت عنوان: جبن ونذالة غير مسبوقة في تاريخ التعامل مع النازحين:

كتب نادر أبو الفتوح: أدان الأزهر الشريف بأشد العبارات المجزرة الجديدة التي ارتكبها الكيان الصهيوني المجرم في حق النازحين الفلسطينيين في غزة وأسفرت عن مصرع وإصابة من اختلطت دماؤهم البريئة بالطعام والشراب، في مشهد يبرهن على ضعف المجتمع الدولي وعجزه أمام تجرد كل منسوبي جيش هذا الكيان المحتل من كل معاني الرحمة والإنسانية، وتشبعهم بالوحشية، وتلذذهم بحصد أرواح الفلسطينيين الأبرياء. وأكد الأزهر في بيان أمس أن استهداف النازحين المتعطشين للطعام والشراب بعد تلك المجاعات التي فرضها هذا الكيان المجرم هي وصمة عار على جبين الإنسانية الصامتة تجاه ما يحدث، وجبن ونذالة غير مسبوقة في تاريخ التعامل مع النازحين، وجرائم حرب جديدة تضاف إلى السجل الأسود للصهيونية ومذابحهم الوحشية التي تعف عنها حتى الحيوانات في الأدغال. وطالب الأزهر العالم أجمع بأن يفيق من غيبوبته بتسيير قوافل الإغاثة إلى غزة بشكل عاجل وبكافة الوسائل الممكنة والمتاحة. الأهرام بتاريخ ١/ ٣/ ٢٠٢٤ (إدانة المجزرة الأمريكية).

(٢) كتاب (ملامح تاريخ القدس عبر العصور) ص ١٨٥ إعداد الباحثين بلجنة التاريخ والحضارة بهيئة كبار العلماء. كتاب هدية مجلة الأزهر شهر شعبان سنة ١٤٤٥هـ.

ونسأل الله تعالى أن يسهم هذا الكتاب في تصحيح المفاهيم للأجيال القادمة؛ لكي تؤدي واجبها وتتحمل المسئولية في تحرير أرض فلسطين بكاملها، وفي القلب (القدس) والمسجد الأقصى المبارك.

إن المتدبِّر لآيات القتال بالقرآن الكريم يُدرك أن الغرض هو نصرة الدين والأمثلة كثيرة.. والله تعالى نسأل أن ينفع بهذا الكتاب، وأن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، إنه نعم المولى ونعم النصير، وما توفيقي إلا بالله وحده عز وجل، فله الحمد والشكر.

مصطفى حلمي

الإسكندرية في ٢٩ شعبان سنة ١٤٤٥هـ - ١٠ مارس ٢٠٢٤م.

بسم الله الرحمن الرحيم

حاشية: تحذير ضروري:

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، وبعد:

الهدف الرئيس من الكتاب:

أعود فأقول إنها رواية مأساوية -بمعناها الحقيقي لا المجازي- ولا بد من سردها بواقعيتها وأشخاصها وحروبها للأجيال القادمة؛ حتى تعرف الحقائق وتعمل جاهدة على استرداد الأرض المسروقة -فلسطين- وهي من ديار الإسلام؛ لكي تعود إلى أحضان الأمة الإسلامية كما كانت، وإلا فإن استقرت إسرائيل وتمكّنت وتوسّعت فإن مرحلة ابتلاع الأمة قادم لا محالة!

ولا أغالي أن قلت أن الإحساس بتلك النكبة -أي ضياع فلسطين يكاد يشبه الإحساس الذي عبّر عنه المؤرخ (ابن الأثير) عندما بدأ يؤرّخ للغزو التتاري البربري للبلاد الإسلامية فقال: (لقد بقيت عدة سنين معرضًا عن ذكر هذه الحادثة استعظامًا لها كارهًا لذكرها، فأنا أقدّم إليه رجلًا وأُؤخر أخرى ، فمن الذي يسهل عليه أن يكتب نعي الإسلام والمسلمين؟ ومن الذي يهون عليه ذكر ذلك؟ فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها، وكنت نسيًا منسيًّا.

إلا أنني حثني جماعة من الأصدقاء على تسطيرها، وأنا متوقف، ثم رأيت أن ترك ذلك لا يجدي نفعًا.. إلخ)[١].

وتزامن بدء الكتاب مع المجازر التي ترتكبها إسرائيل في حرب (طوفان الأقصى) منذ ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣م في غزة المجاهدة الصامدة، والتي احتمل أهلها ما لا يحتمله بشر، حتى ضجّت الجماهير بدافع إنساني في بلاد الغرب -أمريكا وأوروبا- لتعلن غضبها، فطالبت بإيقاف الحرب، ولكن هيهات أمام (القاعدة الاستعمارية الصهيونية)!!

ولست وحدي صاحب هذا التصور الداعي للقلق الشديد، فقد سبقني إليه الدكتور جمال حمدان -رحمه الله تعالى- إذ قال بالحرف الواحد: (إن الصهيونية تجمع بين الوثنية من تخريب وبربرية، والتي كان طوفانها المدمّر أكبر خطر تعرّض له العالم الإسلامي في العصور الوسطى!!)[٢].

---

(١) نقلًا عن د/ عماد الدين خليل بكتاب (في التأصيل الإسلامي) ص ١٧٠ ط دار الفرقان – عمان – الأردن ١٩٩٨م.

(٢) د/ جمال حمدان (العالم الإسلامي المعاصر) ص ٢١٣ مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٧م.

وهو بذلك يصف الحقيقة المرّة وبنفس الصفات، قام الصهيونيون في العصر الحديث بغزو ضار يفوق بأضعاف ما عانته الأمة الإسلامية من قبل، والدليل الذي يؤكد ذلك حرب الإبادة بكل ما في العبارة من معنى على أرض الواقع والضحايا التي بلغت الآلاف، وكل يوم في ازدياد أمام نظر العالم المتحضر وسمعه، مع الحصار الشديد، فلا طعام ولا شراب ولا دواء ولا ماء ولا كهرباء والموت جوعًا بدأ يلتهم من بقي من الأحياء، ويصحب ذلك كله التهديد المعلن - بوقاحة فجة- بالإبادة التامة!!

إن هذا الواقع الذي نعيشه منذ ٧ أكتوبر حتى كتابة هذه السطور في مارس سنة ٢٠٢٤ يتضاءل أمامه ما عانته الأمة من الصليبيات والمغوليات!!

ولكن ما يدخل بعض الطمأنينة في نفوسنا الحزينة أم مسار الأحداث -كما يقول الأستاذ أسامة الألفي- حاليًا في صالح المقاومة..

وندعه يحدثنا في مقاله التالي الذي نورده كاملًا حيث يعرض لأسباب الاطمئنان ولو جزئيًا!

طوفان النصر والصمود

أسامة الألفي (الأهرام في ٨ مارس سنة ٢٠٢٤م)

رغم تواصل عملية الإبادة الصهيونية للشعب الفلسطيني على مدى أشهر فإن جيش الاحتلال لم يتمكن من تحقيق أي من أهدافه المعلنة، فقط أثبت جبنه وهشاشة الروح القتالية لجنوده، واستحق بمذابحه أن يطلق عليه وصف أسوأ جيوش العالم، وفي القتال فإن الصمود الأسطوري للمقاومة ومقاتلي غزة لم يفشل فقط مخططات المحتل لتهجير الشعب الفلسطيني وتصفية قضيته وإعادة تشكيل المنطقة وفق مصالحه، لكنه أيضًا وحّد قوى المقاومة وأصّل من تعاون فصائلها وتنسيقها معًا عسكريًا وسياسيًا. وهو ما اتضح من تنوع عملياتها وحسن تنسيقها وعدم انسياقها وراء وعود إدارة بايدن، لعلمها بصهيونية هذه الإدارة وكذب وعودها. أن مسار الأحداث حاليًا في صالح المقاومة، فالاحتجاجات الشعبية عمّت العالم، وقطعت بعض الدول علاقاتها مع الكيان الغاصب، وقبلت محكمة العدل الدولية دعوى جنوب أفريقيا باتهام الصهاينة بارتكاب جرائم إبادة، وكل هذا أحرج الدول الداعمة للاحتلال، فشهد الموقف الأوروبي تراجعًا وتحولًا لصالح القضية، وانخفض تأييد الأمريكيين لإدارة بايدن، ومُنيت حملته الانتخابية بخسائر كبيرة بعدما اعتبره الرأي العام شريكًا في عمليات القتل والإبادة. ثقتي كبيرة

في انتصار المقاومة، فالأمم حين تنشد حريتها لا يصمد أمامها خصم مهما تبلغ قوته، تشهد بذلك هزيمة أمريكا الساحقة في فيتنام وهزيمة القوتين العظميين روسيا وأمريكا في أفغانستان.

ويعزز هذه الثقة ما أعلن عن قرب تأسيس حكومة تكنوقراط لا تنتمي لتيار معين وتضم أطياف المجتمع ورموزه. وهو ما يوحّد الشارع الفلسطيني تحت راية حكومة تؤسس لكيان قوي متماسك. يبقى أن أشير إلى أهمية تغيير الخطاب السياسي العربي. فالحديث يجب أن ينصبّ على إنهاء الاحتلال وليس على حل الدولتين. لأن هناك بالفعل دولة فلسطينية قائمة تعترف بها الأمم المتحدة وكثير من دول العالم، لكنها محتلة بجيش عنصري غاصب حالما يرحل سيعم الاستقرار المنطقة.

وقال الأستاذ فاروق جويدة:

- الخلاصة عندي أننا أمام مؤامرة كبرى تشارك فيها أطراف كثيرة، وأن هدفها الأول هو إقامة إسرائيل الكبرى في قلب العالم العربي من الفرات إلى النيل، وهو مشروع لن تتنازل عنه إسرائيل، ويرى فيه الغرب حائط صد ضد المد الإسلامي الذي يهدد الحضارة الغربية.
- ولا شك في أن حالة الرعب والخوف التي تركتها حرب غزة في كل بيت، والوحشية والهمجية التي استخدمتها إسرائيل في إبادة الشعب الفلسطيني، قد تركت آثارًا سيئة لدى شعوب العالم التي انتفضت تطالب بوضع حد لهذه المأساة.

إلى أين تمضي بنا هذه المأساة؟! عندي يقين أن غزة سوف تضع نهاية المؤامرة. وأن أمريكا سوف تخرج بفضيحة كونية. وأن الشعب الإسرائيلي لن يتحمل ضراوة المواجهة، وبدلًا من أن تحاول إسرائيل تهجير أهل غزة سوف تكون هجرة الشعب الإسرائيلي إلى خارج فلسطين هي الحل، وعلينا أن ننتظر.

- أن الوجه الكاذب الذي حاولت إسرائيل أن تخدع به الشعوب العربية أنها تسعى للسلام، وجاءت بعض الدول العربية تلقي نفسها في أحضان الطاغوت وتقدم التأييد للشعب اليهودي. هذه كذبة كبرى لأن ما حدث في غزة وأساليب الدمار التي استخدمتها إسرائيل بدعم من أمريكا تؤكد أن إسرائيل لا تبحث عن السلام، ولكنها تبحث عن أطماع في الأرض والمصالح، وأن أمريكا ترى فيها الوريث الذي سيحمل الرسالة في التبعية[1].

(١) فاروق جويدة، مقال بعنوان (المؤامرة الكبرى) جريدة الأهرام بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣م.

منها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

أي أن من قاتل في سبيل الله -سواء قُتل أو غلب- له عند الله مثوبة عظيمة وأجر جزيل - كما ثبت في الصحيحين:

(تكفل الله للمجاهدين في سبيله، أن توفاه أن يدخله الجنة، أو يرجعه إلى مسكنه الذي خرج منه نائلًا ما نال من أجر أو غنيمة)(١).

ثم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱلطَّـٰغُوتِ﴾ [النساء: ٧٦] أي: المؤمنون يقاتلون في سبيل طاعة الله ورضوانه، والكافرون يقاتلون في طاعة الشيطان.

ثم هيّج تعالى المؤمنين على قتال أعدائه بقوله: ﴿فَقَـٰتِلُوٓا۟ أَوْلِيَآءَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۖ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَـٰنِ كَانَ ضَعِيفًا ۝٧٦﴾، وفي تفسير قوله تعالى: ﴿فَلْيُقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ﴾ [النساء: ٧٤].

والمعنى يأمر الله المؤمنين أن يتخلصوا من العقبات النفسية والاجتماعية التي تحول بينهم وبين الانطلاق اللامحدود للقتال من أجل نصرة دينهم. فهم قد باعوا أنفسهم لله منذ آمنوا فماذا ينتظرون؟!

إنه الصراع مع الباطل الذي سينتهي بإرساء الحق وإزالة الظلم من أنحاء الأرض كلها.. والمؤمنون لن يجدوا أمامهم إلا أحد طريقين مشرفين: شهادة.. أو غلبة ونصرًا(٢).

ومن أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم: **(إذا تركتم الجهاد سلّط الله عليكم ذلًا لا ينزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم)**. [أخرجه أبو داود].

وقوله صلى الله عليه وسلم: **(لغدوة أو روحة في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها)** [أخرجه البخاري].

---

(١) البخاري ٦/ ١٥٤ (فتح) ومسلم (٢/ ٦٩) وانظر المسند (٥٧/ ٧) (مختصر تفسير القرآن العظيم) جـ١ ص ٤٧٧. المسمى عمد التفسير عن الحافظ ابن كثير، إختصار أحمد محمد شاكر. دار الوفاء بالمنصورة ١٤٥٤هـ -٢٠٠٣م.

حاشية: وفي قوله تعالى (فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ) إشارة خفية إلى أن المؤمن يُقتل. ولكن لا يُغلب (والله تعالى أعلم).

(٢) تفسير المؤمنين، إعداد عبد الودود. يوسف ص ٧١ ط المؤسسة العلمية. دمشق.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤١]، والمعنى: (إن هذه القاعدة الفذّة هي من الحقائق الأساسية في بناء المجتمعات، إنه بمجرد أن يتبنى مجموعة من الناس الإسلام فإنهم لا يمكن أن يهزمهم أحد أو يقضي عليهم، قد يصابون بهزائم محدودة نتيجة انحرافهم عن سنن الله ولكنهم منصورون دائمًا، والنهاية لهم على الكافرين حتمًا) (١)

***

(١) نفسه ص ٨٠.

مدخل الدراسة

أسباب الحرب وصداها:

قامت الحرب بدافع كسر شوكة هذا العدو المتغطرس الذي انتشى بالنصر منذ حرب ٦٧ وعرقل الاقتراحات لقبول الدولتين، بل توسّع في ابتلاع الأراضي الفلسطينية في الضفة ببناء المستوطنات متحديًا قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومعتمدًا على من قاموا بالتطبيع معه بلا مقابل، فظن أن الأمر استتب له، واستمر في الطغيان حتى عرّض المسجد الأقصى للهدم بالحفر تحت جدرانه، وتشجيع الصهاينة باقتحامه وأداء طقوسهم الدينية تحت حراسة الشرطة المشددة ومنع المصلين المسلمين والاعتداء عليهم وإهانتهم رجالًا ونساءً بلا رادع يوقفه عند حده، ووصلت عقليته حدًّا نسى أن هناك رجالًا لديهم الرغبة في الاستشهاد في سبيل الحفاظ على المسجد الأقصى، وأنهم صبروا وتحمّلوا كثيرًا صلفه وغروره وبطشه، ووفق التجارب في الاصطدام معه في معارك عسكرية، اكتشفوا أنه لا رادع له إلا القوة، فاستجابوا لأمر الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

ومنذ الساعات الأولى حقق الله لهم نصرًا - هم أنفسهم لم يتوقعوه- وظلت عناية الله تعالى تحفّهم وتنقلهم من مرحلة إلى أخرى باجتياح السور العازل، وغزو المستوطنين واسترداد المستوطنات، التي هي في الأصل أرض فلسطينية توارثها أصحابها أبًا عن جد!

ونجحت المقاومة في تحقيق صدمة عنيفة للعدو لأول مرة منذ عام ١٩٤٨، فأذهلته وأفقدته صوابه، وبدلًا من الاشتباك مع المقاومة في ميدان القتال وجهًا لوجه كما يحدث في الحروب، غلبت عليه طبيعة الجبن وأخذ يلقي أطنان القنابل على سكان غزة العزّل من رجال ونساء وأطفال، فقتل الآلاف وهدم المنازل والمساجد ولم تسلم أيضًا المستشفيات من خسته ووحشية لا مثيل لها، وهو ما دفع بالدكتور مجدي الجزائري إلى قوله: (إن حرب الإبادة الإجرامية التي

تشنها العصابات الصهيونية على أهل غزة بدعم وتحريض أمريكي وغربي غير محدود. ما يحدث كشف وجوهًا كثيرة وأسقط أقنعة عديدة وباتت شعارات الغرب البراقة عن التعددية والحرية والديمقراطية بلا معنى)(١).

هذا، وعندما أطلقت المقاومة على الحرب اسم (طوفان الأقصى)، فدلالتها الكبرى لأنها رسالة موجهة إلى الدول الإسلامية للقيام بدورها بالدفاع عن المسجد الأقصى، فإنها قضية المسلمين جميعًا لا أهل فلسطين فحسب!!

ومن زاوية النظرة الحضارية الشاملة يقرر الدكتور مجدي الجزائري أن ادعاءات هنتنجتون وبرنارد لويس وسواهما عن اتهام الحضارة الإسلامية بالعنف قد سقطت بعد ما جرى في غزة.. بل أن هذه الآراء تتجاهل عمدًا أن هناك فكرة محورية في الثقافة الغربية وفي الفكر الفلسفي الغربي، وهي فكرة المركزية الأوروبية.. وتوهم الغرب وأمريكا أنهما مركز الحضارة والتقدم، وأن بقية الحضارات والثقافات هامشية يجب أن تلتزم بالنموذج الغربي.. كذلك لا مجال للقول بأن فكرة العنف وليدة الحضارة الإسلامية، بل يمكن القول أن فكرة العنف وليدة الاستعلاء الغربي الذي يتعالى على جميع الشعوب والحضارات ولا يؤمن بالتعددية الحضارية، وبالتالي هناك موقف عدائي واستعلائي غربي من العالم العربي والإسلامي، وهو ما يمكن أن نعتبره عنفًا فكريًا غير مبرر)(٢).

حاشية:

يقظة المثقفين..

يقول الأستاذ أحمد أبو المعاطي:

والتحية موصولة إلى الدكتور أسامة الغزالي حرب يستحقها بالفعل، بعد مقاله الأخير الذي نشرته الأهرام في ١٩ نوفمبر الحالي والذي قدم فيه -بشجاعة تليق بمفكر كبير- اعتذارًا علنيًا ربما لم يقو عليه كثير من المثقفين أو السياسيين المصريين على مدى عقود طويلة، عن مواقفه التي اتخذها كواحد من مثقفي مصر والعالم العربي إزاء الصراع العربي -الإسرائيلي بعد نصف قرن من المعايشة ومئات الدراسات والأبحاث العلمية والمقالات، بل والمقابلات الصحفية والزيارات

---

(١) حوار مع الدكتور مجدي الجزائري أجراه معه د/ محمود الصغير – الأهرام بتاريخ ١٢/ ١/ ٢٤ ٢م

(٢) حوار مع الدكتور مجدي الجزائري أجراه معه د/ محمود القيعي – الأهرام بتاريخ ١٢/ ١/ ٢٤ ٢م

التي ضرب خلالها حرب اتساقًا مع مواقفه الفكرية والسياسية -ضرب عرض الحائط بكل القرارات الصادرة عن الجمعية العمومية لنقابة الصحفيين التي كان هو نفسه أحد أعضاء مجلسها المنتخب خلال الفترة من عام ١٩٩٩ حتى عام ٢٠٠٣، والتي كانت ولا تزال تحظر جميع أشكال التطبيع المهني مع دولة الكيان الصهيوني.

أرسى الدكتور أسامة الغزالي حرب باعتذاره العلني عن حسن ظنه بالإسرائيليين، فضيلة غائبة عن حياتنا السياسية والفكرية والاجتماعية أيضًا، وهي فضيلة الاعتذار عن الخطأ، مهما طال زمن التمادي فيه. ولعل سلسلة مقالاته التي تلت هذا المقال الصريح تصلح دليلًا على طريق مراجعة كثير من الأفكار والمواقف المتصلبة التي تبناها -ولا يزال- فئة من كتّابنا ومثقفينا والتي لا تخلو في كثير من الأحيان من لغة خشنة ورؤى مهترئة، لم تعد تصلح بأي حال، لمواجهة **تلك التغيرات الكبرى التي تعيش المنطقة لحظات ميلادها العصيب، والتي تقول بوضوح أن خرائط السياسة والجغرافيا بعد حرب غزة لن تكون مثل سابقتها، وإن موازين القوى الفاعلة سوف تتشكل من جديد**[١].

رؤية عمرو موسى الشاملة للقضية:

بوصفه أمينًا عامًّا لجامعة الدول العربية من عام ٢٠٠١ إلى عام ٢٠١١، له رؤية شاملة ونافذة للأوضاع الحالية -من حيث استمرار الاحتلال الإسرائيلي للأراضي العربية في فلسطين وسوريا ولبنان منذ عام ١٩٦٧- يقول: (وفي هذا الصدد فإن مراجعة إسرائيل سياستها من استمرار احتلال الأراضي العربية وتعاملها مع موضوع القدس والاستيطان ورفض تقرير المصير الفلسطيني، يصبح أمرًا مهمًّا وموجبًا لحركة عربية تدعم حقوق الفلسطينيين)[٢].

كذلك يحذر من أن الإصرار على فرض تسويه منحازة إلى إسرائيل من شأنه أن يؤكد على استحالة التسوية، ويؤدي عاجلًا أو آجلًا إلى صدام وعنف وإرهاب يطول الجميع، ويبقي الشرق الأوسط على توتره واضطرابه وخطورته التي لن تستثني أحدًا في داخله أو في خارج حدوده[٣].

(١) أحمد أبو المعاطي. مقال بعنوان (تحية للدكتور أسامة الغزالي) الأهرام ٢٤/ ١/ ٢٠٢٣.

(٢) عمرو موسى (كتابيه: سنوات الجامعة العربية) ط دار الشروق سنة ٢٠٢٠م ص ٥٢٥.

(٣) نفسه ص ٥٢٦.

كذلك يبدي دهشته؛ حيث فوجئ العالم بما أعلن في أغسطس ٢٠٢٠ من الاعتراف والتطبيع بين الإمارات المتحدة وإسرائيل، والخشية من اتباع دول عربية أخرى ذات الأسلوب جراء الضغوط التي تتزايد عليها!![1]

وكان الأستاذ عمرو موسى قد أشار في المقدمة إلى تدخل الولايات المتحدة الأمريكية في القضية الفلسطينية؛ حيث عبّر عن التوجه الذي قاده المحافظون الإنجيليون الجدد هناك بقوله إنهم اعتبروا المواقف المؤيدة للحقوق الفلسطينية إنما هي موضة قديمة وسياسة مستهلكه، وآن الأوان للغة جديدة ومفاهيم عصرية واصطفافات مختلفة و«عدو مختلف»[2].

ثم أسبغت الولايابات المتحدة حمايتها على إسرائيل!!

وقد علّل الموقف المتخاذل أو المنحاز لرؤساء أمريكا بأن أي رئيس أمريكي يحاول الاتجاه إيجابيًّا إلى القضية الفلسطينية يجابه بعداء اللوبي الإسرائيلي في الولايات المتحدة!

ومثال ذلك مواقف الرئيس الأسبق بوش هو تدعيم حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها، وكان يؤمن بأن الهجمات المستمرة على المدنيين الإسرائيليين لا يمكن أن يتسامح بها أي قائد ديمقراطي.

وقد علّق الأستاذ عمرو موسى على ذلك بقوله يبدو حاليًّا أن تلك السياسة التي اتبعتها الإدارة الأمريكية شجعت الاحتلال على العمل على تصفية الانتفاضة وصولًا إلى التعاون الأمني بينهما.

وكانت كلمة الأستاذ عمرو موسى أمام مؤتمر القمة العربي في ٢٧/ ٣/ ٢٠٠٢ معبّرة عن الواقع حيث قال إن المؤسسة الإسرائيلية باتت فوق القانون وتحت حماية كاملة تمكّنها من التحرك دون أن تخشى عقوبات دولية، ومن ثم ضربت حصارًا عدوانيًّا على الشعب الفلسطيني، ومنعت الرئيس ياسر عرفات من حضور هذه القمة دون أن تخشى رد فعل أو ردعًا، وأكد أن شعب فلسطين وقف -ولا يزال يقف- وقفة وطنية تاريخية في مقاومة باسلة للاحتلال العسكري الإسرائيلي[3].

(١) نفسه ص ٥٢٧.
(٢) نفسه ص ٢٧.
(٣) نفسه ص ١٤١.

وهو في موضع آخر من كتابه أبدى دهشته من أنه خلال عام ٢٠١٩ كثرت مشاهد الحفاوة التي يُستقبل بها نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلي والمسئولون الإسرائيليون في عديد من الدول العربية؛ مما يجعله يعتقد أنهم نجحوا في التطبيع المجاني دون التنازل عن شبر واحد من الأرض، أو التسليم بحق واحد من حقوق الشعب الفلسطيني، أو تغيير موقفهم من القدس، بل توسعوا عبر بناء المستوطنات والتهام المزيد من الأرض العربية!!

واتخذ في النهاية موقفًا صريحًا وواضحًا بأن هناك فجوة واسعة وصدعًا كبيرًا بين الرؤساء والشعوب فقال: (إن الرأي العام العربي يقف في رأيي موقفًا مغايرًا من هذا الموقف إزاء التطبيع المجاني، وهو ما أراه ضروريًا... وقد أكدت ذلك في تعليقي على الاتفاق الثلاثي (الإمارات - إسرائيل- الولايات المتحدة) الصادر في أغسطس سنة ٢٠٢٠[(١)].

***

(١) نفسه ص ١٤٧.

الباب الأول

معالم منهج الدراسة

(١) بيان موقف القرآن الكريم من اليهود.

(٢) صفاتهم في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم.

(٣) وصف حرب (طوفان الأقصى).

(١) بيان موقف القرآن الكريم من اليهود

قال الأستاذ محمد عبد العزيز -بعد سرده لمختارات من تاريخ اليهود- أخي المسلم في كل مكان وزمان:

بعد أن تعرفت على جوانب عديدة من أخبار اليهود وطبيعة نفوسهم، أعتقد بأنك تريد إجابة شافية لهذا السؤال المطروح:

كيف يحدد المسلم موقفه مع هؤلاء القوم؟

وللإجابة عن هذا السؤال نقول على المسلم أن يرجع إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أي أمر، ذلك أن القرآن الكريم نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليرشد الناس به إلى ما يجب أن يأخذوا به أنفسهم وينظموا به حياتهم ويكوّنوا به مجتمعهم على الوجه الذي يسعدهم في الدنيا: بالعز والسلطان والتمكين والهيمنة على الحق، وفي الآخرة: بالرحمة الدائمة وبالنعيم المقيم، فتكمل للإنسان سعادته في الأولى والآخرة.

قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾، ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ①﴾.

وفي ظل هذا الإيمان بما أنزل الله على نبيه الصادق الأمين، وضع القرآن الكريم في يد المسلمين، في كل مكان وزمان، مفاتيح الدراسات النفسية والخلقية لهؤلاء اليهود، وعرّى الطبيعة اليهودية عن زيفها، وكشف عن حقيقتها ودخائلها.. ورفع القناع عن أخلاق مرذولة جُبل عليها هؤلاء القوم، سجية تلك فيهم غير محدثة، رأيت من الخير أن نجمع بعضها في قائمة تتحدد بها شخصيتهم بوضوح -﴿لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾- على النحو التالي:

(١) الكذب على الله:

- ﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ⑮﴾ آل عمران: ٧٥.
- ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ المائدة: ٦٤.

- ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠.
- ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ﴾ آل عمران: ١٨١.
- ﴿ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ﴾ المائدة: ١٨.
- ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ البقرة: ٨٠.

(٢) حبهم لسماع الكذب:

- ﴿ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ﴾ المائدة: ٤١.
- ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحْتِ﴾ المائدة: ٤٢.

(٣) التمرد على الله:

- ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ المائدة: ١٣.

(٤) التمرد على الرسل:

- ﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾ البقرة: ٥٥.
- ﴿ فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ المائدة: ٢٤.
- ﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ المائدة: ٧٠.

(٥) سهولة الاغتيال:

- ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴾ البقرة: ٦١.

(٦) نقض العهود:

- ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ﴾ البقرة: ١٠٠.
- ﴿ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ ﴾ الأنفال: ٥٦.

(٧) قسوة القلب:

- ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ البقرة: ٧٤.

(٨) الجدال والمراء:

- ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ﴾ البقرة: ٢٤٧.
- ﴿ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ البقرة: ٧٠.

(٩) كتمان الحق والتضليل:

- ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ البقرة: ٤٢.
- ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾﴾ النساء: ١٥٦.

(١٠) النفاق:

- ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾ البقرة: ١٤.
- ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ البقرة: ٤٤.
- ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾ آل عمران: ١٦٧.

(١١) إيثار المنفعة الشخصية:

- ﴿أَفَكُلَّمَا جَاءَكُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَىٰ أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾ البقرة: ٨٧.
- ﴿وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ البقرة: ٤١.

(١٢) حب الإفساد للناس:

- ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٦٤﴾﴾ المائدة: ٦٤.

(١٣) موت ضميرهم الأدبي:

- ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾﴾ المائدة: ٧٨، ٧٩.

(١٤) حب الشر لغيرهم:

- ﴿وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾ آل عمران: ٦٩.
- ﴿وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ١١٨.
- ﴿وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ﴾ النساء: ٤٤.

(١٥) كراهية الخير للناس:

- ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾ آل عمران: ١٢٠.
- ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾ النساء: ٥٤.

- ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ البقرة: ١٠٥.

(١٦) المسارعة إلى الإثم والمعصية:

- ﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾ المائدة: ٦٢.

(١٧) الكبر والتعالي على الناس:

- ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ المائدة: ١٨.
- ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ﴾ آل عمران: ٧٥.
- ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ النساء: ٤٩.

(١٨) الاستغلال والانتهازية:

- ﴿وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ﴾ النساء: ١٦١.

(١٩) التحايل على المخالفة:

- ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْاْ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ البقرة: ٦٥.

(٢٠) الجبن والتخاذل:

- ﴿فَٱذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ﴿٢٤﴾﴾ المائدة: ٢٤.
- ﴿لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِى صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ الحشر: ١٣.
- ﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ الحشر: ١٤.
- ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ البقرة: ٢٤٩.

(٢١) عدم الأدب في الخطاب:

- ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ البقرة: ٩٣.
- ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَٱسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَٰعِنَا لَيًّۢا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِى ٱلدِّينِ ۚ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَٱسْمَعْ وَٱنظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾﴾ النساء: ٤٦.

(٢٢)البخل والشح:

- ﴿أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ ٱلْمُلْكِ فَإِذًا لَّا يُؤْتُونَ ٱلنَّاسَ نَقِيرًا﴾ النساء: ٥٣.

- ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ التوبة: ٧٦.
- ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ آل عمران: ١٨٠.
- ﴿إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ التوبة: ٣٤.

(٢٣) الأنانية والطغيان:

- ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾﴾ آل عمران: ٧٥.
- ﴿تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾ آل عمران: ١١٩.

(٢٤) الخوف من الموت:

- ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ۚ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ البقرة: ٩٦.

(٢٥) تحريف الكتب المقدسة:

- ﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ المائدة: ١٣.
- ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ البقرة: ٧٩.
- ﴿وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ﴾ البقرة: ٧٥.

***

ذلكم أيها المسلمون -في كل زمان ومكان- موقف القرآن الكريم من اليهود: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ النساء: ٨٧.

(صدق الله العظيم)

وهناك من الآيات القرآنية ما تصفهم بالفساد، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ المائدة: ٦٤[١].

---

(١) محمد عبد العزيز (يا مسلمون اليهود قادمون) من ص ١٤٣ إلى ص ١٤٨ ط دار الاعتصام سنة ١٩٧٩م.

وتكذيبهم للأنبياء وقتل بعضهم، قال تعالى: ﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ المائدة: ٧٠.

وقال تعالى: ﴿ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾ المائدة: ٧٩[1].

***

(١) نفسه.

(٢) صفاتهم في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم

يقول الأستاذ العقاد: (ولم يصفهم القرآن الكريم إلا بما وصفتهم به كتبهم ورسلهم من أقدم عصورهم إلى ما بعد عصر المسيحية. ففي الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية يقال لهم بلسان الرب: (إني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة). وفي الإصحاح التاسع من سفر نحميا أنهم (أعطوا كتافهم معاندة، وصلبوا رقابهم ولم يسمعوا).

وفي الإصحاح السابع عشر من سفر أرميا أنهم (قسوا أعناقهم لئلا يسمعوا ولئلا يعقلوا).

وفي أعمال الرسل أنهم غلاظ الرقاب، وفي غير هذه الكتب إجماع على غلظ رقابهم، ومشاكستهم، وامتناع الوفاق بينهم. . .) [١].

وفي السفر نفسه بلسان الإله: (إني لا أصعد في وسطك؛ لأنك شعب صلب الرقبة، لئلا أفنيك الطريق).

وفي سفر التثنية يقول لهم موسى -عليه السلام-: «إني عارف تمردكم ورقابكم الصلبة».

وفي سفر التثنية أيضًا يقول لهم: «ليس لأجل برك يعطيك الرب إلهك هذه الأرض الجيدة لتمتلكها؛ لأنك شعب غليظ الرقبة»[٢].

وليس في العهد القديم سفر واحد خلا من وصف كهذا الوصف بمعناه أو هو أشد من معناه، ولم تتغير طباعهم بفضل الزمن إلى أيام المسيح، فإن السيد المسيح هو الذي يخاطب أورشليم قائلًا: (يا أورشليم يا أورشليم! يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها، كم مرة أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحها ولم تريدي!)[٣].

ويعدد الأستاذ العقاد أساليبهم في السيطرة؛ منها أنهم يعتمدون على الطابور الخامس في كل دولة، وهم لا يتورعون عن شيء من دروب الرشوة وإرضاء الأهواء والشهوات، والطوابير

---

(١) عباس محمود العقاد ('الصهيونية العالمية) ص ٣٨ (هدية مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ).

(٢) نفسه ص ٥٦/ ٥٧.

(٣) نفسه ص ٥٧.

الأخرى التي تجتمع على البغضاء وإن لم تجتمع على المودة والولاء، ويعلل نفاذ الصهيونية إلى فلسطين بقوة الصهيونية العالمية وقوة المصالح الاستعمارية والتعصب الشديد على الإسلام، فهي إذًا ثلاث قوى تعمل في قضية فلسطين[1].

كذلك عرض باستفاضة علاقة الصهيونية وطوابيرها الخامسة في ميادين السياسة والاقتصاد والثقافة والمجالس النيابية والسياسية الشرفية، بالإضافة إلى عرض أساليبها في العصر الحاضر[2].

ويذكر الأستاذ العقاد أن الله تعالى سخر لهم دويلة إسرائيل لتكشف عنهم كل مستور، وتثبت للعالم أنهم كما وصفهم القرآن الكريم قوم لا يعقلون، فلا يريحون ولا يستريحون، ولن يزال العالم كله في خطر ما داموا يقبضون بأيديهم على زمام الدسيسة والغرور[3].

شهادة اليهود على أنفسهم بالإفساد:

قال أحد زعماء الصهاينة وهو الدكتور (أوسكار ليفي): «نحن اليهود لسنا إلا سادة العالم ومفسديه ومحركي الفتن فيه وجلاديه».

ولقد خطب (جابوتونسكي) في بعض الطلاب اليهود في جامعة فيينا بالنمسا، فأوصاهم بالاحتفاظ بالسيف! لأن الاقتتال بالسيف ليس ابتكارًا أو احتكارًا ألمانيًا، بل هو ملك لأجدادنا الأوائل، إن التوراة والسيف قد نزل علينا من السماء، وقد تبع (مناحم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل أستاذه في تأكيد أهمية العنف وسفك الدماء والحرب المستمرة؛ إذ يقول: (إن قوة التقدم في تاريخ العالم ليست في السلام بل في الحرب. ويرى (موشي ديان) وزير الخارجية في إسرائيل والذي كان رئيس وفد السلام مع مصر (أن إسرائيل تقوم على الحرب وليس السلام. ويقول هذا قدرنا أن نكون مستعدين ومسلحين، وأقوياء وغلظاء وإلا سوف يسقط السيف من قبضتنا وحينئذ تنزع حياتنا).

ويفسر (بيرد لفيسكي) كلمات (بيجن) و(ديان) فيقول: (إن السيف ليس شيئًا مجردًا بعيدًا عن الحياة، إنه يجسّد الحياة في أعرض خطوطها)، ذلك أن العنف عند اليهود ليس مجرد وسيلة

(١) نفسه ص ٥٨/ ٥٩ باختصار.

(٢) نفسه من ص ٧٨ وما بعد وص ٨٨/ ١١٣.

(٣) نفسه ص ١٢٨/ ١٢٩.

فحسب، بل إنه غاية في حد ذاته، فاليهودي -في تصوره- يحتاج لممارسة العنف ذاته ولتحريرها من الخوف ممن حوله ومن المستقبل. ويقول (بن هخت) الكاتب اليهودي: (إنه كان يشعر بأنه يتحرر من مخاوفه في كل مرة يقتل فيها جنديًا بريطانيًا في فلسطين، كان يشعر بأنه يولد من جديد)!! وهذا الجانب الدموي غير الإنساني وغير الأخلاقي من الفكر الصهيوني يتضح في كتاب الثورة الذي كتبه (مناحم بيجن) ويقول فيه: (أنا أحارب إذًا أنا موجود.. من الدم والنار والدموع والرماد سيخرج نموذج جديد من الرجال، نموذج غير معروف ألبتة للعالم)، وقالوا لهذا: (إلهنا أعطى لشعبه المختار قوة الأفعى، وحيلة الثعلب، وبُعد نظر الصقر، وقوة ذاكرة الكلب، والتضامن الغريزي لدى كلاب البحر)[1].

وتقول السيدة المهتدية (مريم جميلة): «سابقًا مارجريت ماركوس»: (تعتبر الأجزاء الباقية من كتاب «هرتزل» المعنون (الدولة اليهودية) صورة طبق الأصل من الخطب التي رددها الزعيم النازي «هتلر» بعد ذلك بأربعة عقود من الزمان، يقول هرتزل: (القوة تسبق الحق هكذا الحال، فتحسين أحوال العنصر اليهودي هو المطلب العام لدى الصهيونية، فلا بد لهذا العنصر أن يعد عدته للحرب.. فالعداء شيء جوهري في مسمى الإنسان العظيم.. أن السلام الدائم حلم، بل حلم غير سار، إن الحرب عنصر أساسي في تنظيم الله للعالم)!![2].

سأتبع بعون الله تعالى المنهج الاستردادي التاريخي في هذا الكتاب، بمعنى رصد الوضع الحالي عقب هجوم (طوفان الأقصى) في ٧ أكتوبر على إسرائيل، ثم بيان البدء بمولد الدولة ومن ساهموا في نشأتها وأغراضهم ودوافعهم؛ لكي تتضح الحقائق للأجيال الذين لم يعاصروا (نكبة فلسطين عام ١٩٤٨). إن غرضي من الاسترداد التاريخي وسرد الوقائع منذ البداية، هو وضع القضية الفلسطينية في مكانها الصحيح من حيث إنها قضية إسلامية، وليست عربية فحسب، مع إزاحة الستار بالأدلة على أن الإرهاب الصهيوني هو العمود الفقري لنشأة إسرائيل؛ حيث كانت عصابات الهاجانا تهاجم القرى الفلسطينية قتلًا للأفراد، نساء ورجالًا وأطفالًا، وتفتيشًا للمنازل وإحراقها، واقتلاع الأشجار وإتلاف المزارع وغيرها من الأعمال، وهم يقلدون الإرهابي الأكبر (بيجين) القائل: «أنا أقل إذًا أنا موجود»!!

وفي العصر الحديث قد فشلت كل محاولات الحل السلمي مع إسرائيل منذ حرب ١٩٦٧، ولم تنسحب إسرائيل من سيناء إلا بعد تحقيق نصر أكتوبر سنة ٧٣.

---

(١) محمد السعيد الأودن (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) ص ٢٠٥ وص ١٤٧ ط دار البشير – طنطا ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

(٢) مريم جميلة (الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين) ص ٥٣ ترجمة طارق السيد خاطر ط المختار الإسلامي -بدون تاريخ.

يقول الأستاذ عبد المحسن سلامة: (اشتركت إسرائيل في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ وكان الأولى بها على الأقل (كحق الجيرة) إظهار الرغبة في مد يد السلام لمصر، لكنها شاركت في العدوان، ثم قامت بعد ذلك بعدوانها الغادر في سنة ١٩٦٧ دون أن تبدأ مصر أو أي دولة أخرى بالعدوان عليها، لكنها عقيدة العدوان والتوسع والاحتلال التي تحرك الجيش النازي الإسرائيلي المعتنق لفكر العماليق والإبادة لكل من يخالفه، فكانت حرب ١٩٦٧)[1].

إن الإرهاب الصهيوني الذي أشرنا إليه سابقًا باختصار قد شرحه بإسهاب المؤرخ اليهودي «إيلان بابه» وهو محاضر العلوم السياسية في جامعة حيفا -وذلك بكتابه «التطهير العرقي في فلسطين»، وذكر أن نزوح الفلسطينيين خارج أرضهم لم يكن هروبًا جماعيًّا وطوعيًّا للسكان كما تزعم الدعاية الصهيونية، بل هو ثمرة خطة مفصلة وضعها بن جوريون في تل أبيب يوم ١٠ مارس سنة ١٩٤٨ بحضور ١٠ من قادة صهاينة، وتتضمن أوامر صريحة لوحدات «الهاجانا» باستخدام شتى الأساليب لإجبار الفلسطينيين على ترك أراضيهم، و[illegible]زة الرعب وقصف القرى والمراكز السكنية، وحرق المنازل وهدمها، وزرع الألغام في ا[illegible] المطرودين من العودة إلى منازلهم، وأسفر ذلك عن تدمير ٥٣١ قرية وإجلاء ١١ [illegible]يًا عل[illegible] من سكانها، ويقول الأستاذ أسامه الألفي إن حقيقة الهدف من العدوان الوحشي على غزة اليوم ليست القضاء على حماس ولكن تصفية الشعب الفلسطيني بالقتل أو دفعه إلى اللجوء للبلدان العربية المجاورة، وهذا سر تركيز القصف على المجتمعات السكنية والمشافي والمدارس والمساجد)[2].

---

(١) عبد المحسن سلامة – مقال بعنوان (العماليق والمأزوم) – جريدة الأهرام بتاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣.

وختم المقال بقوله: (المؤكد أن المشكلة كانت وما تزال في إسرائيل وليس المقاومة بأي حال من الأحوال)، وقد غلبت الدوافع الدينية لدى الصهاينة لإقامة دولة مستندين إلى الأساطير وكتبهم المحرفة، بينما كانت غائبة عن أذهان أغلب رؤساء الدول العربية، وكان من الضروري وضع الهدف الإستراتيجي للجيوش العربية أثناء الحرب سنة ١٩٤٨ للحفاظ على مدينة القدس والدفاع عن المسجد الأقصى المبارك الذي كان معرضًا لتدنيس اليهود، فيما لو حققوا أهدافهم.

وهكذا فإن قراءة التاريخ من مصادره العربية الإسلامية بكافة وقائعه المتصلة بمولد الدولة اليهودية، كفيل بمعرفة الحقائق بصورة كاملة، وهو ما لم يتوفر لمعاصري نشأتها منذ عام ١٩٤٨ إذ تربّت أجيال لا تعرف إلا المعلومات المبتسرة، والتي تلقتها من مناهج التعليم الذي كان يشرف عليه الإنجليز بواسطة (دنلوب) أو الإعلام الذي تسيطر عليه الصهيونية العالمية المنحازة تمامًا لإسرائيل، متجاهلًا أو مشوهًا للحقائق ومخالفًا للتاريخ الصحيح.

(٢) أسامة الألفي (السلام على الطريقة الصهيونية) الأهرام ص ١٢ ١٧/ ١١/ ٢٠٢٣م.

وتتلخص تداعيات (طوفان الأقصى) في ما يرصده المراقبون والكتّاب في الظواهر التالية:

(١) ظهر على السطح ما كان يخفيه الغرب عنا من إصراره على استمرار استعمارنا، بحرصه على بقاء إسرائيل قاعدته المتقدمة في قلب العالم العربي والإسلامي، وروّج بها دعايات عن أنه حامي حقوق الإنسان والحريات، وإذا بنا نشاهد ونسمع ونقرأ عن مدى ازدواجية المعايير في تعامله بين شعب (أوكرانيا) وشعب (غزة) ، فقد هرع يقدّم للأول كل المساعدات المالية والعسكرية، ويمده تباعًا بأحدث الأسلحة، بينما وقف وراء المعتدي الصهيوني يؤيده على حرب إبادة شعب غزة!!

ويقول الأستاذ فاروق جويدة: (أطلت صورة الرئيس بايدن وهو يحمل حاملات طائراته وبوارجه وأسراب طائراته وجنوده وجنرالاته ولم يتردد في أن يشارك جنوده المارينز في تدمير غزة وقتل أطفالها ونسائها في عملية عسكرية جعلت العالم يتساءل ماذا تريد أمريكا من بلد صغير لا يزيد عدد سكانه على ٢. ٥ مليون نسمة مات منهم الآلاف بقصف الطائرات، احتار العالم في موقف أمريكا ورئيسها وقائد جيوشها، ووقف العالم مشدوهًا أمام إنجلترا وهي ترسل سفنها الحربية، وفرنسا ورئيسها يطوف العواصم يروّج للحملة على غزة مهما يكن الثمن!)(١).

وأسفرت معركة (طوفان الأقصى) عن التميز العنصري بأبغض صوره، فضلًا عن شهوة الإبادة والتصفية الجسدية، فقد قرر الدكتور حمدي هاشم أن نعت وزير دفاع الاحتلال الإسرائيلي فصائل المقاومة الفلسطينية بأنهم حيوانات بشرية ليست سقطة إعلامية، بل تأكيد سلفي لوصف غير اليهود من منظور توراتي متطرف، وينسحب ذلك التعبير على العرب وغيرهم بالمنطقة (مقال بعنوان: جريمة غزة) الأهرام في ٢٧/ ١٠/ ٢٠٢٣.

---

(١) فاروق جويدة، مقال بعنوان: (الغرب بين الثقافة والسياسة والهيمنة) ص ١٣ جريدة الأهرام ٣/ ١١/ ٢٠٣٢م، والمقال وثيقة إدانة للغرب وحث على ضرورة تمسكنا بآخر ما بقي من ثوابتنا، وعلى مواكب التطبيع أن تقطع علاقاتها مع هذا الكائن الغريب المتوحش؛ لأنه لن يكتفي بغزة ولا غيرها!! ومما يخفف من تصريح ماكرون الوقح في نفوسنا أن الفيلسوف الفرنسي (ميشيل أونفري) عرضه قائلًا: (دعوا العرب والمسلمين يديرون أنفسهم بأنفسهم، نحن الذين ذهبنا إليهم لتغييرهم على طريقتنا، ونفرض عليهم ثقافتنا وأفكارنا في فلسطين والعراق وسوريا وأفغانستان وإيران وغيرها. المسلمون ليسوا حمقى، نحن الذين نجلب الحرب إلى بيوتهم ونقتلهم بالعشرات والمئات ثم ننتظر منهم أن يكونوا طيبين... ويجب أن تتوقف تبعية فرنسا لأمريكا، إنه خطأ سياسي فادح وخطأ ثقافي رهيب يتناقض مع قيم فرنسا) د/ جمال الشاعر – مقال بعنوان: (لا سكوت بعد اليوم) ص ١٢ الأهرام ٤/ ١١/ ٢٠٢٣م.

وفضلًا عن هذا التمييز العنصري الذي فاه به أحد الذين وصفوا بأنهم قردة وخنازير، فإن المعركة أسفرت أيضًا عن شهوه الإبادة، وقد سبق أن وصف الدكتور جمال حمدان طبيعة الكيان الصهيوني بأن كل صهيوني هو -بالضرورة- من الصقور، ليس هناك حمائم، مستندًا إلى أن أكثر قائد من قادة إسرائيل صرحوا بأن الصراع مع العرب (صراع بيولوجي)، أي أنه تصفية جسدية -إبادة جنس كما صرح (شيمون بريز)[١].

وهذا بالفعل كان أسلوبًا إسرائيليًّا ومفهومها الذي تكشف بالتدريج عند قيامها بمذابح فيما بعد ١٩٤٨ ثم يونيو ١٩٦٧ خاصة في غزة، أي أن صراع الأجناس ليس حتى بالمعنى العنصري النازي، ولكن بالمعنى البدائي المكابي (المكابيون طائفة من أشد طوائف يهود فلسطين الرومانية دموية وسفكًا للدماء)[٢].

من التابعين والمحليين من يرى أن ما حدث يمثل بداية النهاية للمحتل الصهيوني، منهم الأستاذ محمد حسين هيكل الذي صرح في نهاية عام ٢٠٠٩ بلغة صريحة ومباشرة بأن دولة الكيان إلى زوال مهما طال الزمن، فالمسألة ببساطة وفي نهاية الأمر مسألة وقت، والمشروع الإسرائيلي القائم على فكرة نحن هنا ونحن قادرون سوف ينهار سريعًا إذا ما نزع عن إسرائيل مهابة قدرتها على الردع وقدرتها على القوة وإخافة من حولها؛ لأن ذلك يعني بوضوح انتهاء وجود الدولة حتى وإن ظل لها وجود على الأرض.

---

(١) وهو نفس المعنى في تصريح أحد الوزراء الحاليين حينما قال: (نتعهد بمحو حماس) من الوجود. الأهرام في ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٣.

كتب هاني عسل: مع تفاقم حدة المجازر الإسرائيلية في قطاع غزة وسقوط أكثر من ٣٧٨٥ شهيدًا بينهم ألف امرأة و١٥٣٤ طفلًا و١٢ ألف مصاب تصاعدت حدة المخاوف من أن العملية الإسرائيلية في القطاع ستتسم «بشراسة غير مسبوقة»، في حين كثفت مصر اتصالاتها وجهودها الدبلوماسية لضمان وصول المساعدات للمنكوبين الذين يواجهون شبح المجاعة بين عشية وضحاها. ونقلت وكالة «رويترز» عن مسئولين إقليميين وغربيين قولهم إن العملية المعروفة باسم «السيوف الحديدية» تتسم بضراوة غير مسبوقة، وستكون «مختلفة عن أي شيء قامت به إسرائيل من قبل في قطاع غزة»، وشددوا على أن إسرائيل تخطط لعملية وحشية تتضمن «تدمير البنية التحتية»، مما سيسفر عنه سقوط أعداد كبيرة من الضحايا المدنيين، بينما صرح يواف جالانت وزير الدفاع الإسرائيلي بأن هدف الحرب هو «محو حماس من الوجود نهائيًّا» - الأهرام بتاريخ ٢٠/ ١٠/ ٢٠٢٣م.

(٢) د/ جمال حمدان (٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية) ص ٤١٥ مكتبة الأسرة ٢٠١٣.

وقال دايان: (إن إقامة دولة فلسطينية معناه «بداية الدمار لإسرائيل».. وقالت جولدامائير: (إنه لا يوجد شيء اسمه الشعب الفلسطيني، وبالتالي فلا وطن لهم؛ لأنه ليس هناك مكان لهم، وليس هناك ضرورة لذلك) ص ٣٨١.

ومن هذه الزاوية أيضًا يذكر الأستاذ أحمد أبو المعاطي أن نظرة عابرة لما يجري في الأرض المحتلة من عمليات تنفذها فصائل المقاومة وما تكبده لقوة جيش الدفاع من خسائر، لدلالة على سقوط تلك الهيبة المزعومة للجيش الذي طالما روجت له البروباجاندا منذ ستينيات القرن الماضي بأنه الجيش الذي لا يُقهر، وتستند في ذلك على أن العسكرية المصرية حطّمت الصلف الإسرائيلي في أكتوبر سنة ٧٣ قبل أن تعيد للمقاومة الفلسطينية الكرّة من جديد بعد ٥٠ عامًا!!

ثم أورد فصلًا لموقع تايمز أوف إسرائيل، وهو أحد المواقع الإخبارية التي تأسست عام ٢٠١٢، وهو عندما جرى في ٧ أكتوبر وما أسفر عنه من قتل نحو ١٤٠٠ شخص، من بينهم مئات من الجنود وأفراد الشرطة ونشطاء في جهاز الشباك، يمثل الهجوم الأكثر دموية في تاريخ إسرائيل، وهو ما يستدعي أن يكون يومًا للحداد الوطني.

ويضيف الأستاذ أحمد أبو المعاطي قوله: (.. في وقت يبلغ فيه الوضع الداخلي في إسرائيل حد الانهيار على وقع ضربات المقاومة الفلسطينية وبطولات من النقطة صفر في فنون الاشتباك ترقى إلى درجه الأساطير)[1].

كذلك ذكر الدكتور خالد قنديل بعض الخسائر في الجنود والشرطة وجهاز الشاباك التي اعترف بها جيش الاحتلال، مضيفًا إليها الآليات التي دمرتها كتائب القسام، قال: (وبالطبع فإن الأرقام التي تصدر من الجيش ليست حقيقية حتى لا تكشف هزيمته الكبرى في هذه الحرب التي تكبد فيها خسائر جمة قد أعادته سنوات كثيرة جدًا إلى الوراء).

ويقرر أن (المتابعين والمحللين يجمعون على أن هذا الجنون الموتور للكيان المحتل يمثل بداية النهاية له، على الرغم ما يكبده ذلك من أثمان هي الأغلى في شهداء فلسطين وغزة الذين تمسّكوا بالأرض، رغم وضوح التوجه الإسرائيلي لتهجيرهم القسري)[2].

أما الأستاذ فاروق جويده فإنه يذكر أن غزة قدمت أغلى ما لديها، وهي الآن تنتظر ما تسفر عنه الأحداث، خاصة أنها حاربت وانتصرت وحدها وتخلى عنها الكثيرون.

هذا بينما لم تستطع إسرائيل أن تحسم المعارك، رغم أنها دمرت كل شيء، وقتلت الآلاف، ولكنها فشلت في حسم قضية الأسرى والمخطوفين لدى حماس، **وهذه هي الهزيمة الحقيقية لإسرائيل أمام حماس** التي أصرت على موقفها وصمدت حتى آخر لحظة.. إن إسرائيل تعيش

---

(١) أحمد أبو المعاطي – مقال بعنوان: (حرب غزة ونبوءة هيكل) ص ١٢ جريدة (الأهرام) بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٢٣م.

(٢) د/ خالد قنديل، مقال بعنوان: (الحرب والهدنة ومستقبل المنطقة) ص ١٢ الأهرام بتاريخ ١٠/ ١١/ ٢٠٢٣.

الآن أسوأ أيامها، ورغم أنها استخدمت كل ما لديها من أساليب الموت والدمار فإنها عجزت عن تحرير أسراها، إلا في ظل اتفاق مقبول من حماس التي تصرّ على شروطها[1].

ومن تداعيات غزو (طوفان الأقصى) أيضًا إيقاظ وعي شباب المسلمين، وإحياء روح الجهاد في نفوسهم؛ إذ كان (أبو عبيدة) المتحدث الرسمي العسكري يعيد إلى أذهانهم نماذج التضحيات والشجاعة والإقدام والرغبة في الشهادة التي كانت الطابع الغالب للصحابة رضي الله عنهم.

كذلك أمدّت حركة المقاومة الصحوة الإسلامية بروح جديدة كانت في أمسّ الحاجة إليها، بعد أن تعرضت لحرب صليبية سافرة، كما صرّح بذلك الرئيس الأسبق للولايات المتحدة جورج بوش عند غزوه للعراق، وهو ما دفع الفريق سعد الدين الشاذلي -رحمه الله تعالى- إلى إصدار كتاب بعنوان: (الحرب الصليبية الثامنة)، وعندما بحث عن أهداف أمريكا الإستراتيجية، قسّمها إلى أهداف معلنة وأخرى غير معلنة. الأهداف المعلنة هي البترول وأمن وسلامة إسرائيل، ومفهوم سلامة إسرائيل بالنسبة لأمريكا، فإنها تعني استمرار إسرائيل في احتلال الأراضي العربية.. وأن تكون دائمًا أقوى من جيرانها.. ولديها القدرة على التوسع باستمرار.

ولكنّ هناك هدفين آخرين غير معلنين: الأول هو تجزئة العالم العربي والعمل على استمرار هذه التجزئة، **والهدف الثاني هو ضرب الصحوة الإسلامية**[2]، وقد سبق أن تكاتفت عدة دول غربية مع أمريكا في حرب العراق، وعادت لتؤدي الدور نفسه في حرب (طوفان الأقصى).

كذلك يقول الأستاذ فاروق جويدة: (إن الغرب كشف الوجه القبيح حين جاء مسرعًا لدعم إسرائيل، دون مراعاة للعلاقات التي تربطه بالشعوب العربية، وقدّم السلاح والمال الذي دمرت به إسرائيل غزة وقتلت شعبها دون مراعاة لما يدعيه من شعارات حول حقوق الإنسان وحرية الشعوب وقيم العدالة. وإذا كانت إسرائيل قد دمرت غزة فإن كل من ساعدها كان شريكًا في الجريمة وعليه أن يدفع الثمن). الأهرام في ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣م.

والحق أن الفريق الشاذلي كان سباقًا في كتابه أيضًا بتتبع مواقف رؤساء أمريكا؛ إذ كانوا حريصين جميعًا على أمن وسلامة إسرائيل، وأورد نصًا بكتاب الرئيس الأسبق جيمي كارتر بقوله: (إن الأخلاق اليهودية المسيحية ودراسة الكتاب المقدس هي موضوع مشترك يربط بين اليهود والمسيحيين. . .).

---

(١) فاروق جويدة، مقال بعنوان: (ملحمة غزة وماذا بعد الحرب؟) ص ١٣ (الأهرام) بتاريخ ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣م.

(٢) الفريق سعد الدين الشاذلي (الحرب الصليبية الثامنة: العدوان على العراق) جـ١ ص ٣٠١/ ٣٠٢ ط الدار البيضاء سنة ١٩٩١م.

وريجان أيضًا الذي تولى الرئاسة بعده كان أكثر اندفاعًا وتأييدًا لإسرائيل. إن أمن إسرائيل بالنسبة إليهم يعني استمرارها في احتلال الأرض العربية، ويعني أن تسارع أمريكا إلى نجدتها بالأسلحة والمعدات الفنية المتطورة كما حدث إبان حرب أكتوبر ٧٣[١].

وفيما يتصل بتديّن رؤساء أمريكا، فالحق أنه لم يكن كارتر وريجان وحدهما، بل إن كل شاغلي البيت الأبيض والعديد من مستشاريهم أعلنوا أنهم (**مولودون ثانيًا**)، وهو وصف يربطهم بضرب من الأصولية الدينية تسلّم بصحة نبوءات الكتاب المقدس وحتميتها، بما في ذلك نبوءات آخر الزمان بسفر الرؤية، وكان ريجان يعتقد أن معركة (هرمجدون) الفاصلة ليست ببعيدة. .[٢].

ويقول بول فيندلي: (وقد جعل التراث اليهودي للمسيحية الأمريكية الكثير من المسيحيين الأمريكيين يقرون بإنشاء إسرائيل سنة ١٩٤٨، جاء كتحصيل للنبوءات التوراتية، وأن الدولة اليهودية ستظل تلعب دورًا مركزيًّا في مخطط السماء والأرض. وجاء انتصار إسرائيل في حرب يونيو عام ١٩٦٧ واحتلال القدس ليمثل عند المسيحيين الأمريكيين تأكيدًا لنبوءات التوراة وقرب مجيء المسيح -عليه السلام-)[٣].

وهل هناك شك بعد ذلك كله في أنهم يخوضون حربًا دينية؟ ومن أقوال الفريق الشاذلي بكتابه عن إسرائيل أن كل الشواهد بعد كل سؤال تؤكد أن إسرائيل هي العدو الأول للعرب وللمسلمين، فقد أخرجتنا إسرائيل من ديارنا وحاليًّا ٣ مليون فلسطيني يعيشون في الشتات، وفي كل يوم تغير إسرائيل على أبنائنا، سواء في الأرض المحتلة وفي لبنان، ومن وقت وآخر تقوم بعمليات إغارة بعيدة المدى، كما قامت بتدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو سنة ١٩٨١، وكما قامت بالإغارة على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس في أكتوبر سنة ١٩٨٥، هي في الحقيقة تذكرنا باستمرار تذكر من يريد أن يعيش بأن إسرائيل هي العدو الرئيس للعرب وللمسلمين[٤].

ما الموقف الآن أمام أطماع إسرائيل؟

يحذرنا الأستاذ فاروق جويدة بقوله: (إن موقعة غزة سوف تمتد آثارها، ولا أحد يعلم متى

---

(١) نفسه ص ٢٢/ ٢٣.

(٢) ريجينا الشريف (الصهيونية غير اليهودية) ص ٢٦٧ – ترجمة أحمد عبد العزيز – جذورها في التاريخ الغربي –سلسلة (عالم المعرفة) الكويت ١٩٥٨م.

(٣) رضا هلال (المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا) ص ١٣٤ مكتبة الشروق ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.

(٤) الفريق الشاذلي: نفس المصدرالسابق ص ٣٠٠.

تتوقف، فقد كتبت تاريخًا حديثًا، ورسمت واقعًا جديدًا، ولكن الشيء المؤكد أن أطماع إسرائيل لن تتوقف، وأن على الشعوب العربية أن تدرك أن عصابات الغرب لن تصمت على طوفان الأقصى، ولقد حذرنا كثيرًا من أن أطماع إسرائيل ليس لها حدود؛ فإن على الشعوب العربية أن تعي حدود الكارثة، ولن تكون فلسطين آخر ما تسعى إليه أطماع إسرائيل، إن ما حدث في غزة **لا بد أن يحرك الشعوب العربية حتى لا تكون فلسطين هي الضحية الوحيدة)**[(١)].

ودليله على ذلك أن خريطة الدولة العبرية التي تنتشر اليوم تضم مساحات من دول عربية!!

ويشاركه في الرأي الدكتور جمال الشاعر؛ حيث يقرر أن ما أحدثته توابع طوفان الأقصى من زلزلة كشفت عن ارتباك وهلع عند إسرائيل، سرعان ما تحوّل إلى هستيريا انتقامية، ويتوقع أن إسرائيل سوف تحتاج إلى حملات علاقات دولية جبارة لكي تستعيد صورتها أمام العالم كما كانت قبل مأساة غزة.

ويقترح لصدّ أطماع إسرائيل ومقاومة توسعاتها أن يتوحّد العالم العربي والإسلامي بمقدراته الجبارة، وهو كعملاق غني بموارده الطبيعية وبثروته البشرية.. وهو يشكّل نحو ربع مساحة الكرة الأرضية، وعدد سكانه يصلون إلى ربع عدد سكان العالم.. كما يتميز بالقدرة على الاكتفاء الذاتي بسبب كثرة الأنهار واتساع مساحة الأراضي الصالحة للزراعة حتى أنها تصل إلى نحو مساحة أستراليا، وتوجد ست دول إسلامية بارعة في صناعة السلاح وتصديره بوفرة، وهي مصر وإندونيسيا وباكستان وإيران وتركيا وكازاخستان، وتوجد به وكالتان فضائيتان في كازاخستان وفي الشيشان، ويوجد في العالم الإسلامي أكثر من ٢٥٠ نهرًا ونحو١٠ آلاف نهير، كما يوجد به بعض أهم أنهار العالم مثل النيل والفرات ونهر السنغال والنيجر ونهر الأورال، و٧٠٪ من شعوبه دون سن الشباب، وفيهم عباقرة يدهشون الدنيا.

وينتهي في مقاله السؤال: ماذا لو استعمل العالم العربي والإسلامي مقدراته الجبارة تلك؟

ويجيب قائلًا: **(بالتأكيد سوف تنهض إلى مصافّ الدول العظمى، وبالتأكيد هو يستطيع أن يحقق ذلك فعلًا)**[(٢)].

ونحن نضيف بدورنا أنه يستطيع الوقوف أمام أطماع إسرائيل وتوسعاتها، بل يعيدها إلى حجمها وحدودها قبل عام ١٩٦٧.

***

(١) فاروق جويدة – مقال بعنوان: (طوفان الأقصى.. نكتب تاريخًا جديدًا) ص ١٣الأهرام في ١٠/ ١١/ ٢٠٢٣م.

(٢) د/ جمال الشاعر (كيف استطاعوا؟) الأهرام في ٢٤/ ١١/ ٢٠٢٣.

الباب الثاني

دورُ كلٍّ من عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة في تأسيس إسرائيل

ما هي القضية الأصلية؟

إن فلسطين من ديار الإسلام، والأمة الإسلامية مسئولة عن الدفاع عنها، بل صار بعد احتلال اليهود للقدس تحرير المسجد الأقصى فرض عين.

وشغل أغلب العلماء والدارسون ورجال الصحافة تتابع الحروب التي شنتها إسرائيل على فلسطين وأهلها، وتعليل الأسباب والمعاهدات التي تمت بين الطرفين والحديث عن السلام.. إلخ.. أي أن عنايتهم وشغلهم الشاغل بتلك الأمور كانت بمثابة الاقتصار على فروع **القضية الأصلية** التي كان ينبغي دراستها ووضعها في المكانة الأولى من دراساتهم وبحوثهم؛ لأنها سبب الصراع وجوهره ووضعه في الصدارة؛ لأنه في **الحقيقة صراع وجود بين أهل فلسطين وهم أصحاب الأرض الأصليين وأغلبهم عرب مسلمون، وبين غزاة محتلين** ووسيلتهم الإرهاب المتواصل؛ لأن هدفهم اغتصاب الأرض بالقوة وسفك الدماء وطرد أهلها أو إبادتهم وفق أساطير كاذبة لا أساس لها[1] وبعنصرية نازية غاشمة أنه شعب الله المختار!!

وبعد قرارات التقسيم التي وضعتها الأمم المتحدة ظلمًا وبضغوط الولايات المتحدة الأمريكية أثناء رئاسة (ترومان) على دول العالم الثالث المحتاجة للمعونات، حصلت إسرائيل على شرعية مصطنعة بغير حق، وروّج الإعلام الغربي الذي تسيطر عليه الصهيونية العالمية أن الصراع هو صراع على الحدود، بينما روّج الإعلام العربي بدوره لفكرة (القومية العربية)، بينما أعلن اليهود وزعيمهم (هرتزل) بتحدٍّ سافر أن هدفهم هو إقامة **(الدولة اليهودية)**!! وقلّده الساسة والزعماء بتصريحاتهم المتكررة عن نفس الهدف في كل مناسبة، وكانت حروبهم المعلنة **أنها حروب دينية وهدفها إقامة الدولة اليهودية وعاصمتها القدس**، وسارعت الولايات المتحدة بتشجيعها أيضًا فنقلت سفارتها إليها!!

وبعد هذه السنين العجاف منذ عام ١٩٤٨ حيث توغلت إسرائيل في الأراضي ودنست المسجد الأقصى المبارك وتسعى لهدمه بلا مبالاة لهيئة الأمم المتحدة وقراراتها، أصبح من واجبنا في العالم العربي والإسلامي العناية والإعلان عن جوهر القضية الفلسطينية، **وأنها ذات طابع إسلامي في المقام الأول**، وحثّ الأمة الإسلامية بالنهوض للقيام بواجبها للدفاع عن أرض

(١) وضحها جارودي بكتابه الشهير (الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية)!!

فلسطين وهي من ديار الإسلام اغتصبها اليهود بغير حق، بل زادت مسؤولية الأمة للقيام بتحرير المسجد الأقصى الذي وقع في أسر اليهود منذ احتلالهم القدس عام ١٩٦٧، وتحولت المسؤولية شرعًا إلى فرض عين، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ الحج: ٣٩، ٤٠.

حاشية عن سلوك (ترومان):

يقول إسرائيل شاهاك: (في أواخر الخمسينيات أخبرني جون ف. كنيدي، مؤرخ المناسبات وكاشف أسرار الطبقة الراقية، أنه في عام ١٩٤٨ تخلّى الجميع عن هاري س ترومان عندما رشّح نفسه للرئاسة، في ذلك الوقت قدّم له أحد الصهاينة الأمريكان مبلغًا قدره مليون دولار نقدًا في حقيبة، وكان ترومان يواجه جمهور الناخبين وهو في القطار أثناء جولته الانتخابية، وهذا هو السبب الذي جعل اعترافنا بإسرائيل جد سريع.. اعتبرنا هذا الخبر من نوادر ترومان والفساد المتفشي في السياسة الأمريكية) ص ١٥من كتابه (اليهودية أيديولوجية قاتلة)، ترجمة جمال الجزيري ط الإعلامية ٢٠٠م.

وإذا خصصنا مدينة (القدس) بالدراسة لتبين وفقًا للمصادر التاريخية أن قبائل عربية زحفت من الجزيرة العربية واستقرت هناك وأقاموا بها عمرانًا ذا حضارة، وأن بني إسرائيل لم يدخلوا المدينة إلا بعد العرب بألفي عام ولم يقيموا عاصمة لهم هناك إلا لمدة قليلة من الزمن لم تتجاوز أربعة عقود، ومن القبائل العربية التي استقرت في القدس[1]: الكنعانيون، والعموريون، واليبوسيون، بينما لم يكن لبني إسرائيل أدنى علاقة بنشأة القدس، وتشهد بذلك توراتهم فيما أوردته من إشارات تبين أنهم **كانوا يرون أنفسهم غرباء عن القدس.**

ونستخلص من دراسة المصادر التاريخية الموثقة علميًّا أن إقامة اليهود المتصلة بفلسطين لم تكن سوى مده قصيرة لا تقارن بالوجود العربي الإسلامي في القدس قديمًا وحديثًا، ذلك الوجود الذي زاد على خمسة آلاف سنة[2].

حاشية: المسلمون وحدهم يملكون حائط المبكى:

إن هذا القرار كان بموجب وثيقة الأمم التي صدرت في ديسمبر سنة ١٩٣٠ بواسطة اللجنة

(١) ملامح من تاريخ القدس عبر العصور. إعداد الباحثين بلجنة التاريخ والحضارة بهيئة كبار العلماء - كتاب مجلة الأزهر هدية شهر شعبان ١٤٤٥ص ٥٣.

(٢) نفسه ص ٦٣.

الثلاثية للنظر في ادعاءات المسلمين واليهود ملكية حائط المبكى أو الجدار الغربي للمسجد الأقصى.

وتلك اللجنة الثلاثية الدولية مكونة من ثلاثة أعضاء هم:

١- مستر لوفجرين، وزير سابق للخارجية السويدية مندوبًا عن السويد.

٢- مستر تشارلز يارد، نائب المحكمة العليا في جنيف مندوبًا عن سويسرا.

٣- مستر كمين، حاكم سومطرة الشرقية، مندوبًا عن هولندا.

والتقرير الصادر عن تلك اللجنة مكون من ٧٥ صفحة.

ولقد عينت هذه اللجنة حكومة ملك بريطانيا وشمال أيرلندا بموافقة عصبة الأمم لتحقيق ما يدعيه المسلمون واليهود في ملكية حائط المبكى أو الحائط الغربي بالمسجد الأقصى المبارك.

ولقد سمعت اللجنة دفاع المسلمين ودفاع اليهود، وكانت جميع البلاد الإسلامية ممثلة في لجنة الدفاع عن الإسلام، وكان يمثل مصر في ذلك الوقت اثنان من أعظم رجالاتها المشهورين بالدفاع عن الحق وعن الإسلام، وهما أحمد زكي باشا المشهور بشيخ العروبة، ومحمد علي علوبة باشا المشهور بدفاعه عن القضايا الإسلامية، وكان أستاذًا بمعهد الدراسات الإسلامية العليا بالقاهرة. وقد انتهت اللجنة إلى ما يلي:

١ -أن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون حائط المبكى، الجدار الغربي للمسجد الأقصى؛ لأنه يكون جزءًا لا ينفصل عن الحرم الشريف وهو ملك للأوقاف[1].

٢- أن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون الطريق إلى حائط المبكى وحي المغاربة، وهو ملك للأوقاف التي تقرها الشريعة الإسلامية للأغراض الخيرية، هذا والمبدأ العام هو أن حائط المبكى وطريقه إلى حي المغاربة ملك للمسلمين وللمسلمين وحدهم، فضلًا عن المسجد الأقصى ثالث الحرمين الشريفين.

ويقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (وفي ذلك الوقت وأمام اللجنة العالمية لم يجرؤ اليهود على الادعاء مطلقًا بأي ملكية للحائط أو حي المغاربة، وكانت دعواهم في الثلاثينيات من هذا القرن هو مجرد السماح لهم بزيارة الحائط، **وكان هذا السماح يُعتبر منًّا وكرمًا من المسلمين،**

---

(١) محمد عبد العزيز (اليهود المغضوب عليهم) ص ١٧٠/ ١٧١ ط دار الاعتصام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

والطريق الموصل لحائط المبكى هو ملك لوقف الأفضل ابن صلاح الدين الأيوبي، رحمه الله تعالى.

ثم يعلق: والآن قد نسف اليهود حي المغاربة تمامًا، ويحفرون منذ سنوات صحن المسجد الأقصى توطئة لهدمه وإقامة هيكل سليمان[1] وإني أرى أن مشكلة المسجد الأقصى مشكلة إسلامية ١٠٠٪، وقد سلّمت الأردن أخيرًا مذكرة لمنظمة اليونسكو التابعة لهيئة الأمم المتحدة طلبت فيها العمل على وقف الحفريات التي تجريها إسرائيل في صحن المسجد الأقصى وفي عدد من الأماكن الأثرية بترميم الآثار التي تعرضت للنسف الإسرائيلي[2].

واستطرادًا لبيان إسلامية القضية الإسلامية، وقد تنبه مبكرًا كلٌّ من الأستاذ العقاد والمؤرخ أرنولد توينبي إلى التفسير الصحيح، فقال الأول: (إن الحماسة في تأييد الصهيونية إنما هي حماسة في عداوة الإسلام، وأن إسرائيل عدو مقتحم للبلاد الإسلامية).

وقال الثاني المؤرخ تونبي: (إسرائيل ليست طبقة حاكمة تكتفي بالسيطرة ووظائف الدولة، بل هي مجتمع كامل يهدد العالم الإسلامي كله ولا يقبل منه إلا من ينظرون إلى العالم الإسلامي نظره عداء)[3].

إن هذا التهديد للعالم الإسلامي تقوم به إسرائيل كرأس حربة للاستعمار الغربي في العصر الحديث، وهي تمثل قاعدته المتقدمة في الديار الإسلامية.

والواقع أنه إذا تأملنا موقع أرض فلسطين جغرافيًا نجد أنها تقع في موطن القلب من العالم الإسلامي المترامي الأطراف، ومن يدرس الحروب التي دارت على أرضها منذ عام ١٩٤٨ وبعد الاستعمار الصهيوني -أي دولة إسرائيل- لا يسعه إلا الحكم بأنها أصبحت بؤرة الصراع، وهذا بين الغرب والحضارة الإسلامية كما أكد الدكتور جمال حمدان، وهذا ما أوضحه السياسي الأمريكي هنتنجتون بكتابه الشهير (صراع الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي)، إنه يقرر أن عوامل الصراع بين الإسلام والغرب في أواخر القرن العشرين هي كالتالي:

(١) نفسه ص ١٧٢/ ١٧٣.

(٢) نفسه ص ١٧٣.

(٣) جلال العشري (مصطفى محمود شاهد على عصره) ص ٧١.

أولًا: خلّف النمو السكاني الإسلامي أعدادًا كبيرة من الشبّان العاطلين والساخطين الذين أصبحوا مجندين للقضايا الإسلامية ويشكلون ضغطًا على المجتمعات المجاورة ويهاجرون إلى الغرب.

ثانيًا: أعطت **الصحوة الإسلامية** ثقة متجددة للمسلمين في طبيعة وقدرة حضارتهم وقيمهم المتميزة مقارنة بتلك التي لدى الغرب.

ثالثًا: جهود الغرب المستمرة لتعميم قيمه ومؤسساته من أجل الحفاظ على تفوقه العسكري والاقتصادي، والتدخل في الصراعات في العالم الإسلامي تولّد استياء شديدًا من المسلمين.

رابعًا: سقوط الشيوعية أزال عدوًا مشتركًا للغرب والإسلام وترك كلًّا منهما ليصبح الخطر المتصور للآخر.

خامسًا: الاحتكاك والامتزاج المتزايد بين المسلمين والغربيين في كل من الجانبين إحساسًا بهويته الخاصة وكيف أنها مختلفة عن هوية الآخر[1].

وهذا ما قرره الدكتور جمال حمدان وفق دراسة شاملة مستدلًا بالبراهين بعد استعراضه لمراحل الاستعمار في العصر الحديث، اتضح بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية خروج بريطانيا وفرنسا مضعضعتين من الصراع وانتقالهما من دور النضج إلى دور الشيخوخة والانكماش، وفي النتيجة، **فإن الإمبريالية الأمريكية الجديدة** لم ترث الإمبريالية البريطانية والفرنسية القديمة فحسب كما هو شائع، وإنما ورثت في الحقيقة كل الرأسماليات المنتفخة، بريطانية وفرنسية وألمانية وإيطالية ويابانية، وعند هذا الحد يمكن تشخيص خطر الولايات في أنها أول دولة في التاريخ اجتمعت فيها كل عناصر القوه ومقوماتها، ولكن أيضًا كل أعراضها وأمراضها، وتضخمت آلة الحرب تضخمًا رهيبًا جعل الحكم فيها أدنى إلى شركة مساهمة بين الاحتكارات والعسكرية، أو بين تجار الأسلحة وتجار الحروب، ومن الواضح أن أخطر مناطق العدوانية في العالم الثالث هي في الحقيقة أخطر مناطق التسليح الغربي كما أثبتت حرب ١٩٦٧؛ **حيث ظهرت إسرائيل كترسانة أمريكية مسلحة حتى الأسنان، وأصبحت هي أكبر منتفع في العالم في المواجهة بين الاستعمار الجديد والعالم الثالث. ويرى الدكتور جمال حمدان أن بؤرة الحرب ومعقل الإمبريالية في العالم**

(١) صامويل هتنجتون (صدام الحضارات.. إعادة صنع النظام العالمي) ص ٣٤٢ ترجمة: طلعت الشايب تقديم/ صلاح قنصوة – ط سطور ١٩٩٨م وتقع في ٥٢١ صفحة من القطع الكبير.

العربي إنما هي القاعدة الاستعمارية الصهيونية، والصهيونية العالمية جزء لا يتجزأ عضويًا من الإمبريالية العالمية[1].

إن الذي يعنينا بعد هذا العرض الموجز لبيان أطماع الإمبريالية الأمريكية الجديدة وصلتها الوثيقة بالقاعدة الاستعمارية الصهيونية، ما يقترح الدكتور جمال حمدان ويراه ضروريًا في هذه المرحلة هو التضامن السياسي الوثيق في المجتمع العربي الدولي لمجابهة الأخطار الخارجية والتعاون لتحرير الدول الإسلامية المستعمرة وعلى رأسها بالقطع فلسطين المحتلة. تلك جميعًا هي المجالات الحقيقية والفعالة والواجبة لتفاعل العالم الإسلامي سياسيًا[2].

ومهما يكن من أمر فإنه يستدعي من الدولة الإسلامية الحد الأقصى من التعبئة الشاملة المكثفة لكل طاقاتها ومواردها وإمكانياتها؛ حتى يحتفظ العالم الإسلامي بمكانته العالمية وهيبته في السياسة الدولية، بل حق الحياة والبقاء في العالم المعاصر، ولا يصدق هذا كما يصدق على أخطر بنود هذا البرنامج وأكثرها مصيرية، وهي قضية فلسطين التي تحتاج بهذا إلى وقفة خاصة[3].

إن فلسطين عين القلب من العالم الإسلامي، لا جغرافيا فحسب، بل دينيًا أولًا وقبل كل شيء. أن يكون العالم العربي هو قلب العالم الإسلامي روحيًا وموقعًا فإن فلسطين -كمصر في هذا الصدد- هي أرض الزاوية من العالم الإسلامي طبيعيًا.

وبالفعل فإنها تقع في صُرة العالم الإسلامي، تتوسطه ما بين الصين شرقًا والأطلسي غربًا، وما بين وسط آسيا شمالًا وجنوب إفريقيا جنوبًا، بل لقد كانت القدس هي مركز العالم كله في (خرائط العجلة) الكنسية التي صنعتها العصور الوسطى.

غير أن فلسطين إلى ذلك، وأكثر من مصر هذه المرة، جزء حميم من صميم من أرض الرسالة في الإسلام. إن مهد الإسلام يمتد كمحور طولي بين الحجاز وفلسطين، وكل من هذين القطبين الشمالي والجنوبي، هو بحق عاصمة الإسلام دينيًا. إن مكانة فلسطين في العالم الإسلامي تتلخص ببساطة وبما فيه الكفاية في أنها من منطقة النواة وقدس الأقداس فيه أرضًا ودينًا.

(١) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار الجديد) ص ٣٥٦/ ٣٦٩/ ٣٨٠ باختصار مكتبة الأسرة ١٩٩٩م -الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) د/ جمال حمدان (العالم الإسلامي المعاصر) ص ٢٠٦ مكتبة الأسرة ١٩٩٧م - الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) نفسه ص ٢٠٨.

والكارثة التي تعرضت لها فلسطين على يد الصهيونية الإسرائيلية هي سابقة ليس لها مثيل قط في تاريخ العالم الحديث، لا العالم الإسلامي، ولا العالم الثالث، إنها ليست استعمارًا قديمًا أو جديدًا فحسب، ليست حتى استعمارًا استيطانيًا أو عنصريًا وحسب، ولكنها كذلك وقبل ذلك **استعمار إبادي إحلالي صرف**(1).

إن المد الاستعماري الذي تعرض له العالم الإسلامي برمته في القرن التاسع عشر، والذي كان جزءًا من موجة «الاستعمار المداري» تعاصرت معه أولى محاولات الصهيونية العالمية، التي ركبت بالفعل نهايات موجته عملًا على تحقيق حلمها في الدولة اليهودية أو بالأصح دولة اليهود. ومنذ تلك البداية والصهيونية العالمية جزء لا يتجزأ عضويًا من الإمبريالية العالمية، وقد استمرت بعدها وهي أعلى مراحل الاستعمار في العالم العربي، وهي الآن أعلى مراحل الإمبريالية العالمية. إنها قطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار **والصهيونية بكل بساطة هي السرقة!!**(2).

ولكن يحذرنا الدكتور جمال حمدان من التمادي في روح التخوف من الصدام والعداء، فهو الاستسلام للعدوان، لا يزيد المعتدي إلا طغيانًا، بينما المواجهة الصلبة والمقاومة تؤدي إلى انكسار موجته وترغمه في النهاية على التعقل.

وفي موضع آخر من كتابه (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) يدخل الطمأنينة على قلوبنا للاستمرار في المقاومة والتصدي للعدوان، وحجته في ذلك أن المؤرخ البريطاني توينبي **يتوقع أمد حياة قصيرة للصدارة الأمريكية في العالم،** فلا يتنبأ لها أكثر من خمسين سنة على الأكثر من البداية إلى النهاية، وهو مدى قصير للغاية إذا قورن بالصدارة البريطانية أو الفرنسية في الماضي!!(3).

كذلك يقرر أن فلسطين هي اليوم وعاء الوحدة الإسلامية السياسية، مثلما هي مقياسها ومحملها الحق والحقيقي. وإذا كان ثمة للعالم الإسلامي من وحدة سياسية فهي وحدة العمل السياسي، **وهي العمل من أجل إنقاذ واستنقاذ فلسطين للعروبة والإسلام..** ومن واجب العالم الإسلامي كما يرى كثيرون أن يتنادى إلى «**إسلامية المعركة**»، وعليه أن يشارك في مقاطعة العدو المشترك الدخيل الغاصب ومحاصرته سياسيًا واقتصاديًا، وهو أضعف الإيمان وليس من المتصور على الإطلاق -كمجرد مثال- أن تعترف دولة إسلامية بكيان العدو بأي شكل من الأشكال، أو

---

(1) نفسه ٢٠٩.

(2) نفسه ص ٢٠٩.

(3) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) ص ٣٦٠ مصدر سابق.

تتعامل معه دبلوماسيًا أو تتبادل تجاريًا، إن المبدأ الصحيح بلا حدود هو أن تحرير فلسطين «هو» وحدة العالم الإسلامي السياسية، وأن وحدة العالم الإسلامي السياسية إنما هي فلسطين[1].

ويذكّر الدكتور جمال حمدان المسلمين بأن الصهيونيات أسوأ من صليبيات جديدة، فما كانت الصليبيات في العصور الوسطى إلا استعمارًا استغلاليًا فقط، تختفي وراء الصليب، أما الصهيونيات التي تتخفى وراء النجمة السداسية **فاستعمار استيطاني استهدف اقتلاع وتصفية الشعب الأصلي تصفية جسدية، ويعمل على تهويد الأرض وتغيير طبيعتها ومعالمها إلى الأبد.** وبالمقارنة فإنها تجمع بين أسوأ ما في الصليبيات وشر ما في المغوليات الوثنية من تخريب وبربرية، والتي كان طوفانها المدمر أكبر خطر تعرض له العالم الإسلامي في العصور الوسطى، إن العدو الإسرائيلي الصهيوني يأتينا سافرًا كدعوة طائفية دينية وخطرة، لا يستهدف الأرض المقدسة في فلسطين فحسب، فما هو إلا الخطر الواقع وإن هي إلا «إسرائيل الصغرى»، أما الخطر الكامن بل المعلن، حلم «إسرائيل الكبرى» وحدودها تعني نصف المشرق العربي بالتقريب، ويضم كلًّا من أرض الإسلام المقدسة، بل كل دائرة الرسالات، ويُراد في قلب العالم العربي، وفي الوقت نفسه صرة العالم الإسلامي. ويختم ذلك بقوله: **(التهديد إذًا لا يقتصر على العالم العربي وحسب، وإنما يمتد إلى العالم الإسلامي أيضًا وضمنًا، وليس المسجد الأقصى وحرقه إلا رمز ومؤشر لما ينتظر العالم الإسلامي جميعًا، ومن هذه الزاوية فإن الصهيونيات اليوم هي بلا مبالغة أو مزايدة أكبر خطر وتحد يواجه العالم الإسلامي المعاصر)**[2].

وربما كان هذا الخطر المحدق بالمسلمين دافعًا للأستاذ محمد عبد العزيز منصور أن ينادي بأعلى صوته: (يا مسلمون! إن كل ما لحق بالأمة العربية المسلمة خلال عشرات السنين الماضية، وإن كل ما يلحق بها الآن من تمزق وتفرق وهزائم ونكسات وخاصة على ساحة القضية الفلسطينية، يؤكد تأكيدًا جازمًا ما كان الإسلاميون ومن انفكوا وسيظلون يؤكدون -بكل ثبات ووضوح- من أن قضية فلسطين وكل قضية إسلامية أخرى لا يمكن أن تجد سبيلها إلا عن طريق الحل الإسلامي.

---

(١) د/ جمال حمدان (العالم الإسلامي المعاصر) ص ٢١٦/ ٢١٧ مصدر سابق.

(٢) نفسه ص ٢١٥.

ولقد أكدت الأحداث في الفترة الأخيرة وما تمخض عنها من اتفاقيات، ومفاوضات ومعاهدات سلام مع اليهود -أكدت أن إبعاد الإسلام عن قضية فلسطين كان أمرًا مقصودًا)!![1].

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ النمل: ٥١.

حاشية: دور الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة حضارة لم يسبق لها مثيل:

يقول الدكتور جمال حمدان: (خرج عرب الإسلام من قلب الجزيرة العربية ليجنوا دولة لم تسبقها من قبل دولة في الامتداد والرقعة، ولم يلحقها بعد إلا **إمبراطوريات العصر الحديث وحدها، بل هي في نظر (ماكيندر) الإمبراطورية العالمية الأولى في التاريخ تقلّد الإسكندر وتسبق نابليون!!**

ويجادل كثير من الكتاب الغربيين -في لجاج مفهوم!- بأن هذه الدولة كانت إمبراطورية استعمارية لم تخرج عن أن تكون غزوًا، وإخضاعًا وتبعية!!

وعندئذ يبطل الدكتور جمال هذا الزعم الكاذب تمامًا ويقول: (والحقيقة أن الدولة الإسلامية العربية **كانت إمبراطورية تحريرية بكل معنى الكلمة، فهي التي حررت كل هذه المناطق من ربقة الاستعمار الروماني أو الفارسي المتداعي واضطهاده الوثني وابتزازه المادي.**

وبعدها لم تعرف الدولة الجديدة عنصرية أو حاجزًا كونيًّا، بل كانت وحدة مفتوحة من الاختلاط والتزاوج الحر، وما عرفت قط شعوبية أو حاجزًا حضاريًّا حيث كانت وحدة متجانسة مشاعًا للجميع.. إن أخوة الدين كان يقابلها أخوة الأقاليم، وسواسية الناس كانت تُترجم سياسيًّا إلى سواسية الولايات والمقاطعات، والحقيقة أن الدولة الإسلامية العربية كانت شركة مساهمة بين كل من أعضائها وأطرافها، ويفسر حيرة الكتاب الغربيين؛ إذ كيف تقدم هذه الدولة بالمقياس الجغرافي والإحصائي وحدة تسبق زمانها وعصرها بقرون؟!

ويرد على هذه الحيرة والتساؤل بقوله: (لا شك أن جذوة الحماس الديني المستعرة هي التي ألهبت خيال «المؤمنين» حتى تحولت بهم إلى شعلة ملتهبة، وتحولوا هم بها إلى مشعل مضيء[1]، إنه الجهاد في سبيل الله).

---

(١) محمد عبد العزيز منصور (اليهود المغضوب عليهم) ص ٢٩٩ ط دار الاعتصام سنة ١٩٨٠.

دور كل من عصبة الأمم وهيئة الأمم في تأسيس إسرائيل:

ولدت إسرائيل من نظام «الانتداب الاستعماري» على فلسطين وسياسة بريطانيا في ظله.. وقد نشأ هذا النظام في ظل عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الأولى ووفق تصريح بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ بوطن قومي لليهود بفلسطين، وتصريح بلفور هذا انضمت إليه فرنسا وإيطاليا وأدمج في ميثاق الانتداب وخاصة في ديباجته، وقد رأى الميثاق في مادة/ ٤ ومنه الاعتراف بجهاز أو كيان يهودي له صفة استشارية إلى جوار السلطات المنتدبة، وبالتالي فقد أنشأت المنظمة الصهيونية على هذا الأساس في سنة ١٩٢٩ الوكالة اليهودية، وقامت العديد من المؤسسات المالية المختلفة بشراء الأراضي حتى تحقق الهجرة، وازداد العدد باطراد وبلغ سنة ١٩٣٦ نحو ٤٠٠ ألف، وتضخمت تل أبيب من ألفي ساكن إلى مدينة من ١٥٠ ألف ساكن، بينما كان عدد اليهود عند قيام الحرب الثانية محدودًا للغاية في فلسطين، فلم يزد على ٦٠ ألفًا بحيث إن عددهم كان أقل من المسيحيين بها الذي كان عددهم ٧٠ ألفًا، بينما بلغ عدد العرب من المسلمين ١٠ أضعاف عدد اليهود، أي نحو ٥٥٠ ألفًا[٢].

وحدثت اضطرابات بين العرب واليهود سنة ١٩٢٩ عند حائط المبكى، ثم في سنة ١٩٣٦، ثم أخذت اليهودية الإرهابية تستخدم سياسة العنف والرعب في سنة ١٩٤٥.

وجاء دور هيئة الأمم المتحدة بعد عصبة الأمم، فقررت في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧ تنفيذ خطة لتقسيم فلسطين، ثم نشأت دولة إسرائيل وانضمت للأمم المتحدة في مايو سنة ١٩٤٩. وتفاقمت الاضطرابات والمشكلات في إطار حرب فعلية ومقتل كنت برنادوت وسيط الأمم المتحدة، وهكذا انتهى الانتداب في إطار حرب طائفية، وكانت الحرب بين دول الجامعة العربية وبين المنظمات اليهودية في فلسطين ثم دولة إسرائيل[٣].

---

(١) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) باختصار شديد؛ حيث إن عرض الدولة الإسلامية العربية استغرق الفصل الثاني من كتابه من ص ٢٦ إلى ص ٣٦ ط، مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م.

(٢) كذلك في وثيقة (وعد نابليون) سنة ١٧٩٩ لليهود. «ورثة فلسطين الشرعيين» (مقال الدكتور بهاء أمير) ص ١٣١ وسيأتي التعريف به.

(٣) نفسه ص ١٦ (الاستعمار كظاهرة عامة).

والجدير بالذكر أن أهداف هذه الهيئة مرتهن بإدارة الولايات المتحدة التي تستخدم هيئة الأمم المتحدة كأداة لتحقيق أغراضها.. وقد تأكد أن تجاوزات استخدام حق (الفيتو) قد شلّت مجلس الأمن، وأثبت عدم فعالية منظمة الأمم المتحدة، بسبب افتقادها لاتخاذ إجراءات رادعة بما في ذلك الإجراءات المسلحة ضد الفريق الذي لا يحرم تعهداته (وظهر ذلك جليًا في موقف الولايات المتحدة حيال إسرائيل دائمًا)!!

كتاب (الأمم المتحدة: الشرعية الجائرة) عرض ناهد عرنوس (مجلة حصاد الفكر) المحرم ١٤٢٠هـ - مركز الإعلام العربي بالقاهرة.

وبعد حرب سنة ١٩٦٧ اتخذت إسرائيل القدس عاصمة لها. وتقرّر الدكتورة حورية مجاهد أن **نظام الانتداب الاستعماري على فلسطين** قد تخلف عنه حتى الوقت الحاضر، المشكلة التي عانى منها العالم العربي (ولا يزال)، وهي مشكلة فلسطين وتشريد الفلسطينيين من موطنهم ليصبحوا لاجئين في العديد من الدول العربية. .. وذلك من جراء نظام الانتداب في فلسطين وسياسة بريطانيا في ظله وظل تحيزها في هذا إلى جانب اليهود، ولما كان نظام الانتداب قد نشأ بواسطة عصبة الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الأولى.

نبذة عن نشأة عصبة الأمم وجذورها اليهودية:

للدكتور بهاء الأمير دراسة علمية عن تلك المؤسسة؛ حيث تتبعها منذ نشأتها، وعرّفنا بأصحاب الفكرة في تأسيسها وبيان أهدافها، وقد ذكر في البداية أن عصبة الأمم **هي من فكر واقتراح ليوبا فيلوفيسكي، وهو يهودي هاجر من روسيا إلى الولايات المتحدة عام ١٩٠٥، وقد وصلت فكرته إلى مستقرها في ذهن الرئيس الأمريكي ودرو ويلسون عن طريق الصهاينة المحيطين به من كل جانب.**

وقد وصل ويلسون إلى مؤتمر الصلح في باريس سنة ١٩١٩، وهو المؤتمر الذي خرجت فيه من مكانتها لأول مرة فكرة عصبة الأمم، وفي صحبته (١١٧) يهوديًا على رأسهم سكرتيره الخاص ديفيد هانس، وكان في استقباله وفد يهودي برئاسة لويس ليفي رئيس الحزب الاشتراكي الفرنسي[1].

وأما باقي طاقم مؤتمر الصلح الذي «لقح» فيه اليهود أذهان الزعماء بفكرة عصبة الأمم، فالبريطاني لويد جورج رئيس الحكومة في صحبة الخاص اليهودي إيلي ساسون والفرنسي كلينصو في معية سكرتيره مانزل وروتشيلد.

أما المثير للدهشة فهو أن البروتوكولات ليست هي المصدر الوحيد يرد فيه تخطيط اليهود لإنشاء منظمة دولية تتولى عبر الجالسين حول موائد موائدها وتحت أسقف قاعاتها تسيير الأحداث ودفعها إلى اتجاه اليهود الذين لن تراهم بعينك؛ لأنهم مستقرون في أذهان من حول الموائد وداخل القاعات، فقد جاء في محاضر مؤتمر المحافل الماسونية العالمية، وهو مؤتمر علني انعقد في الفترة من ٢٨ إلى ٣٠/ ٦/ ١٩١٧ -لقد تحولت هذه الحرب إلى نزاع رهيب بين

---

(١) د/ بهاء الأمير – مقال بعنوان: (بروتوكولات حكماء صهيون) الرأي الآخر ص ١٢٨ مجلة (المنار الجديد) ٢٢ ربيع ٢٠٠٣ ربيع ١٤٤٣هـ- أبريل ٢٠٠٣م.

الديمقراطيات المنظمة والقوى العسكرية الجبارة- لقد تحطمت في هذا الإعصار القوى القديمة، ولا بد من خلق سلطة عالمية عليها. **إن الماسونية الحرة صانعة السلام تطرح على بساط البحث إنشاء هذه المنظمة الجديدة (عصبة الأمم).**

كذلك أعلن الزعيم الصهيوني والمؤرخ اليهودي ناحوم سوكولوف أن عصبة الأمم فكرة يهودية خلقناها بعد كفاح دام ٢٥ سنة، وستكون أورشليم يومًا ما عاصمة السلام العالمي، وقد نشرت تصريحه جريدة نيويورك تايمز يوم ٢٨/ ٨/ ١٩٢٢.

هذا، وقد عاصر الدكتور بهاء الأمير وقت كتابته لمقاله حربًا وحشية إسرائيلية على الفلسطينيين كالعادة، فوجدها مناسبة تعزز ما استنتجه من دراسته؛ إذ عثر على نص أيضًا من البروتوكولات يتوعد فيه من يقف أمام اعتداء اليهود **(إن أي عمل ضدنا هو نكبة)**، ثم يدعو لمن ينكر نسبة البروتوكولات للصهاينة عليه الاطلاع على شاشات التلفاز لكي يرى دماء الفلسطينيين المهدورة وأرضهم المستباحة من اليهود في صمت وعجز وذلة من حكومات الدول العربية ومن جامعاتهم، وفلسطين عضو فيها، ثم عليه أن يقرأ تفسير هذا الصمت والعجز والخزي في البروتوكول الخامس).

أليس صمت الجميع وخزي الجميع ودفن الجميع رؤوسهم في الرمال خوفًا وهلعًا لأنهم: **(إذا اتفقوا أو تحركوا ضدنا؛ فعندئذ سنجيبهم بالمدافع الأمريكية! كما ينص البروتوكول السابع؟!)**[1].

ومما يسترعي الانتباه أيضًا ويعزز موقف الدكتور بهاء الأمير أن الدول الاستعمارية الغربية في البداية كانت فرنسا وبريطانيا، ثم حلّت مكانها الولايات المتحدة.

أما ما يتصل بالخلافة العثمانية فقد أثار اهتمامه بصفة خاصة النص الوارد بالبروتوكولات الذي ينص على طريق الأفعى اليهودية إلى الآستانة؛ مما جعل (نيلوس) أو المترجم للبروتوكولات **يتنبأ بسقوط الخلافة الإسلامية قبل سقوطها باثنين وعشرين عامًا على يد يهود الدونمة**، والعجيب أن اللجنة الرباعية الرسمية التي سلّمت للسلطان عبد الحميد -رحمه الله- وهو العقبة الكؤود في وجه زحف الأفعى اليهودية- مرسوم خلعه عام ١٩٠٨ كان يرأسها اليهودي إيمانويل قراصو، ثم نص -رحمه الله- إلى تسالونيكي مدينة اليهود، ثم بعد ذلك بخمسة عشر عامًا كان مبعوث أتاتورك إلى مؤتمر لوزان بسويسرا عام ١٩٢٣، وهو المؤتمر الذي

(١) نفسه ص ١٢٩.

تم فيه عقد صفقة إلغاء الخلافة والشريعة بين أتاتورك والغرب، هذا المبعوث كان حارس ناحوم أفندي حاخام اليهود الأكبر في الخلافة العثمانية، والذي أتى بعد أن أتم مهمته في إسقاط الخلافة ونزع تركيا من الإسلام، انتقل إلى مصر ليصبح حاخام اليهود الأكبر فيها!!

أما محطة وصول الأفعى اليهودية كما هي مرسومة وكما وصفها نيلوس فهي (القدس)، وهو ما حدث بعد البروتوكولات بعشرات السنين؛ **إذ استولى اليهود على القدس الغربية عام ١٩٤٨ وعلى الشرقية عام ١٩٦٧**(١).

هذا، وبعد أن قامت عصبة الأمم بدور التأسيس في المرحلة الأولى لإقامة إسرائيل جاءت هيئة الأمم المتحدة لتكمل دور التمكين والتوسّع وخاصة في حرب ١٩٤٨؛ إذ يقرر لواء أ. ح دكتور إبراهيم شكيب في دراسته الموضوعية لتلك الحرب كقائد عسكري مزود بالعلوم العسكرية ودارس للتاريخ، يقرر أن هيئة الأمم المتحدة أكدت وجود الدولة اليهودية، ومكّنت هذه الدولة من توسيع حدودها بما يتجاوز الحدود المنصوص عليها في قرار التقسيم، وشجع الإسرائيليين على المطالبة باستمرار استخدام القوة من أجل بلوغ أهدافهم، وأصبحوا غير عابئين بأجهزة الأمم المتحدة وقراراتها!!

بل كان للأمم المتحدة دور حيوي في توفير الأساس القانوني لوجود إسرائيل وفترة التقاط الأنفاس التي كانت في مسيس الحاجة إليها إبان فترة الهدنة الأولى في حرب ١٩٤٨، وكل ذلك خلال القرارات التي أصدرتها والتي لولاها ما بلغت إسرائيل ما وصلت إليه.. ولا شك في أن إسرائيل قد حققت أضخم إنجازاتها العسكرية وحصلت على أضخم مكاسب إقليمية لها خلال الهدنة الثانية بانتهاك الهدنة وقرارات مجلس الأمن الصادر في ١٦ أغسطس و١٤ أكتوبر وفي ٤ نوفمبر عام ١٩٤٨، ولقد أدى نزوع إسرائيل إلى التفاخر بانتصارها إلى غرس الاعتقاد في نفوس كثير من العرب بأنهم لن يستعيدوا احترامهم لأنفسهم إلا بإثبات قدرتهم في معركة قادمة(٢).

حاشية:

إنّ استمرار دور عصبة الأمم بواسطة هيئة الأمم المتحدة ودعم الولايات المتحدة الأمريكية الدائم! لا يخفى على أي محلل إستراتيجي وكذلك التأييد الدائم للولايات المتحدة والمساعدة

(١) نفسه ص ١٢٥/ ١٢٦ باختصار.

(٢) لواء أ. ح د/ إبراهيم شكيب (حرب فلسطين سنة ١٩٤٨: رؤية مصرية) ص ٥٣٠ باختصار، ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م ويقع الكتاب في ٦٠٠ صفحة من القطع الكبير.

التي تقدمها لإسرائيل في المحافل الدولية؛ إذ تستخدم حق الفيتو لكي تجهض أي مشروع قرار يتبناه مجلس الأمن الدولي يدين فيه إسرائيل، وقد استخدمت أمريكا هذا الحق في إجهاض ٦٠ قرارًا تدين إسرائيل.. كما أن تهديدها باستخدامه قد تسبب في عدم عرض ٩٠ مشروع قرار آخر بالإدانة، أي أن أمريكا منعت المجتمع الدولي من إدانة إسرائيل في ١٥٠ حالة!![(١)]

***

(١) الفريق سعد الدين الشاذلي (الحرب الصليبية الثامنة: العدوان على العراق) ص ٣٠١ ط٢ عيون المقالات -الدار البيضاء سنة ١٩٩١م.

ومات الفريق الشاذلي رحمه الله تعالى فلم يعاصر المشكلة الفعلية للولايات المتحدة في حرب (طوفان الأقصى) ٧ أكتوبر ٢٠٢٤ بالسلاح والعتاد الدائم، بل إن رئيسها (بايدن) شارك بنفسه في مجلي الحرب الإسرائيلي!!

الباب الثالث

الفصل الأول: امتداد الحروب الصليبية حتى عصرنا الحديث.

الفصل الثاني: الاستيطان.

الفصل الثالث: الموقف الديني الأوروبي من إسرائيل.

الفصل الأول

امتداد الحروب الصليبية حتى عصرنا الحديث [1]

نبذه تاريخية عن بيت المقدس:

إن بيت المقدس هي عاصمة الشام من زمن لا يعلمه إلا الله عز وجل، وهي الأرض التي وصفها الخالق عز وجل بالمباركة في قوله تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا لِلْعَٰلَمِينَ﴾ الأنبياء: ٧١.

يقول الإمام القرطبي: «الأرض» أرض الشام (سوريا وفلسطين)، وقال ابن عباس: وقيل إنها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، وقيل بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء[2].

وبيت المقدس تضم موضعًا من المواضع التي لا تشد الرحال إلا إليها؛ لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسجد الأقصى**) [رواه البخاري].

والمسجد الأقصى بارك الله حوله، يقول الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ الإسراء: ١.

وقد ثبت في صحيح مسلم عن أبي ذر قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أول مسجد وضع في الأرض قال: (**المسجد الحرام**، قلت: ثم أي؟ قال: **المسجد الأقصى**، قلت: كم بينهما؟ قال: **أربعون عامًا ثم الأرض لك مسجد فحينما أدركت الصلاة فصلِّ**).

---

(١) هذا، وتعريف الحروب الصليبية كما ورد في أكبر معجم للغة الفرنسية كما يلي: (حملة عسكرية كان المساهمون فيها يرتدون صليبًا من القماش قد تمت حياكته على صدور ثيابهم. وهي حروب قام بها المسيحيون الأوروبيون في القرون الوسطى لتحرير الأراضي المقدسة من أيادي المسلمين).

د/ زينب عبد العزيز (حروب صليبية بكل المقاييس «صليبية الغرب وحضارته») ص ٧ ط دار الكتاب العربي، دمشق - القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

(٢) د/ جمال عبد الهادي (أخطاء يجب أن تُصحح في التاريخ: الطريق إلى بيت المقدس) القضية الفلسطينية - جـ١ ص ٨/ ١٠ ط دار الفنار - المنصورة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

وقد سُمي الأقصى لبعد المسافة بينه وبين الكعبة (والمسجد الأقصى هو بيت المقدس) تفسير القرآن العظيم لابن كثير ص٢٤.

وقد أرّخ الدكتور جمال عبد الهادي للأرض المقدسة منذ آدم عليه السلام الذي بنى المسجد الأقصى وذريته المسلمة وكانوا أئمة على الأرض المباركة، قال ابن عباس: قيل إنها مباركة لكثرة خصبها وثمارها وأنهارها، ولأنها معادن الأنبياء، وقيل بيت المقدس لأن منها بعث الله أكثر الأنبياء، ويقول الإمام القرطبي (الأرض): أرض الشام سوريا وفلسطين(١).

وعن سليمان -عليه السلام- قال: (قام بتجديد وإكمال مسجد بيت المقدس (المسجد الأقصى) الذي أسسه آدم عليه السلام، وقام بتجديده وعمل إضافات له أكثر من شخص منهم إبراهيم ويعقوب وداود عليهم السلام.. أي أن سليمان عليه السلام لم يبن هيكلًا كما زعمت يهود ولكنه بنى مسجدًا يتعبد فيه المسلمون لله عز وجل)(٢).

وبعد أن سرد أيضًا دور صلاح الدين الأيوبي في جهاده ضد الصليبيين، ذكر أنه فتح بيت المقدس واستنقذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة(٣).

وبعد هذه النظرة الخاطفة للتاريخ القديم للمدينة المقدسة التي يتضح فيها أن ادعاءات إسرائيل في حقها بأرض فلسطين هي مجرد أساطير لا سند لها (كما وصفها الفيلسوف الفرنسي رجاء جارودي) بكتابه الشهير.

أما التاريخ الحديث فقد لخصه الدكتور جمال حمدان أستاذ الجغرافيا السياسية؛ إذ يقرر أن تكوين إسرائيل مر بمرحلتين: التغلغل ثم الغزو.. فبعد عدّة موجات من التسلل والتسرب المبعثر حتى ما قبل الحرب العالمية الأولى، فتح الانتداب باب الهجرة إلى الوطن القومي ليبدأ تغلغل حقيقي خلق جسمًا خطيرًا من أقلية يهودية كبيرة، وانتزع موطئ قدم بسياسة شراء الأراضي المخططة من قبل، وبهذا وذاك تكوّنت النواة (البييوه)، أي المجتمع اليهودي في فلسطين، ونجح في خلق دولة داخل الدولة. وقد اتسمت هذه المرحلة بالدموية في شكل عصابات يهودية شجعها الانتداب الإنجليزي، في وجه مقاومة عربية ثورية قاومها الانتداب بالقوة.

أما مرحلة الغزو فتم فيها الاغتصاب الشامل بعد انسحاب الانتداب متواطئًا -في سنة - ١٩٤٨، وعن طريق حرب ضد العرب، وفي هذه الحرب التي حدد مصيرها سياسة التسليح

---

(١) نفسه ص ٩/ ١٠.

(٢) نفسه ص ٤١.

(٣) نفسه ص ١١٣.

ومناورات السياسة من جانب الدول الاستعمارية، طرد نحو مليون من العرب الأصليين خارج الأرض المحتلة، بينما تدفقت الهجرة الكبرى لتجمع في النهاية نحو المليونين من الصهيونيين، يمثلون حوالي ١٣٪ من اليهودية العالمية.

وقد اعتبرت إسرائيل نفسها من ذلك الوقت -إسرائيل الصغرى- فقط، على أساس أن هدفها المعلن هو إسرائيل الكبرى، من النيل إلى الفرات، وفي سبيل تحقيق هذه الخطة قامت بحربين عدوانيتين أخريين مع الدول العربية في ١٩٥٦و١٩٦٧، عملت فيهما بالتواطئ مع دول الاستعمار الغربي، ولكنها فشلت في التوسع في الأولى، أما الثانية فلا زالت المواجهة قائمة.

تلك هي الحقائق البحتة في قيام ووجوب إسرائيل، منها يمكن للجغرافي السياسي أن يحدد في إطار موضوعية العلم المطلقة التشخيصات والنتائج الآتية:

فأولًا -إسرائيل- كدولة ظاهرة استعمارية صرفة، فهي قد قامت على اغتصاب غزاة أجانب لأرض لا علاقة لهم بها دينيًا أو تاريخيًا أو جنسيًا، وإن زعموا عكس ذلك تمامًا ودوامًا، دينيًا لأن رؤيا العودة الخرافية والوعد الأسطوري المزعوم لا أساس لهما أو سند من الدين، وإلا لجازت نفس العودة لبقية الأديان، فضلًا عن أنه ليس على أصحاب دين أي التزام بدعاوى أصحاب دين آخر، وتاريخيًا لأن علاقة اليهود بفلسطين انقطعت تمامًا منذ نحو ٢٠ قرنًا، وجنسيًا لأن هناك «يهودين» في التاريخ: قدامى ومحدثين، ليس لهما أية صلة أنثروبولوجية مذكورة، ذلك أن يهود فلسطين التوراة بعد الخروج تعرضوا لظاهرتين أساسيتين طوال ٢٠ قرنًا من الشتات في المهجر: خروج أعداد ضخمة منهم بالتحول إلى غير اليهودية ودخول أفواج لا تقل ضخامة في اليهودية من كل أجناس المهجر، واقترن هذا بتزاوج واختلاط دموي بعيد المدى **انتهى بالجسم الأساسي من اليهود المحدثين إلى أن يكونوا شيئًا مختلفًا كلية عن اليهود القدامى، ولم يعد اليهود اليوم من نسل بني إسرائيل التوراة بأي نسبة ذات بال**. وبهذا فعودة اليهود إلى فلسطين بالاغتصاب هو غزو وعدوان غرباء لا عودة أبناء قدامى، أي استعمار لا شبهة فيه بالمعنى العلمي الصارم، وإسرائيل بالتالي تمثل جسمًا غريبًا ودخيلًا مفروضًا على الوجود العربي أبدًا غير قابل للامتصاص.

ثانيًا: إسرائيل استعمار طائفي بحت، والدولة دولة دينية صرفة، فهي تقوم على تجميع اليهود واليهود فقط في جيتوسياسي واحد، ومن ثم فأساسها التعصب الديني ابتداءً.

ثالثًا: إسرائيل استعمار عنصري مطلق، وذلك بكل معنى العنصرية من استعلاء وتعصب واضطهاد ودموية.

رابعًا: إسرائيل قطعة من الاستعمار الأوروبي عبر البحار، فمع أن إسرائيل منصَّفة عدديًا بين اليهود الغربيين الإشكناز واليهود الشرقيين السفارديين؛ فإن القيادة والسيطرة المطلقة للصنف الأول.

خامسًا: إسرائيل استعمار سلبي في الدرجة الأولى، وهي كأستراليا والولايات المتحدة، انتظمت قدرًا محققًا من إبادة الجنس.

سادسًا: هي دولة عسكرية في صميم تنظيمها وحياتها، وأمن إسرائيل هو مشكلتها المحورية، أما حلها وقد تحدد في أن أصبح جيشها هو سكانها وسكانها هو جيشها، وهو ما يعبر عنه بعسكرة إسرائيل.

سابعًا: إسرائيل استعمار توسعي أساسًا، وأطماعها الإقليمية معلنة بلا مواربة.

ثامنًا: وأخيرًا فإن إسرائيل استعمار بالأصالة والوكالة في نفس الوقت، فقد قامت وامتدت بفعل ولحساب نفسها والصهيونية العالمية، وكذلك قامت وامتدت بفضل ولحساب الاستعمار العالمي[1].

الصهيونية كامتداد للحروب الصليبية في العصر الحديث:

يجمع المؤرخون على أن الاستعمار الغربي وفي مقدمته إنجلترا هو المسئول عن غرس الكيان الصهيوني في قلب العالم العربي والإسلامي، كما أنه امتداد وتعبير عن الأحقاد وأعمال القهر والعدوان التي كانت طابعًا للحروب الصليبية.

يقول الأستاذ أنور رفاعي: (أوروبا تتقنع بالصليب لشن حرب دينية استعمارية على الشرق العربي خلال قرنين من الزمان، وإذا انجلت غمرة الموجات الصليبية بعد حروب طاحنة ولم يتحقق للأوروبيين هدفهم الرئيس فقد ظهر النزاع مرة أخرى في شكل أطماع صهيونية اعتمدت جميع أساليب الحروب الصليبية السابقة بتغيير الشعار فقط، فاستبدلت بالصليب شعار أرض

(١) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) من ص ١٩٩ إلى ص ٢٧٥ باختصار - مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م.

حاشية: هذا، وقد كشف الدكتور الطنطاوي -شيخ الأزهر السابق- اللثام عن دور اليهود في تأريث الحروب الصليبية؛ إذ أوضح أن اليهود حين رأوا عجزهم الصارخ عن العودة إلى البلاد المقدسة، حاولوا العودة، خلف المسيحيين، واتخذوا المال إحدى وسائلهم في ذلك؛ إذ كانوا يمثلون أغنى مراكز التجارة في الساحل الشمالي للبحر الأبيض المتوسط، فساعدوا الصليبيين على تكرار الحملات الصليبية باسم الصليب لتفتح لهم الطرق التجارية إلى الشرق عبر فلسطين).
مقال بعنوان: «تحليل علمي لكتاب (بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) في كتاب شيخ الجامع الأزهر، بقلم د/ رجب البيومي ص ٤٣ مجلة «الهلال» مارس سنة ١٩٩٩م.

الميعاد، واعتمدت الدين كرابطة قومية تجمع بين يهود العالم المختلف الجنسية.. ورغبت أن تتخذ من أرض فلسطين قاعدة لعدوان أوسع وأشمل على العالم العربي والإسلامي والمسيحي بتوسيع رقعة دولتها كما كان يطمع الصليبيون)(١).

وفي التاريخ لإنشاء الكيان الصهيوني، يقرر الشيخ محمد الغزالي رحمه الله أن اتفاقًا تم بين اليهودية العالمية وبين أقوى الدول النصرانية على ضرب الإسلام وإذلال أمته والقضاء الأخير على معالمه وتاريخه(٢).

ويضيف: (لقد قرروا إنشاء إسرائيل منذ ٧٠ سنة، وقرروا أن يشطروا بها العالم الإسلامي شطرين.. وقرروا أن يمنعوا بحسم أي محاولة للتجمع على الإسلام أو التذكير بشريعته أو التغني بأمجاده)(٣).

وتلخصت خطط اليهود في اشتراكهم في الحرب إلى جانب الحلفاء اشتراكًا فعليًا، وألفوا عصابات من المحاربين كان لها أكبر الأثر فيما حدث من تطور.

ويقول الأستاذ سعد جمعة رئيس الوزارة الأردنية الأسبق إن هدف الاستعمار الغربي وامتداده إسرائيل في منطقة الشرق الأوسط **هو تدمير الحضارة الإسلامية، وتقويض التراث الإسلامي، وأن قيام إسرائيل كظاهرة استعمارية عنصرية نازية غربية في قلب العالم العربي والإسلامي هو جزء من ذلك المخطط العريق،** وقاعدة عدوانية تضرب من خلالها الحضارة الإسلامية، وأن ذلك المخطط هو استمرار للحروب الصليبية في لبوس جديد لنفس الغرب ونفس الأهداف(٤).

وفي مجال ردّه على «روستو» كبير مستشاري الرئيس الأمريكي جونسون باقتراحه تعديل الحدود لصالح إسرائيل كنوع من ترتيبات من أجل السلام يقول الأستاذ سعد جمعه: (بقوله - أي روستو- إن حدود إسرائيل قبل ٥/ ٦/ ١٩٦٧ أصبحت غير مقبولة ويجب السماح لإسرائيل بالتوسع والتمدد والحصول على مكاسب إستراتيجية جديدة واحتلال مناطق عربية جديدة كخطوة أخرى في تحقيق حلم «إسرائيل الكبرى»(٥).

---

(١) أنور الرفاعي (تاريخ العرب والإسلام) ص ٤٣٣ وص ٤٣٦ دار الفكر - دمشق سنة ١٩٧١م - وقال لويد جورج: (إن فتح فلسطين هو الحرب الصليبية للإسلام) ط ٧ من كتاب (مصطفى محمود: شاهد على عصره)

(٢) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص ٦/ ٧ ط ٣ دار الفكر -دمشق ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م.

(٣) نفسه ص ١١٤.

(٤) سعد جمعة - رئيس الوزارة الأردنية - ووزير الدفاع إبان الهزيمة: كتابه بعنوان: (المؤامرة ومعركة المصير: كيف ولماذا وقعت مأساة يونيو سنة ١٩٦٧م؟) ص ٩٣/ ٩٤ - كتاب المختار (بدون تاريخ).

(٥) نفسه ص ٢٣٣.

وهو يضيف معركتنا الكبرى هي إسرائيل ومن هم وراء إسرائيل، معركة العرب والمسلمين، معركة حضارتنا وتراثنا وكرامتنا وشرف حاضرنا ومستقبلنا.

وكانت فرقة (الهاجاناه) اليهودية من الفرق التي شاركت في الحرب بنصيب موفور، وقد تألفت في ظل الوكالة اليهودية جماعات مسلحة انقلبت من بعد جماعات إرهابية تسمت إحداها باسم (شتيرن) وتسمت أخرى باسم (أرجون زفاي ليومي).. وقام شابان من أعضائها بقتل اللورد (موين) بالقاهرة، وكان وزيرًا إنجليزيًا، وكان يقف في وجه أطماع الصهاينة التي سعت إلى التهام أراضي العرب بواسطة الإرهاب، وقد اعترفا بعد القبض عليهما بأنهما جاء من فلسطين خصيصًا لارتكاب هذه الجريمة[١].

ويقول الدكتور محمد حسين هيكل: (وتكررت مظاهر العنف في صور مختلفة دالة على أن وايزمان وأصحابه لم ينفعهم وعد بلفور الإنجليزي أن يكون لهم في فلسطين وطن قومي يؤون إليه، بل يريدون أن ينشئوا دولة في أرض الميعاد، ولقد ذهب دعاتهم في هذا إلى أنهم يريدون أن يجعلوا من فلسطين دولة لهم، وقيل أكثر من هذا، أنهم قرروا في مؤتمراتهم السرية أن تمتد دولتهم من الفرات إلى النيل)[٢].

هذا وقد صرح السفاح الشهير (بيجن) بقوله: **(مهمتنا سحق الحضارة الإسلامية وإحلال الحضارة العبرية محلها، والمهمة شاقة)**[٣].

ولا يخفى على المتتبع لتاريخ إسرائيل دور دول الغرب الفعال، فمنذ البداية رأى (هرتزل) أن إسرائيل لن تستطيع البقاء في الشرق دون اندماج بالمنطقة، بشرط أن تكون منتدبة بشكل أو بآخر من قبل الاستعمار الغربي[٤].

وهكذا بفضل سيطرة اليهود وتغلبهم في الأجهزة الحاكمة الغربية قامت دول أوروبا، ثم أمريكا، بدورها على فرض إسرائيل على شعوب المنطقة فرضًا، فكانت ثمرة من ثمار الغرب وصورة طبق الأصل من حضارته كما يذكر ذلك صراحة (فرناند بردويل)[٥].

---

(١) د/ محمد حسين هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) ص ٣ ص ٢٢ دار المعارف سنة ١٩٩٠م.

(٢) نفسه ص ٢٤.

(٣) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص ١٧٠ ط ٣ دار القلم –دمشق ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

(٤) كتاب (ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية العالمية) ترجمة د/ مصطفى كامل فودة (ص١١٣) دار الشروق ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

(٥) فرناند برودويل (تاريخ وقواعد الحضارات) ص١١٣ ترجمة د/ حسين شريف، الهيئة المصرية للكتاب سنة ١٩٩٩م.

قامت حكومة (كروميل) الإنجليزية باستجلاب اليهود الذين عرفوا بأنهم استفادوا من علوم ومعارف النظام الإسلامي العالمي، استجلبتهم لاستخدام معارفهم الإسلامية في عملية اقتحام آسيا وإفريقيا.

وظهر دور فرنسا أيضًا بواسطة نابليون إبان حملته الاستعمارية على مصر وفلسطين سنة ١٧٩٩ والذي أصدر نداء إلى اليهود ودعاهم إلى الالتحاق بقواته، ووعدهم بإقامة دولة لهم على أرض فلسطين، كثمن لمشاركتهم في مجهوده الحربي[١].

وجاء دور أمريكا بعد إنجلترا؛ إذ حمل المهاجرون الأوائل معهم تفسيراتهم للعهد القديم، وكانت اللغة العبرية لغة مهمة في المستوطنات الأمريكية الأولى، ولا نعجب من ممارسة اليهود أرض فلسطين الأسلوب الاستيطاني؛ لأن أجدادهم سبق أن مارسوا في أمريكا مع الهنود الحمر[٢].

وكان الدكتور محمد حسين هيكل يتتبع قرار التقسيم لأرض فلسطين بين العرب واليهود في هيئة الأمم المتحدة؛ حيث قررت الجمعية إنشاء دولة إسرائيل بأغلبية لم تبلغ الثلثين من عدد الأعضاء الحاضرين، وذلك لكثرة الممتنعين عن التصويت، ومع ذلك اعتبر القرار بإنشاء دولة إسرائيل صحيحًا متفقًا مع ميثاق الأمم المتحدة!![٣].

وتفسيره أن مجموعة الدول الإسلامية صوتت بالطبع ضد قرار تقسيم فلسطين، وقد تعاطفت دول أخرى أيضًا رافضة قرار التقسيم لأنه ظالم؛ ولذلك لم يحصل القرار على أغلبية الأصوات في الدول التي أيدت القرار الأمريكي كانت تشكل أقلية.

وعندئذ قام الرئيس الأمريكي «ترومان» بتهديد فرنسا واليونان وهايتي وليبيريا والفلبين لكي يصوتوا في صالح هذا القرار. وجميع هذه الدول فقيرة أو كانت تحتاج إلى المساعدة والعون من الأمريكيين، فقيل لهم (إنكم إن لم تساندونا في هذه المسألة فسنقطع عنكم المساعدة أو المعونة، وسنلزمكم دفع الثمن، وبذلك استصدروا قرار التقسيم هذا بالقوة من خلال الأمم المتحدة)[٤].

---

(١) كتاب (المسألة اليهودية: القبيلة – الشريعة – المكان) إيلاف هليفي، بقلم نصر سمالي، ص ٧ سنة ١٩٨٦م.

(٢) نفسه ص ٣٧/ ٤١ .

(٣) أحمد ديدات (عاصفة الصحراء: المبررات والدوافع) ترجمة محمد مختار ١٤١٣هـ-١٩٧٠م.

(٤) أحمد ديدات (عاصفة الصحراء: المبررات والدوافع) ترجمة محمد مختار ١٤١٣هـ-١٩٧٠م.

ولعل موقف مندوب دولة الفلبين الرافض أولًا للمشروع في «اللجنة السياسية» ثم تبدل موقفه في «الهيئة العامة» يعطينا أصدق دليل على الضغوط الأمريكية ضد الحق العربي التاريخي، فقد كان مندوبها كارلوس روميليو هو أكبر المعارضين لمشروع التقسيم لإقامة دولة إسرائيل فيها، وقد ألقى عددًا من الخطب المدوية ينكر فيها على الأمم المتحدة أن يكون لها الحق في تقسيم أرض أي وطن من الأوطان رغم إرادة الغالبية من أهلها، وذلك بناء على صريح الفقرة السابعة من المادة الثانية من ميثاق الأمم المتحدة التي تقول: «ليس في هذا الميثاق ما يسوغ للأمم المتحدة أن تتدخل في الشؤون التي تكون من صميم السلطان الداخلي لدولة ما وليس فيه ما يقتضي الأعضاء أن يعرضوا مثل هذه المسائل لأن تحل بحكم هذا الميثاق».

ولكن قبل التصويت النهائي في الجمعية العامة بيوم أو يومين استدعى هذا المندوب من حكومته وحل محله من أعضاء الوفد الفلبيني من أدلى بصوته تأييدًا على قرار التقسيم وتنفيذًا لتعليمات رئيس الجمهورية في مانيلا؛ وذلك لأن سفير الفلبين في واشنطن قد أبلغ رئيس الجمهورية أن كثيرًا من الرجال الكونجرس الأمريكي اتصلوا به وأبلغوه بأنه إذا لم تؤيد حكومته قرار التقسيم فلن يوافقوا على المشروعات المقدمة من الحكومة لإمداد الفلبين بالمعونات الاقتصادية التي وعدتها الحكومة بها[1].

وكذلك فعلت جزيرة هايتي وهندوراس اللتان تبعدان عن فلسطين آلاف الأميال.

ويعلّق الدكتور محمد معروف الدواليبي على ذلك بقوله: (ولو أن هؤلاء وأمثالهم صوّتوا في «الهيئة العامة» مثلما صوّتوا في اللجنة السياسية قبل ممارسه الضغط عليهم لسقط هذا القرار الظالم ولما وجدت إسرائيل مكانها اليوم في الأمم المتحدة. ولما بدا اليوم هناك للقدس ثم لفلسطين كلها ولما كان هناك احتلال للجولان في سوريا ولا احتلال لبنان ولا تدمير للمفاعل الذري العراقي ولا اضطراب لأمن الشرق الأوسط بأجمعه وباستمرار)[2].

ولكن الأدهى والأمرّ انتقال القيادة العملية للصهيونية من لندن إلى نيويورك فواشنطن، تحت لواء عناصر كانت تمثل الجهة المتطرفة من أمثال «سيلفر» الأمريكي الذي اقتحم حكومة

(١) د/ محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي الإسرائيلي). ص ٨٨/ ٨٩ الدار الشامية - بيروت - دار القلم - دمشق ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

(٢) نفسه ص ٩٠.

الولايات المتحدة الأمريكية في سياسة صهيونية محضة منددًا بسياسة «وايزمان» نفسه، فقال إن سياسة الدبلوماسية القديمة لم تعد ذات جدوى اليوم، يجب على اليهود أن يستعدوا ويتكتلوا للطوارئ والحرب والصراع الدموي والتكتيك الإرهابي فلا يخلطوا بين هدف الصهيونية وهدف إنشاء دولة يهودية بمجرد قبول عدد معين من اللاجئين اليهود)[١].

التعريف بالرئيس ترومان (١٨٨٤-١٩٧٢):

هو الرئيس الثالث والثلاثين للولايات المتحدة خلال الفترة (١٩٤٥-١٩٥٣)، وهو الذي أمر بإلقاء القنبلتين الذريتين على مدينتي هيروشيما وناجازاكي اليابانيتين -الأمر الذي أسفر عن مقتل نحو مائتي ألف قتيل ياباني.. وقد بلغ نفوذ اللوبي الصهيوني في عهده قدرًا كبيرًا.. وعقب وفاته عثروا في مذكراته بتاريخ ٢١/ ٧/ ١٩٤٧ يصف اليهود بأنهم لا يملكون الإحساس بالانسجام، وليسوا قادرين على تقييم شئون الدولة.. ولكنهم ما إن يتمتعوا بنفوذ سياسي أو مالي، فإنهم يصبحون أسوأ من هتلر وستالين في إساءة معاملة الآخرين)[٢].

أما عن نداء المتطرف «سيلفر» فسرعان ما استجاب القادة لهذه الدعوة الشيطانية، فصرح (هرتزل) بأنه كلما حصلنا على مزيد من الأرض نكون على استعداد للقيام بتضحيات أكبر، والرجال الغزاة سيكونون عماد الجيش الصهيوني، بينما سيكون العرب قطيعًا من الوحوش علاجه الوحيد هو الإبادة الجماعية.

وأعلن مناحم بيجن بلا مواربة أنه (لن يكون سلام لشعب إسرائيل ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب ما دمنا لم نحرر وطننا بأكمله)، وصرح بمقالته الشهيرة: (أنا أحارب إذًا أنا موجود)[٣].

وفي ضوء هذه الفلسفة العدوانية التوسعية فرضت إسرائيل على المنطقة أربع حروب في غضون ربع قرن، ومنذ سنة ١٩٤٨ أثبتت التجربة الإسرائيلية الدموية (أن مع الأكل تأتي الشهية)[٤].

---

(١) إبراهيم خليل أحمد «إسرائيل فتنة الأجيال) ص ١١٩ المحرم ١٣٩٠هـ-١٩٧٠م.

(٢) رمزي محمود (أوباما واللوبي الصهيوني) ص ٨٠ عام ٢٠١١م.

(٣) د/ جمال حمدان ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية) ص ٢٦٨ مكتبة الأسرة ٢٠١٣م.

(٤) نفسه ص ٢٧٢، وينظر أيضًا ص ٣٩ عن قبوله الرشوة من أحد الصهاينة الأمريكان!!

ومن هنا أصبح التوسع (حقًّا طبيعيًّا)؛ مما دفع ديجول بالتصريح عام ١٩٦٨: (يعتقد الإسرائيليون أن كل شيء مباح لهم أنهم يتوسعون خارج حدودهم سعيًا وراء أعداء حقيقيين أو وهميين).. وبعد حرب يونيو ١٩٦٧ قال ديان: (الجيل السابق أقام الدولة، وجيلنا امتد بحدودها إلى خطوط آمنة، وعلى جيلكم أن يحمل هذه الحدود إلى حيث آمال الأجداد في أرض إسرائيل الكبرى)[١]، وحدد شيمون بيريز الصراع الحتمي مع العرب بأنه **صراع بيولوجي، أي أنه تصفية جسدية، إبادة جنس**[٢].

حاشية:

وعلى ضوء ذلك كله يقوِّم هذا الموقف الدكتور جمال حمدان بقوله: (فلسنا نغالي إذا قلنا إن ما بيننا وبين إسرائيل صراع بقاء، بمعنى أن نكون أو لا نكون حرفيًّا. فهو ليس نزاع حدود، بل الصراع وجود صراع بين الحق والحقد، لا بين حق وحق كما يزيف الصهيونيون، ومداره النهائي أن نبقى على هذه الأرض أو لا نبقى، ذلك أن أحلام العدو القديمة وخططه المعلنة في إمبراطورية النيل، ومعناها بالضرورة تفريغ المنطقة من سكانها وأصحابها الشرعيين بالتدريج هي الإبادة في النهاية وإن لم تبد كذلك في مراحلها الأولى المباشرة، **ومن ثم فإن التعايش السلمي بين الطرفين مستحيل بالطبع؛ لأن هذه الأرض لا تتسع لهما معًا**)[٣].

ومن هوْل الفزع الذي يثير هذا الصراع كتب الدكتور محمد ضياء الدين الريس يقول: (إن قلم المؤرخ ليرتجف وهو يحاول أن يخط أسطرًا من أنباء هذه المأساة، بل الكارثة، بل الفاجعة، فقلما يعرف المؤرخ في سجل المآسي الإنسانية التي تعيها ذاكرته وما اقترنت به من آلام وأحزان، وفيما دوّن من أعمال القهر والظلم والعدوان والأحقاد العنصرية والمؤامرات الدولية ما يضارع هذه الكارثة في هولها أو في فداحة نتائجها)[٤].

---

(١) نفسه ص ٢٧٣.

(٢) نفسه ص ٤١٥.

(٣) د/ جمال حمدان (٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية) ص ٤١٤/ ٤١٥ مكتبة الأسرة ٢٠١٣م.

(٤) د/ محمد ضياء الدين الريس (الشرق الأوسط في التاريخ الحديث) ص ٢٦٦ ط٢ مكتبة الشباب بالمنيرة ١٩٦٧م.

إن تلك الكوارث والفواجع نجمت عن سلوك الإنجليز، وقد مضت **السلطة المنتدبة الإنجليزية** في تدابيرها القاسية للحد من الشعور الوطني ولتوطيد دعائم الوطن القومي اليهودي، لا في يافا أو في القدس وحدهما، وإنما في فلسطين كلها، ومن ذلك في الوقت الذي راحت تزوّد المستعمرات اليهودية بالسلاح وتدربهم على القتال حظرت على الأهلين حمل السلاح واستعماله، وفرضت عليهم عقوبة السجن المؤبد والإعدام، وفتحت باب الهجرة لليهود، فدخل فلسطين منهم في السنوات الخمس الأولى خمسون ألفًا، ومعنى ذلك أن عددهم تضاعف في عهد المندوب الثاني، فأصبحوا مائة ألف معظمهم أقام في بيت المقدس. وسُمح لليهود بشراء الأراضي كيفما يشاءون، فتضاعفت ممتلكاتهم وأصبحت بنسبه ٦٪ إلى ٧٪ من جميع الأراضي الفلسطينية، وازدادت مساحة الأراضي التي تملّكوها في القدس، وفي عهد هذا الانتداب عُقد في القدس مؤتمر كبير (٢٥ حزيران يونيو ١٩٢١) وقرر المؤتمرون **رفض الانتداب وإلغاء وعد بلفور**، وطالبوا باستقلال فلسطين وإقامة حكم نيابي ديمقراطي، على أن تتحد البلاد العربية الأخرى، ولكي تلهي الشعب العربي عن فلسطين هدفه الأصلي راح يضرب الأحزاب الفلسطينية بعضها بالبعض الآخر بين أسرتي النشاشيبي والحاج أمين الحسيني.

واهتبل الانجليز الفرصة، فراحوا يقوّون وسائل استعمارهم، كما اهتبلها اليهود وراحوا يوطدون دعائم وطنهم القومي الذي كانوا يهدفون من ورائه إلى امتلاك البلاد كلها لا القدس وحدها.

وفيما كان العرب في حيرة من أمرهم ماذا يفعلون أتتهم أنباء تقول إن عصبة الأمم (٢٤ تموز/ يوليو ١٩٢١) فرضت على فلسطين نوعًا من الحكم أسمته (الانتداب)، وعهدت إلى بريطانيا إدارتها نيابة عنها، على أن يبدأ هذا في ٢٩ أيلول/ سبتمبر ١٩٢٣.

وجاء في صكّ الانتداب أن دول الحلفاء وافقت على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن تنفيذ الذي صرحت به حكومة ملك بريطانيا في تشرين الثاني نوفمبر ١٩١٧ بأن ينشأ وطن قومي للشعب اليهودي. .. ومنحت المادة الأولى منه السلطة التامّة للدولة المنتدبة في التشريع والإدارة... ونصّت المادة الثانية من الصكّ نفسه على أن تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي اليهودي.

ومضت السلطة البريطانية في تنفيذ التدابير التي رسمتها لتهويد فلسطين، يتزعمها اثنان من أقدر رجال اليهود، وهما المندوب السامي صامويل والمستشار القضائي نورمان[1].

***

(١) عارف العارف باشا (الموجز في تاريخ القدس) من ص ١٩٥ إلى ص ١٩٨ باختصار شديد (هدية مجلة الأزهر – جمادي الآخرة ١٤٤٥هـ.

وأدار صمويل البلاد إدارة عسكرية أكثر منها مدنية، وأكثر من توظيف الإنجليز.. وطغى سيل الهجرة على عهده وحصل اليهود على امتياز لاستغلال البحر الميت ص ٢٠٠.

(والمؤلف ولد في القدس عام ١٨٩٢م وتعلم فيها وتخرج في كلية الآداب جامعة إستانبول سنة ١٩١٣، وجند ضابطًا في الجيش العثماني.. وبعد زوال الانتداب عُيِّن رئيسًا لبلدية القدس، ثم تولى إدارة متحف الآثار الفلسطيني عام ١٩٦٧، ولم يغادر فلسطين حتى توفى في عام ١٩٧٣م.

الفصل الثاني

الاستعمار الاستيطاني

إسرائيل كاستعمار استيطاني: دراسة تحليلية:

تعرِّف الدكتورة حورية مجاهد الاستعمار الاستيطاني بأنه: (يتميز بانتقال العنصر البشري على مستوى واسع نسبيًا، وقيامه بالسيطرة على الشعوب الأصلية، ومثال ذلك استعمار فرنسا الاستيطاني للجزائر. وتقرر أن هذا الاستعمار تمارسه إسرائيل عنوة استنادًا إلى إمكانيات القمع في الدولة البوليسية، وذلك يجعل إسرائيل حريصة على إقامة المستوطنات في كثير من المناطق العربية المحتلة بعد سنة ١٩٦٧، وهو الأسلوب السابق اتباعه في شكل الهجرة الجماعية لليهود في فلسطين، الذي قضى عليها في النهاية بإقامة دولة إسرائيل مستخدمة الاستيطان كنقطة ارتكاز... وقد دفعها الانتصار في حرب ١٩٦٧ إلى ضم أراضٍ جديدة في شكل أسلاب وتعويضات. .. وفتح لها المجال أمام التوسع في ضم الأراضي ومحاولة التشبث بها وتحقيق أكبر مكاسب من ورائها. حقيقة أنها في النهاية قبلت التخلي عن توسعها في سيناء وإعادتها لمصر **ولكن بشرط وثمن أساس كان الصلح مع مصر وهي أهم وأقوى الدول العربية المعادية لها.** وهي ما زالت متمسكة ببقية الأراضي التي ضمتها، ولا يكون تخليها عنها إذا تم إلا بحساب المكاسب والخسائر، الأمر الذي تتحكم فيه في النهاية[١]).

أما عن نشأة إسرائيل فأصله الانتداب الإنجليزي على فلسطين وسياساتها الغاشمة؛ حيث عملت على تشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين، ووفق المادة ٤ من ميثاق الانتداب يتم الاعتراف بجهاز أو كيان يهودي له صفة استشارية إلى جوار السلطات المنتدبة كما نص في ماده ٦ على دوره

(١) د/ حورية توفيق مجاهد (الاستعمار كظاهرة عالمية: حول الاستعمار والإمبريالية والتبعية) – ص ٧١/ ٧٥ باختصار ط عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٥ وهي أستاذ العلوم السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية –جامعة القاهرة.

في شؤون الهجرة، وبالتالي فقد أنشأت المنظمة الصهيونية على هذا الأساس في سنة ١٩٢٩ «الوكالة اليهودية»، وقامت العديد من المؤسسات المالية المختلفة بشراء الأراضي حتى تحقق الهجرة، وزاد عدد اليهود من ٦٠ ألف -وكان عددهم أقل من المسيحيين- وبلغ عددهم سنة ١٩٣٦ نحو ٤٠٠ ألف، وتضخمت تل أبيب من ألفي ساكن إلى مدينة من ١٥٠ ألف، ثم أخذت الجماعات اليهودية تستخدم سياسة العنف والرعب في سنة ١٩٤٥ .. وكان الانتقال من الانتداب إلى الاستقلال في ظروف غير عادية، ولطائفة اليهود الأقلية دون الأغلبية من العرب، وفي إطار العنف والاضطرابات، وقد ضم الأردن منطقة الضفة الغربية التي اعتبرت فلسطين المسلمة في سنة ١٩٥٠، كما تردّد الرأي بتدويل القدس والأماكن المقدسة، ولكن الأمر لم يتحقق، واتخذت إسرائيل بعد سنة ١٩٦٧ القدس عاصمة لها[١].

وكانت إنجلترا كدولة استعمارية قد وعدت اليهود -دون أي حق أو سند- بوطن قومي لليهود، على لسان بلفور في ٢ نوفمبر سنة ١٩١٧ في فلسطين. وتقول الدكتورة حورية مجاهد: (وتصريح بلفور هذا انضمت إليه فرنسا وإيطاليا وأدمجا في ميثاق الانتداب وخاصة في ديباجته!)[٢].

وفي شرحها لتعريف الاستعمار ذكرت أنه يعني أصلًا الاستعمار الاستيطاني، ثم أصبح يطلق على الاستعمار بشكل صريح الذي يعني ضم منطقة وإلحاقها بالدولة المستعمرة. .. وفي محاولة لتأصيل المفاهيم يلاحظ أن الإمبريالية من الناحية التاريخية تعني إنشاء إمبراطورية بموجبها تقوم دولة بمدّ حكمها إلى خارج حدودها الأصلية على شعوب متعددة الجنسيات، وقد استخدمت لأول مرة للإشارة إلى الإمبراطورية الرومانية.

وبهذا المعنى يفسّر الدكتور جمال حمدان صلة إسرائيل بالولايات المتحدة فيقول: (إن محور الصراع وبؤرة الحرب ومعقل الإمبريالية في العالم العربي بدوره إنما هو القاعدة الاستعمارية الصهيونية، وقد كانت نكسة يونيو سنة ١٩٦٧ هي بلا شك قمة الزحف الاستعماري في العالم الثالث كله، وسعى إليها بالتدريج من أطرافه حتى وصل إلى قلبه، وانكسار هذه القاعدة

---

(١) نفسه ص ٩٥/ ٩٦ باختصار.

(٢) نفسه ص ٩٥.

الاستعمارية يمكن بالمقابل أن يكون نقطة الانكسار في كل مسار الزحف الإمبريالي في العالم الثالث، وبقي الانكسار لتلك القاعدة هو وحدة الذي سيتيح الطريق إلى الوحدة العربية التي - هي وحدها أيضًا- ستثبت قيادة العالم العربي في العالم الثالث).

ويعبر عن اعتقاده أن مصير إسرائيل الصهيونية سيحدد في نهاية المطاف مصير الإمبريالية العالمية، فما دامت إسرائيل باقية فإن الإمبريالية ستظل مقيمة لا تريم في العالم الثالث، ولكن يوم تزول إسرائيل وسوف تكون تلك بداية النهاية المطلقة للإمبريالية، ويضيف: (وما نظن ذلك من المبالغة في شيء، بل لعله أن يفسر وحدة المصالح والمصير المطلقة، بين إسرائيل والولايات المتحدة، بل لعل شيئًا لا يؤكده كما تؤكده تصريحات زعماء الولايات المتحدة نفسها من أن ضمان بقاء إسرائيل يمثل مصلحة بقائية الولايات نفسها)[1].

إسرائيل أقذر نموذج للإمبريالية الغربية:

إن هذا العنوان هو وصف المهتدية مريم جميلة، بعد دراستها الواعية للتاريخ مع تحليلها كتاب هرتزل (الدولة اليهودية) وتقول: (إن النموذج الكلاسيكي القذر الأكثر تجسيدًا ووقاحة للاستعمار الغربي هو ذلك المتمثل في دولة إسرائيل، فالصراع العربي الإسرائيلي لا شيء أكثر من كونه حربًا ناشئة بسبب الاستعمار الصارخ)[2].

إن هرتزل في كتابه الصادر عام ١٨٩٦ يوجه حديثه للقارئ الأوروبي قائلًا: (إن الاحتلال الصهيوني لفلسطين هو بمثابة امتداد لسياسة أوروبا الإمبريالية في الخارج، ولا بد أن تشكل فلسطين قسمًا من متراس أوروبا الواقي ضد آسيا)[3].

وقد أخذ مؤسس الصهيونية ينادي بمزيد من الأرض والمهاجرين ويقول: «سنطلب ما نريده مزيدًا من المهاجرين ومزيدًا من الأرض، وسيتم تداول كافة العقارات بين اليهود فقط. يجب أن تنزعهم بخفة الملكية الخاصة في كل فضاء خاص بنا، بعدئذ سنشجع السكان العرب

---

(١) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) ص ٣٨٠ الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة ١٩٩٠م. هذا، وصف (شارون) إسرائيل بأنها (بارجة حرب أمريكية في البحر الأبيض المتوسط غير قابلة للغرق) د/ نزار بشير (حضارة الدم وحصارها) ص ٨٦.

(٢) مريم جميلة (الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين) ص ٤٩ ترجمة طارق خاطر – المختار الإسلامي (بدون تاريخ) وكانت يهودية الديانة قبل إسلامها من أصل ألماني.

(٣) نفسه ص ٥.

المفلسين للانزياح عبر الحدود لتسهيل حصولهم على العمل في البلدان المجاورة، فلا يكون لهم أي عمل في وطننا الخاص)[1].

وتضيف مريم جميلة أن المبدأ الأول للصهيونية هو أن القوة تسبق الحق، وتعتبر الأجزاء الباقية من كتاب «هرتزل» صورة طبق الأصل من الخطب التي رددها الزعيم النازي هتلر بعد ذلك بأربعة عقود من الزمان![2].

وتقرر أن الإسرائيليين ينظرون للفلسطينيين على أنهم همج وبربر، تمامًا مثلما كان الاستعمار الغربي ينظر لسكان أمريكا الأصليين من الهنود الحمر، فأجهزة الدعاية الصهيونية لا تكلّ عن لعن قادة النضال الفلسطيني الذين يجاهدون في استعادة أراضي الفلسطينيين المحتلة وحقوقهم الإنسانية والسياسية الضائعة، فتصف هذه الأجهزة الفلسطينية بأنهم «إرهابيون» «وقتلة» «ومخربون»!!

وكما أُقترفت جرائم إبادة الجنس في الولايات المتحدة الأمريكية ضد الزنوج والهنود الحمر، وضد الجماعات الجنسية والقومية الأخرى، ففي الوقت الحاضر يرتكب المعتدون الإسرائيليون جرائم إبادة الجنس بتأييد من الإمبريالية العالمية وبخاصة الإمبريالية الأمريكية، وليس عبثًا أن يعلن (أرنولد توينبي) المؤرخ الشهير في محاضرة له أمام طلبة جامعة (ماك هيل) في «مونتريال» أن معاملة اليهود للسلطان العربي عامي ١٩٤٧ و١٩٤٨ يجب أن تصنف من وجهة نظر القانون الدولي كما صنفت محكمة نورمبرج الإبادة الشاملة ليهود أوروبا بواسطة القتلة الفاشيين، ولم يتردّد «توينبي» من أن يذكر الأشياء بأسمائها حين قال: (إنني لا أجد تحديدًا آخر لمثل هذه الأفعال سوى أنها قرصنة تُرتكب في وضح النهار، وإني واثق من أن هذه الأفعال تجسّم بثقلها على ضمير الكثير من اليهود، وإنني أقول ويسمع الجميع أن كلامنا يجب أن يعترف بذلك وهو في خلوة بين ضميره)[3].

أما عن المجتمع الإسرائيلي في الداخل بعد إنشاء دولة إسرائيل فقد أحضروا أعدادًا ضخمة من فقراء اليهود في البلاد الناطقة بالعربية ليستخدموه ذخيرة لمدفع جيش الصهيونية، بالإضافة

---

(١) نفسه ص ٥٢.

(٢) نفسه ص ٥٣.

(٣) نفسه ص ٥٨.

إلى استخدامهم كقوى عاملة مستعبدة حقيرة، بينما يعيش اليهود الأوروبيون حياة مرفهة في رخاء وسعة من العيش بعيدًا عن اليهود الشرقيين الفقراء الذين يملئون أزقة الأحياء الشعبية الفقيرة في كل مدينة وبلدة، بل الأكثر من ذلك تجد كل القوّادين والمومسات والمجرمين ومدمني المخدرات وتجارها في إسرائيل من اليهود الشرقيين، في حين يعمل اليهود الأوروبيون في السلك الدبلوماسي ويحتلون المناصب العليا في الدولة ويحكمون اقتصاد البلاد بنفوذهم السياسي[1].

ومن منظور الهوية، ناقش الدكتور عبد الوهاب المسيري بكتابه **(من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟)** مقولة الدولة الصهيونية التي تزعم أنها دولة يهودية وأنها لا بد أن تحافظ على يهوديتها، ويكرر هذا الزعم ليل نهار لأنه -رغم كونه- يشكل التبرير الوحيد لوجود المستوطنين الصهاينة في فلسطين المحتلة ويصبغ نوعًا من الشرعية على الدولة الصهيونية، كما أنه يعطيها «الحق» في أن تظل تطالب بحق العودة لليهود الذين تركوا وطنهم القومي من آلاف السنين! بينما تنكر نفس الحق على الفلسطينيين الذين أُجبروا على ترك وطنهم من عشرات السنين، ولا يزالون في مخيمات اللاجئين يطالبون بحق العودة لمنازلهم وأراضيهم!

ويقول الدكتور المسيري إن ثمة تطورات جديدة ستجعل من الدولة الصهيونية لا هي يهودية ولا هي دولة لليهود، بل دولة استيطانية إحلالية ذات قشرة يهودية، وللتأكيد على ذلك يمكن الإشارة إلى أن الاستعمار الصهيوني مرّ بثلاث مراحل: الأولى وصلت ذروتها عام ١٩٤٨ مع إعلان الدولة وطرد آلاف الفلسطينيين ووصول آلاف المهاجرين للاستيطان في أرض فلسطين، ثم انتهت هذه المرحلة عام ١٩٦٧ حين قامت إسرائيل بضم الضفة الغربية وقطاع غزة، وهي مناطق مأهولة بالسكان العرب الذين لم يتمكن الاستعمار الصهيوني من طردهم، وهذه هي المرحلة الثانية، أما المرحلة الثالثة فأهم معالمها:

١- تصاعد الأزمة السكانية وتزايد التوسع؛ ولذا لا بد للدولة الصهيونية الاستعمارية من أن تأتي بالمزيد من المهاجرين الاستيطانيين بأي ثمن.

٢- أتاح النظام العالمي الجديد فرصًا جديدة للنظام الاستيطاني الصهيوني، وأصبح بوسعه أن يتجاوز نطاق فلسطين المحتلة ليتغلغل في البلاد العربية، وليحول الأرض العربية إلى سوق شرق أوسطية يلعب فيها هو دور الوسيط الأساس بين العرب والغرب.

---

(١) نفسه ص ٥٤/ ٥٥.

٣- ظهرت نخب حاكمة عربية على استعداد تام أن تلعب دور الجماعة الوظيفية التي تخدم المصالح الغربية على حساب مصلحة شعوبها؛ لإنجاز عملية التغلغل السلمي للكيان الصهيوني في الجسد العربي الإسلامي[1].

***

(١) د/ عبد الوهاب المسيري (من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟) -نقلًا عن ملخص كتاب (بدر محمد بدر) بكتابه بعنوان: (ثلاثون كتابًا في كتاب) ص ٢٤٨/ ٢٤٩ إصدارات سطور الجزيرة سنة ٢٠٠٩م.

الفصل الثالث

الموقف الديني الأوروبي من إسرائيل

دور الكنيسة الإنجليزية في خدمة اليهود وقيام إسرائيل:

إن دور الكنيسة في خدمة اليهود يذكره وايزمان بصراحة في العبارة التالية، وللقارئ أن يسأل: ما هي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أماني اليهود في فلسطين! والجواب على ذلك: أن الإنجليز-كما صرّح وايزمان- لاسيما من كان منهم من المدرسة القديمة هم أشد الناس تأثرًا بالتوراة، وتديُّن الإنجليز هو الذي ساعدنا في تحقيق آمالنا؛ لأن الإنجليزي المتدين يؤمن بما جاء في التوراة من وجوب عودة اليهود إلى فلسطين، وقد قدمت الكنيسة الإنجليزية في هذه الناحية أكبر المساعدات!

ووصلت إنجلترا إلى الخطوة النهائية لتهويد فلسطين، فاخترعت فكرة التقسيم وأيدته، واستعملت هي وحليفتها الولايات المتحدة الأمريكية كل نفوذهما المادي بهيئة الأمم المتحدة حتى حصلتا على الأغلبية العددية بالنسبة للذين أعطوا أصواتهم، وأعلنت بريطانيا على أنها ستنسحب من فلسطين في الخامس عشر من مايو سنة ١٩٤٨، وفي هذا الموعد **سلّمت بريطانيا لليهود** بعد أن اطمأنت إلى أنهم قوة يمكن أن تستولي على الحكم، وتصدّت الدول العربية للدفاع عن عروبة فلسطين، وخاضت من أجل ذلك حربًا ضد اليهود عام ١٩٤٨، ورجحت كفة العرب في الجولة الأولى، فتدخل النفوذ الاستعماري وأرغم العرب على إيقاف القتال مدة محدودة، وفي خلال هذه المدة انهالت الأسلحة الغربية على اليهود، كما انهال المتطوعون الغربيون، كما ضمن لليهود النصر في الجولة الثانية، **وكان من الأخطاء العربية الجسيمة أن تركت القيادة العامة للجيش الأردني الذي كان قائده «جلوب باشا» إنجليزيًا يخدم أهداف بلاده في كل شيء!!**[1].

---

(١) د/ أحمد شلبي (اليهودية) ص ١١٢/ ١١٣.. وقد ظهرت خيانة جلوب في عدة مواضع أثناء حرب فلسطين. إذ أمر بتجريد كافة المسلحين الأردنيين والفلسطينيين من سلاحهم وتسريحهم، وبمعاقبة كل من يضبط معه سلاح بدون تصريح، حتى يبقى اليهود فقط هم الذين يحملون السلاح.. وبانتهاء الهدنة الأولى استأنف اليهود القتال بالاتفاق مع جلوب الذي كان يسيطر على كافة القوات المسلحة من جيش وشرطة وعشائر، وأمر بسحب قوات الجيش الأردني بين اللد والرملة، فسقطت في أيدي اليهود، واضطر أكثر من مائة وخمسين ألفًا من أهلها إلى النزوح عنها.. كذلك قام بتسلم

الكنيسة واليهودية.. من العداء إلى الانفتاح:

يقرر الدكتور محمد معروف الدواليبي أن العداء فيما بين الكنيسة واليهودية هو عداء عقائدي تاريخي، ومسجل في الكتب المقدسة لدى الفريقين، ومعلوم لدى كل من درس مادة «الحقوق الكنسية».

غير أن هذا العداء الطويل الذي ابتدأ منذ حياة السيد المسيح والحكم عليه بالصلب منذ عشرين قرنًا تقريبًا، قد انتهى بصورة رسمية على الأقل منذ واحد وعشرين عامًا في اجتماع الفاتيكان الثاني الذي ابتدأ عام ١٩٦٢ وانتهى في عام ١٩٦٥، وذلك بإصدار قرار منه بالأكثرية بغير إجماع، وقد نادت هذه الأكثرية فيه **بتبرئة يهود اليوم من دم المسيح**، وذلك بعد جهد كبير خفيّ قام به حكماء الصهيونية لدى الفاتيكان بصورة خاصة، وقبل ذلك لدى الكثير من أساقفة خارج الفاتيكان، وبالوعد تارة والوعيد تارة أخرى، حتى كان من نتيجته **المشروع الذي تقدم به** الكاردينال **«بيا» الألماني واليهودي الأصل، والذي طلب فيه بالانفتاح على اليهودية وإله إبراهيم خالق السماوات والأرض لدى اليهودية والنصرانية كما جاء في المشروع**[1].

ويقول الشيخ محمد الغزالي رحمه الله تعالى إن الحقد التاريخي على الإسلام جعل رؤساء البيت الأبيض يشاركون في ذبحنا بسرور ورغبة، ويساعدون الغزاة بإسراف وحماس، أما ساسة إنجلترا وفرنسا فقد أعانوا اللص أولًا على رب البيت حتى تمكّن من اقتحامه، ثم عندما شرع رب البيت في المقاومة قالوا يُمنع السلاح عن الطرفين المتساويين ويقسّم البيت بينهما!!

وذلك ما أقره مجلس الأمن ورضي به المستضعفون[2].

حاشية:

ويزيح الستار الأستاذ العقاد عن قوى أخرى خفية تساعد الصهيونية وهي:

أراضي المثلث العربي ومساحات واسعة من مناطق القدس وبيت لحم والجليل والبحر الميت للعصابات الصهيونية التي عاثت في أهلها قتلًا وتدميرًا ونهبًا وسلبًا.. المصدر: د/ زغلول النجار (المؤامرة: وقفات مع التآمر الصهيوني والدولي على شعب فلسطين) ص٧٤/ ٧٥ ط نهضة مصر يناير سنة ٢٠٠٢م.. وكان يحرص على أن يسميه (الخائن الجاسوس جلوب) ! ص٧١.

(١) د/ محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل) ص ٤٢ ط الدار الشامية – بيروت، ودار القلم – دمشق ١٤١٠هـ–١٩٩٠م.

(٢) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص٧ ط٣ دار القلم –دمشق ١٤٢٣هـ–٢٠٠٢م.

أولًا: أتباع موجودون في أوطان متعددة، ولهم باصطلاح العصر الحديث طابور خامس في كل دولة، ولهم وسائلهم التي لا تتورع عن شيء من دروب الرشوة وإرضاء الأهواء والشهوات.

ثانيًا: قوة المصالح الاستعمارية تساندها قوه الصهيونية العالمية.

ثالثًا: قوة التعصب الشديد على الإسلام[1].

ويستند الأستاذ العقاد في إثبات أن الصهيونية العالمية حقيقة واقعة، يستند إلى مجموعة الوثائق السرية التي سُميت بمحاضر مشيخة إسرائيل، التي تلتقي من حين إلى آخر للنظر في شؤون العالم واتخاذ الخطط المرسومة لتوجيه السياسة الدولية وإثارة الفتن والقلاقل سعيًا وراء غاية واحدة، وهي تخريب العالم وهدم **دعائم الأخلاق والأديان والقضاء على كل سيادة روحية أو دنيوية فيه لتمكين الصهيونية من السيطرة عليه**[2].

ومن المدارس الحديثة في الغرب التي تكمن وراءها الأصابع اليهودية حيث الاستخفاف بالقيم الأخلاقية وهدم القواعد التي يقوم عليها مجتمع الإنسان في جميع الأزمان، يذكر الأستاذ العقاد تحديدًا اليهودي كارل ماركس وراء الشيوعية التي تهدم قواعد الأخلاق والأديان، واليهودي دوركايم وراء علم الاجتماع الذي يلحق نظام الأسرة لأوضاعه المصطنعة.. واليهودي أونصيف، واليهودي سارتر وراء الوصولية الذي جنح بكرامة السفرديني حيوانية تصيب الفرد والجماعة إلى السقوط والانحلال[3].

---

(١) عباس محمود العقاد (الصهيونية العالمية) ص ٥٩ هدية مجلة الأزهر جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ.

(٢) نفسه ص ٥٥.

هذا، وكما علّق الدكتور الدواليبي على انتهاء العداء الطويل منذ عشرين قرنًا تقريبًا بين الكنيسة واليهود، كذلك علّقت الدكتورة زينب عبد العزيز على نفس التحوّل بقولها: (بعد ألفي عام من الإدانة واتهام اليهود في كل قدّاس أحد في كافة كنائس العالم على أنهم «قتلة الرب»، اكتشف المسئولون في الفاتيكان فجأة براءة اليهود من دم المسيح، وتضمن قرار تبرئتهم تحميل عبء أو وزر مقتله على كافة البشر. واحتجّت بعض الدول الإسلامية على مغزى هذه التبرئة، فعادت الكنيسة وغيّرت قرارها لتحمّل هذا الوزر على كافة المسيحيين، بعد أن جاهدت لإقناع المسلمين أن هذه التبرئة دينية بحتة!!) (كتاب: حرب صليبية بكل المقاييس ص ٣٤)، «صليبية الغرب وحضارته» ط دار الكتاب العربي دمشق – القاهرة ٢٠٠٣م.

(٣) نفسه ص ١١٥/ ١١٦.

ويضاف إلى ذلك أيضًا فرويد صاحب المذهب المشهور في الطب النفساني، وهو الذي يرجع كل الميول والآداب الدينية والخلقية والفنية والصوفية والأسرية إلى الغريزة الجنسية.. وكان فرويد لا يطمئن إلى أحد في عمله إلا أن يكون من اليهود.

ويعنى الأستاذ العقاد بالكشف عما سماه (أعجوبة من أعاجيب التذكار) بمناسبة الاحتفال بمرور مائة سنة على مولد فرويد في مدينه شيكاغو؛ حيث اجتمع نحو أربعة آلاف من الأطباء النفسيين.. حيث فوجئوا بحملة عنيفة على فرويد ومذهبه يتولاها رجل مسئول في مركزه العلمي والرسمي هو الدكتور بريفال بيلي، وخلاصة حملته أن البقية الباقية من طب فرويد قليلة لا يقر بها، وأن آراءه لا تضيف شيئًا إلى القيم الإنسانية؛ لأنه يرتد بالإنسان إلى الباطن، ويهمل جانبه المنطقي الشاعر، وأنه لم يكن يفهم المرأة، ولم يكن يتذوق الموسيقى، ولا يحس جلال العقيدة[١].

هذا ونحن نضيف بدورنا أن تلك المذاهب الهدّامة في مجموعها تشكّل القوة الرابعة المساندة للصهيونية العالمية!!

إسرائيل دولة يهودية:

حرص تيودور هرتزل على إطلاق اسم **(الدولة اليهودية)** على كتابه، وهو الكتاب الذي أعطى الشرارة الأولى للحركة الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر، وهي أن اليهودية لن تكون آمنة في العالم إلا بإقامة وطن قومي يهودي دائم.. وكان اليهود في الولايات المتحدة منقسمين بين مؤيد ومعارض لإقامة دولة يهودية، ولكنهم عقب إصدار هذا الكتاب (أيّد اليهود إقامة دولة يهودية بشبه إجماع، وهم كانوا منقسمين بهذا الشأن قبلًا. .. فنحّى اليهود في الولايات المتحدة وأماكن أخرى الخلافات جانبًا حتى يتم التركيز على دعم هذه المهمة الحاسمة)[٢].

---

(١) نفسه ص ١١٧/ ١١٨ باختصار.

هذا ويصف محمد خليفة التونسي كتاب الأستاذ العقاد بأنه: (دراسة علمية موجزة لنشاط الصهيونية العالمية في كثير من اتجاهاتها ومجالاتها تشتمل على معلومات موثقة المصادر مدعمة بالأسانيد) ص ٢٧.

(٢) مايكل كوريت وجوليا كوريت (الدين والسياسة في الولايات المتحدة) جـ١ ص ١٢٩ ط مكتبة الشروق ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م ترجمة د/ عصام فايز ود/ ناهد وصفي.

وإن كانت بعض الفرق المتدينة رفضت التجمع في فلسطين حتى يأتي المسيح، ورأت أن العودة لفلسطين معجزة إلهية وليست من أعمال وتدبير البشر، ويجب انتظارها مع مجيء المسيح[١].

هذا وقد نقل إلينا نص التلمود الذي يتعلق بتلك القصة، وهو كما يلي: (إن الله جعل الشعب اليهودي يحلف ثلاثة أيمان قبل أن ينجيهم: الأول- أن لا يذهب إلى الأرض المقدسة عن طريق القوة. الثاني- أن لا يتمرد هذا الشعب على شعوب العالم. الثالث- أن لا يحاول اليهود تقصير مده منفاهم وأن الله خصص عقوبة للذين ينقضون هذا الأيمان، وإذا لم تحافظوا على هذه الأيمان سأنفيكم، وأجعلكم تصادون وأحلل لحمكم كما حللت لحوم غزلان الغابات... وأن الله سيسحق الأمم التي تساعد شعب إسرائيل على تمرده)[٢].

وبعد مشروع تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧ أعلن اليهود قيام دولة إسرائيل في مايو ١٩٤٨، وبدأت في تنفيذ المخطط الرهيب الذي ينص على إنشاء الوطن اليهودي المتكامل من النيل إلى الفرات.

يقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (والحقيقة التي لا مهرب منها أن حرب الصهيونية ضدنا هي حرب دينية يهودية، جدّد اليهود مضمونها، وهم اليوم يكشفون عن هذا المضمون الذي ما كان ليخفى إلا على الغافلين الواهمين من العرب والمسلمين، إن حربنا مع إسرائيل هي حرب توسعية فقط!!)[٣].

وقال (شيمون بيريز) إنه لا يمكن أن يحدث السلام في المنطقة ما دام الإسلام شاهرًا سيفه، وسوف يمضي وقت غير قليل حتى يغمد الإسلام سيفه ويعود إلى موقعه الإنساني - يقصد السلبي- مثل المسيحية!)[٤].

= وفي تعليق على هذا الكتاب يقول الدكتور عادل غنيم: (ولعل هذا يذكرنا بعملية نهب، من أكبر عمليات النهب الاستعمارية في التاريخ، وهي عملية انتزاع فلسطين من أهاليها بمساندة من القوى الاستعمارية المعاصرة جميعًا.. وهي تهدد الأمة العربية في حاضرها ومستقبلها، والتي يعتبر وجودها في حد ذاته معاديًا لحركة التاريخ) ص١٩، ٢٠ كتاب: (الدولة اليهودية، ترجمة: محمد يوسف عدس، مراجعة ودراسة: د. عادل غنيم، أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر، ط دار الزهراء للنشر والتوزيع، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٤م.

(١) مجدي أحمد حسين (أزمة الكيان الصهيوني ومشروع إسرائيل الكبرى) ص١١٧ (مجلة منبر الشرق) العدد (١٩).

(٢) د/ محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل) ص ١٩٨ الدار الشامية ودار القلم - دمشق ١٤١٠هـ-١٩٩٠م.

(٣) محمد عبد العزيز منصور (اليهود المغضوب عليهم) ص ٢٢ دار الاعتصام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

(٤) نفسه ص ٥٢.

ويعلق المؤلف على ذلك بقوله: (إن هذا يعني أن إسرائيل ومن وراءها في حالة حرب مع الإسلام والمسلمين، ما دام المسلمون على مبادئ إسلامهم وعقيدتهم ومنهجهم وحضارتهم، ولن تنتهي هذه الحرب إلا إذا انحصر الإسلام بشعائر تقليدية فقط!!)[1].

وفي ٢٦ من أغسطس سنة ١٩٦٩ اقتحم عدة مئات من اليهود المسجد الأقصى بالقدس، وأخذوا يترنمون داخله بأناشيد وصلوات يهودية... وألقى رئيس المجموعة كلمة بالفرنسية قال فيها: (نحن نقف الآن على أقدس بقعة يهودية وهي هيكل سليمان الذي احتل موقعه الأجانب (أي المسلمون) والذي سُيبنى من جديد!!)[2].

وعندما دخل (ديان) بيت المقدس في حرب يونيو ١٩٦٧ قال أعلن للعالم أجمع: **اليوم انتقمنا لخيبر!!**[3].

وفي تفسير قول الله تَعَالَى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ آل عمران: ١٢٠.

والمعنى إن تحصلوا على تقدم أو انتصار يسؤهم ذلك، وإن تُصابوا بمصيبة أو انكسار يفرحوا ويرقصوا كما فعل الغرب كله حين خرج الناس يرقصون في شوارع العواصم كلها عندما انهزمنا ١٩٦٧، ووقف ابن تشرشل يقول: **(وافرحتاه، لقد سقطت القدس ولن تعود إلى المسلمين أبدًا)**، واجتمع اليهود والمسيحيون لأول مرة في التاريخ في صلاة واحدة في ألمانيا الغربية فرحًا بهزيمتنا[4].

هذا وفي عام ١٩٩٨ يقول الأستاذ هيكل في مقدمة كتابه (العروش والجيوش) بمناسبة مضي ٥٠ عامًا على قيام الدولة اليهودية على أرض فلسطين عام ١٩٤٨، أقيمت بهذه المناسبة احتفالات صاخبة في إسرائيل وفي الولايات المتحدة الأمريكية، وفي عدد من البلدان الأوروبية، وربما غيرها ومراسم الفرح بهجران متصل حتى آخر ١٩٩٨، مواكب تحمل المشاعل والشموع

---

(١) نفسه ص ٥٢.

(٢) نفسه ص ١٤٦.

(٣) حمدي حنبلي (الإنسان العقائدي) ص ٢٠٨ ط٢ مكتبة الأمل الكويت ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

(٤) تفسير المؤمنين، إعداد عبد الودود يوسف ص٥٢ ط المؤسسة العلمية – دمشق ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.

وليال ساهرة بالموسيقى والغناء ومسارح ودور سينما تدور فيها عروض مستمرة روائية وتسجيلية، وكتب بكل اللغات تتعرض للتاريخ البعيد والقريب وملاحق خاصة من جرائد ومجلات يصعب حصرها وطوابع بريد وميداليات تخليدًا لمناسبة، وأشكال وزخارف مرسومة أو مسبوكة بالمعادن رقيقة أو صلبة، وكله طوفان يجري يجرف الناس جميعًا في اندفاع، وهديره لا يترك لأيهم فرصة للدرس أو التفكير أو حتى السؤال عن هذا الذي يدعو إلى الاحتفال ويستدعي الفرح هذه السنة وبهذه المناسبة!)[1].

كذلك اتضح أن الولايات المتحدة -بواسطة رئيسها (ويلسن)- قد أعانت أيضًا إنجلترا على تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي. قال في خطاب ألقاه عام ١٩٢٢: (إنه جدير بالثناء أن يرغب الشعب اليهودي في كل أنحاء العالم أن يكون هناك وطن قومي لأفراد جنسه الراغبين في العودة إلى البلاد التي كانت مهدًا لهم، وإنني لا أحتمل فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين)[2].

وبلغت نظرة الحقد الدفين في قلبه على المسلمين الذي يسميهم -جهلًا- بالمحمديين!!

وكان هدف إنجلترا من إنشاء إسرائيل هو جعلها جسمًا غريبًا في المنطقة.. ففي سنة ١٨٤٠ أدلى (بالمرستون) رئيس وزراء إنجلترا حينئذ بتصريح قال فيه: (**يجب أن نسعى لإيجاد جسم غريب في المنطقة يحول دون ظهور دولة قوية فيها**)[3].

***

---

(١) محمد حسنين هيكل (العروش والجيوش: كذلك انفجر الصراع في فلسطين) ص ١٣ دار الشروق ديسمبر سنة ١٩٩٨م.

(٢) د/ سفر بن عبد الرحمن الحوالي (القدس بين الوعد الحق.. والوعد المفترى) ص ٤٧ ط مكتبة السنة بالقاهرة – ربيع الأول ١٤١٤هـ.

(٣) المؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين (مأساة الهنود الحمر تتكرر في أرضنا) جريدة الأهرام صفحة (٣) ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣م، وعنوان المقال له مغزى خاص لا يخفى على أحد!!

الباب الرابع

دور الإرهاب في قيام إسرائيل

الفصل الأول

الحركة الصهيونية

أدركت الحركة الصهيونية منذ البداية استحالة قيام إسرائيل دون الاعتماد على السلاح، وقد برّروا تلك الضرورة في كافة كتبهم وخطبهم.

وعندما قامت الدولة العبرية دعا (حايم وايزمان) أول رئيس لها، إلى العنف والإرهاب، وتابعه في هذا الأسلوب «ديفيد بن جوريون» أول رئيس وزراء يرسم سياسة لهذا الإرهاب، وبذلك ترسّخت نزعة فاشية عسكرية في قطاع كبير في المجتمع الإسرائيلي، وتكوّنت العصابات الصهيونية في الأربعينيات من القرن العشرين لإقامة الكيان الصهيوني، وأبرز هذه العصابات «الأرجون» و«شتيرن».

وبعد انسحاب الإنجليز من فلسطين نشبت الحرب بين الدول العربية وإسرائيل في ١٥ مايو سنة ١٩٤٨، الأمر الذي اضطرت معه الأمم المتحدة لإرسال «الكونت برنادوت» لفلسطين بصفته وسيطًا دوليًا للتوصل إلى تسوية سلمية للنزاع بين الطرفين، وذلك على أساس تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين طبقًا لقرار التقسيم الذي أقرته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩ نوفمبر سنة ١٩٤٧.

اقترح الوسيط الدولي بعض التعديلات الحدودية، وكان أهمها ضم منطقة الخليل لإسرائيل، وضم منطقة النقب للدول العربية، وإدخال القدس بأكملها للدول العربية أيضًا، **مؤكدًا أن القدس يجب أن تظل تحت السيادة العربية**. ورفض اليهود هذا الاقتراح وتم اغتيال الكونت برنادوت من قبل جماعة من اليهود في ١٧/ ٩/ ١٩٤٧ وهو قادم بسيارته من سوريا قاصدًا القدس[1].

سطور من كتاب الثورة، تأليف مناحم بيجن:

بدأ مقدمة كتابه بهذا النذير المدوّي: (كتبت هذا الكتاب قبل كل شيء لأمتي لئلا ينسى اليهودي ثانية -كما نسى من قبل- هذه الحقيقة البسيطة.. وهي أنه توجد أشياء أثمن من الحياة

---

(١) رمزي محمود (أوباما واللوبي الصهيوني) ص ٨٤/ ٨٥ ط٢٠١١ (رقم الإيداع ٢٢٤١٧/ ٢٠١٠) بدون اسم الناشر.

وأفظع من الموت.. ولكنني كتبت هذا الكتاب لغير اليهود أيضًا -يقصد العرب- لئلا يكونوا غير راغبين في أن يدركوا أو ميّالين إلى التغاضي عن حقيقة أنه من خلال الدم والنار والدموع والرماد قد ولد نوع جديد من الكائنات البشرية، نوع لم يعرفه العالم على الإطلاق خلال أكثر من ١٨٠٠ عام، هو «**اليهودي المحارب**»، ذلك اليهودي الذي اعتبر العالم أنه قد مات ودُفن إلى الأبد قد بعث)!!

ويُنهي بيجن تلك المقدمة بالوعيد التالي: (إني أسأل نفسي أمام القراء من غير اليهود ومن الأعداء: لو قدر لأمتك أن تجد نفسها مرة أخرى في وضع كالذي كانت فيه عندما اضطرت إلى أن تعمل تحت الأرض، وتحارب، وتصبح ثائرًا مطاردًا.. فهل تكرر في مثل هذه الحالة ما سبق أن فعلته؟ والجواب: هو بكل تأكيد، نعم!!)[١].

أي أن إسرائيل تحت زعامة السفاح بيجن، لا تزال تؤمن بسياسة القوة، وتأبى إلا أن تسود بحد السيف).

ويعلل الثورة بعاملين: أحدهما ما تعرضت له الأمة اليهودية في أوروبا.. من قتل وتعذيب ملايين النساء والأطفال والرجال.. ولم يعد هناك خداع أنفسنا.. لم يكن النازيون وأصدقاؤهم وحدهم الذين ينظرون إلى اليهود كحشرات يجب إبادتها، بل اعتاد العالم كله اعتبار اليهود مختلفين عن سائر البشر.. وكما أن العالم لا يشعر بالعطف على الآلاف من قطعان الماشية التي تُساق إلى المذابح، فإنه لم يشعر بالعطف أيضًا، أو ربما كان قد اعتاد عند رؤية عشرات الألوف من اليهود يُقادون إلى مذابح الألمان.. أن العالم لا يشعر بالعطف على الذين يُذبحون. .. إنه لا يحترم سوى أولئك الذين يحاربون!!

والعامل الثاني: إغلاق أبواب فلسطين في وجوه اليهود، وينعي بيجن بسخرية لاذعة على الوكالة اليهودية بزعامة (بن جوريون) سياسة ضبط النفس التي فرضتها قوات الهاجاناه.. والتي تتبع الوكالة اليهودية فترة الانتداب البريطاني على فلسطين قبل عام ١٩٤٧، وكانت الوكالة اليهودية تملي على الهاجاناه ألا تقوم بأي عمل حربي إلا من قبيل الدفاع، ذاكرًا أن (الأرجون) ما أنشئت إلا لتنفيذ عكس هذه السياسة!![٢].

ويقول بيجن إن قيادة الأرجون عندما قررت بدء مهاجمتها للإنجليز في أواخر عام ١٩٤٣،

---

(١) محمد عبد العزيز منصور (يا مسلمون اليهود قادمون) ص ١٣ دار الاعتصام سنة ١٩٧٨م.

(٢) نفسه ص ١٥/ ١٦ باختصار.

بحثت طويلًا في: هل تصدر بيانًا بأغراضها قبل الشروع في الاعتداء؟ أم تقدم عليه مباشرة بلا مقدمات؟ وأخيرًا قررت إصدار البيان برغم ما في ذلك من إضاعة لعنصر المفاجأة المهم من الناحية الحربية، وذلك لشرح مبادئها وتحديد مطالبها وأهدافها التي تتلخص في تنبيه اليهود إلى أن المعركة ستكون طويلة وتتطلب تضحيات جسيمة، وإبلاغ للعالم أنها ستقاتل حتى تتم إقامة حكومة يهودية في فلسطين تنتقل إليها سلطات حكومة الانتداب، وينتهي إلى أنه لم يعد بذلك مجال للتراجع أمام اليهود.. فإما تحقيق أغراضهم وإما الموت!!

ويقول إن الفيلسوف ديكارت قد نطق بكلمة بليغة عندما قال: إني أفكر إذًا أنا موجود. ولكن هناك أوقات في تاريخ الأمم لا يكون التفكير كافيًا لإثبات وجودها، وقد تفكّر الأمة بينما أبناؤها يُستعبَدون رغم تفكيرهم، أو يكادون في مثل هذه الأوقات تكون الكرامة الإنسانية نفسها معلقة بالمقاومة؛ ولذلك إننا نحارب.. إذًا نحن موجودون!![1].

ويستطرد في كتابه «الثورة» فيقول: إن الإستراتيجية العامة التي وضعتها القيادة العليا للحرب ضد عرب فلسطين، ثم ضد جيوش الدول العربية، التي كان اشتراكها في المعركة متوقعًا في منتصف مايو عام ١٩٤٨ بعد جلاء الإنجليز عن فلسطين، كانت ترمي إلى أربعة أهداف رئيسة وهي:

احتلال القدس، ويافا، وسهل الرملة، واللد، والمثلث الذي تقع على أطرافه مدن نابلس وجنين وطولكرم، تمهيدًا لفرض السيطرة اليهودية على كل الأراضي الفلسطينية على أقل تقدير في هذه المرحلة[2].

ويقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (فأعلن بيجن عقب فوزه في انتخابات مايو سنة ١٩٧٧ في صراحة تثير الدهشة بأن الضفة الغربية للأردن هي أرض محررة وعادت لأصحابها من اليهود!! واستمر في إعلان نواياه العدوانية بعد رحلة الرئيس السادات الأخيرة للقدس في نوفمبر سنة ١٩٧٧، فصرح بما نصه: (لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل، ولا لأرض إسرائيل حتى ولا للعرب، ما دمنا لم نحرر وطننا بأجمعه -ويقصد بيجن من النيل إلى الفرات- حتى ولو وقعنا معاهده الصلح)!![3].

(١) نفسه ص ١٧.
(٢) نفسه ص ٣٠/ ٣١.
(٣) نفسه ص ٢٩/ ٣٠.

حاشية:

يقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (ولا أحد أصدق تعليقًا على مزاعم «مناحم بيجن» في «ثورته» سوى ما سطرته الكاتبة الأمريكية «إيلين بتي» في نهاية كتابها «أزيلوا إسرائيل هذا هو الحل)، وأورد ما نصه:

(لننقذ إذًا هذه الأرض المقدسة من أيدي الغاصبين، ونخلع عليها الوضع الذي تستحق، إن تحت ندباتها صفة على أعظم جانب من النبل ولنلبسها الحلل الجميلة، ونجلسها على عرش، ثم لنتوّج رأسها بتاج يقدم له الجميع الخضوع والطاعة.. ولنعيدها إلى أصحابها الشرعيين -تقصد العرب الفلسطينيين- لنفعل هذا.. هذه الأرض هي مزار الله والأديان الثلاثة الكبرى... فلنجعلها مزارًا.. مزارًا دوليًا -الأول بحق- لنفعل هذا وبذلك تستقر الأمور وتستقيم الأحوال هذا هو الحل... هذا هو الحل)!!

الإرهاب الإسرائيلي منذ بدأ واستمراره حتى الآن:

بدأ الإرهاب الإسرائيلي منذ بداية الحركة الصهيونية بغزو فلسطين بشكل منظم منذ نهاية القرن الماضي.

وقد مرّ بنا مذبحة «دير ياسين» الشهيرة، وهي قرية عربية تقع بالقرب من مدينة القدس؛ حيث دخلتها القوات الإرهابية اليهودية يوم ٩/ ٤/ ١٩٤٨ وذبحت ٢٥٤ شخصًا أغلبهم نساء ومسنون وأطفال؛ حيث كان الرجال يدافعون عن مدينة القدس (حسبما جاء في تقرير صدر عن الصليب الأحمر الذي زار المكان في غداة اليوم ١٠/ ٤/ ١٩٤٨).

وعندما سقطت مدينة «اللد» بأيدي اليهود في عام ١٩٤٨، دخلوا المدينة حيث أخذوا يطلقون النار بشكل عشوائي على كل من وجدوا أمامهم، فسقط مئات القتلى.. وأجبرت العصابة الإرهابية بقية السكان على السير على الأقدام أكثر من مائة كيلومتر ليصلوا إلى مدينه (رام الله) والمدن الأخرى، ويقول بعض الذين كُتب لهم النجاة بعد هذه المعاناة، أن المئات خصوصًا المسنين والصغار ماتوا في طريقهم إلى المجهول، إما من التعب أو العطش أو الغضب.

ولم تنته عملية الإرهاب بذلك، بل روى بعض الذين تمكّنوا من الانتصار على الموت وهم في طريقهم إلى رام الله، أن العصابات اليهودية كانت تقطع الطريق على الفارّين وتقوم «بتشليحهم» من كل ما يحملونه من نقود وأشياء ثمينة، كما أجبروا النساء على خلع حليهن وتسليمها لأعضاء

هذه العصابات، وكل من رفض الانصياع لأوامرها أُردي قتيلًا على الفور[1].

وكانت هناك مذابح كثيرة، من بينها مذبحتا مدينتي اللد والرملة، والتي استُشهد فيها مئات من البشر، ومذابح لم تدوّن بعدُ، كما واكب الأعمال الإرهابية طرق القتل والتدمير لم تشهدها المنطقة من قبل؛ حيث كانت العصابات اليهودية أول من أدخل عمليات زرع المتفجرات في الأسواق العامة والحافلات وفي محطات الباصات والقطارات والقيام بنسف السكك الحديدية والقطارات، وأول من أدخل عمليات السيارات «المفخخة» والرسائل الملغومة التي كانت تُرسل عبر البريد.

ومن الأساليب الأخرى الإرهابية التي قام بها اليهود في فلسطين، وضع المتفجرات في براميل، والصعود إلى موقع مرتفع في المدينة العالية، ومن ثم تركه يتدحرج حتى يصطدم بشيء ما وينفجر، وقد وقعت هذه الحوادث في مدن مثل حيفا حيث كان اليهود يعيشون بأغلبيتهم على سفوح جبل الكرمل، والأكثرية العربية على أسفل الجبل.

وفي أعقاب قيام إسرائيل أخذت الحكومة بالعمل الجاد على تغيير طبيعة البلاد؛ **حيث أبادت ٤١٨ قرية عربية من الوجود**، وأقامت مكانها مستعمرات يهودية، ومن ثم غيّرت معظم أسماء المدن العربية إلى عبرية، وكذلك أسماء الشوارع، ثم أخذت باقتلاع أشجار الحمضيات وكروم الزيتون والعنب وغيرها من الفواكه، **وإقامة المستعمرات اليهودية على تلك الأراضي**[2].

وما زالت عمليات سرقة الأراضي العربية جارية حتى يومنا هذا، حيث يوجد اليوم مخطط في إسرائيل للاستيلاء على أراضي الجليل العربية باسم مخطط يحمل اسم تهويد الجليل، وذلك بهدف جعل أغلبية السكان في تلك المنطقة من اليهود، كون الأغلبية الآن من العرب.

---

(١) د/ فوزي الأسمر (أمريكا وسراب الحلم العربي) ص ٣٣٠/ ٣٣١ كتاب (الرياض) العدد ٨٨ مارس ٢٠٠١م - مؤسسة اليمامة الصحفية ١٤٢١هـ - الرياض.

هذا، ويضيف الدكتور رجب البيومي إلى هذه الأهوال ما تمخضت عنه دناءة اليهود بعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ من الفظائع ما تشيب له الرؤوس، وما زلنا للآن لا نستيقظ إلا على شرٍّ داهم مما يرتكب هؤلاء الآثمون، ولهم يومهم المرتقب؛ لأن الله تعالى يمهل الظالم حتى إذا أخذه لم يفلته.. إذ إن فظائع القتل الجماعي في سيناء والضفة والجولان لم تقف عند حد، وهكذا يتشابه القديم في هوله مع الجديد في وحشيته). مقال بعنوان: (تحليل علمي لكتاب بنو إسرائيل في الكتاب والسّنة لشيخ جامع الأزهر د/ سيد طنطاوي) ص ٤١/ ٤٣ مجلة (الهلال) مارس سنة ١٩٩٨م... ونعلّق بدورنا فنقول: وما زالت الفظائع والأهوال تشتد في بشاعتها ووحشيتها على أهل فلسطين، وبخاصة غزة، حتى كتابة هذه السطور في ٢٢ يونيو سنة ٢٠٢٤م!!

(٢) نفسه ص ٣٣١/ ٣٣٢ باختصار.

وعملية قتل العرب استمرت حتى بعد أن قامت إسرائيل، ففي عشية حرب عام ١٩٥٦ أعلنت سلطات الحكم العسكري عن منع التجول، ابتداء من بعد ظهر ذلك اليوم، ولم تشفع توسلات مخاتير القرى والمدن العربية لدى الحاكم العسكري بأن بعضًا من أبناء تلك القرى والمدن لا يزالون في طريقهم من أماكن عملهم عائدين إلى بيوتهم يوم (٢٩/ ١٠/ ١٩٥٦)، وبالفعل قام الجيش الإسرائيلي بإيقاف سيارات شحن تقل عمالًا عربًا من رجال ونساء، وكانوا ينزلونهم ويعصبونهم في صف واحد ويطلقون الرصاص عليهم، ويردونهم قتلى، حدث ذلك عند قرية كفر قاسم في منطقة المثلث، وكان بينهم بعض النساء الحوامل، واستشهد في هذه المذبحة ٤٩ فلسطينيًّا، وتلاها الكثير من القتل من بين المذابح المشهورة مذبحة يوم الأرض في عام ١٩٧٦[١].

ويقول الدكتور فوزي الأسمر: (والمذابح التي وقعت في الضفة الغربية وقطاع غزة كثيرة، بعضها معروف، وآخر لم يكتب عنه الكثير، خصوصًا المذابح على شاطئ مدينة غزة، ويكفي أن نشير إلى بعضها؛ لكي نؤكد أن عملية اغتصاب أرض فلسطين لا تزال مستمرة، مذبحة المسجد الأقصى، ومذبحة الحرم الإبراهيمي في مدينة الخليل، بالإضافة إلى الاغتيالات الشخصية، ويجب ألا ننسى شهداء الانتفاضة، والتي تجاوز عددهم الألف شهيد)[٢].

الإرهاب خارج فلسطين:

عرضنا فيما سبق لبعض الأعمال الإرهابية داخل أرض فلسطين، أما في خارجها فقد اتسعت لتشمل الأردن، حيث قام عملاء الموساد الإسرائيلي بمحاولة اغتيال خالد مشعل أحد زعماء حركة حماس في العاصمة الأردنية عمان يوم ٢٥/ ٩/ ١٩٩٧، عن طريق تسميمه ولكنهم فشلوا، وتكررت على مستوى أوسع فيما يعرف بفضيحة «لافون» نسبة إلى وزير الدفاع الإسرائيلي في حينه «بنجارس لافون» حيث حاول الموساد نسف منشآت أمريكية في مصر في الخمسينيات، وقد ألقت مصر القبض على أحد عملاء الموساد في حينه، وقدمته للمحاكمة، وهناك أيضًا قصة «الوحدة ١٠١» التي أقامها الجيش الإسرائيلي في الخمسينيات، والتي رأسها شارون، حيث كانت مهمتها الدخول في قطاع غزة والأردن وقتل الأبرياء والتي تدخل ضمن مجال الإرهاب، كما أن قيام إسرائيل بضرب منشآت إنسانية على غرار مدرسة (بحر البقر) في مصر اليوم، ومقر

---

(١) نفسه ص ٣٣٤.

(٢) نفسه ص ٣٣٥.

قوة الطوارئ الدولية في (فانا)، وارتكاب مذبحة صبرا وشاتيلا، وغيرها تؤكد تسلسل موقف إسرائيل الإرهابي المنظّم، وهناك أعمال مشابهة كثيرة بعضها نجح وبعضها فشل، ولكن المهم في الأمر أن هذه الأعمال تبرهن على أن دولة إسرائيل **ترعى الإرهاب المنظم من جانبها، في حين نجحت في المجال الإعلامي بإلصاق تهمة الإرهاب بالعرب!!)**[1].

ويدخل ضمن الإرهاب أيضًا مصادرة الأراضي الزراعية المملوكة للعرب، وقامت إسرائيل في أعقاب حرب ١٩٤٨ بهذه الطريقة بقطع الصلة بين الأرض والإنسان العربي، ثم تحويل العربي من مزارع مستقل اقتصاديًّا إلى عامل مرتبط بالمؤسسات والمصانع والمنشآت الإسرائيلية، وكان العامل العربي مضطر في كل يوم للقيام برحلة لساعتين أو لثلاث ساعات ليتمكّن من الوصول إلى مكان عمله.

وهناك هدف آخر هو استغلال الأراضي العربية المصادرة لإقامة مشاريع إسكان واستيطان يهودي، فقامت المزارع الجماعية (الكيبوتسات) والقرى الزراعية (الموشاف)، وأصبح أصحاب الأراضي يعملون أُجراء عند اليهودي وعلى أراضيهم وأراضي أجدادهم!!

هذا الأسلوب نفسه هو الذي تتبعه السياسة الصهيونية لحكومة إسرائيل في الأراضي التي احتُلت في أعقاب حرب ١٩٦٧، خصوصًا في الضفة الغربية وقطاع غزة ومرتفعات الجولان السورية. وبلا شك أن الأهداف كانت نفسها أيضًا، أي استعمار الأرض عن طريق: إقامة المستعمرات اليهودية عليها، وقطع الصلة بين الإنسان العربي وأرضه، الشيء الذي قد يشجعه على الرحيل من البلاد، ولكن فشل مخطط الترحيل (عن طيب خاطر) عند الفلسطينيين الذين بقوا تحت إسرائيل منذ حرب عام ١٩٤٨، فقد كان عدد العرب عند ذلك الاحتلال ١٥٠ ألف نسمة، ووصل عدده اليوم إلى حوالي مليون.

---

(١) نفسه ص ٢٤٣/ ٢٤٤/ ٢٤٥ باختصار.

حاشية: هذا، وقد نقل الدكتور محمد سيد طنطاوي شيخ الجامع الأزهر السابق عن مؤرخي أوروبا أنفسهم بعض ما دوّنوه عن فظائع اليهود، فذكر ما كتب المؤرخ (إكساسيوس) عن كوارث اليهود في القرن الثاني الميلادي، حيث عمدوا إلى ذبح الرومان واليونان وأكلوا لحومهم، وسلخوا جلودهم، وقدموا الكثيرين من الآدميين إلى الوحوش المفترسة، كما يذكر استنزافهم دم غير اليهودي (مقال د/ محمد رجب البيومي)، تحليل علمي لكتاب «بنو إسرائيل في الكتاب والسنة» ص ٤٢ مجلة الهلال مارس ١٩٩٨م، والكتاب أصله رسالة علمية نال بها الباحث درجة الدكتوراه بأعلى مراتب الشرف!

أما في الضفة الغربية وقطاع غزة، فقد نجحت إسرائيل في تقليص عدد السكان، وذلك بسبب الطرد الجماعي وانتزاع الأراضي والفرص المتاحة أمام الفلسطينيين من الضفة الغربية وقطاع غزة للوصول إلى الدول العربية[1].

ولم يخف الصهاينة كل هذه الأعمال، بل رفعوها على رؤوس الأشهاد. ومن جملة من تحدث عن هذه المواضع كان «ديان» رئيس أركان الجيش الإسرائيلي ووزير خارجيتها فيما بعد، حيث قال في محاضرة ألقاها في الجامعة التكنولوجية في مدينة حيفا عام ١٩٦٨: لقد جئنا لهذه البلاد التي كانت آهلة بالسكان العرب، **وأسسنا هنا دولة عبرية يهودية**، وقد اشترينا بعض هذه الأراضي من العرب، ولكننا بنينا قرى يهودية مكان القرى العربية، إنني لا ألومكم إذ إن كتب الجغرافيا هذه لم تعد موجودة، بل إن القرى العربية نفسها لم تعد موجودة.

إن عملية الاستيلاء على الأرض كان لها في العُرف الصهيوني واليهودي بُعد سياسي وبُعد قومي؛ ولهذا فقد حاولت إسرائيل منذ احتلال ١٩٦٧ تكريس سيطرتها واحتلالها بصورة شرعية لتلك المناطق عن طريق شراء الأراضي العربية في الضفة والقطاع.

ومن هنا جاء رد الفعل العربي والفلسطيني؛ حيث أدى إلى وقف المباحثات والوصول إلى طريق مسدود، ولم تستطع المحاولات الأمريكية وبعض الدول العربية نفخ الحياة في هذه المباحثات[2].

ويقول الدكتور فوزي الأسمر: (واستمرت عمليه الاغتصاب في أعقاب احتلال عام ١٩٦٧، فقد أخذت إسرائيل بطرد السكان العرب، وهدم الأحياء السكنية، ومصادرة الأراضي العربية في الضفة الغربية وغزة، ومن ثم بدأت بإقامة المستعمرات اليهودية على تلك الأراضي تمامًا كما حدث في عام ١٩٤٨)[3].

شعار الإرهابي الأكبر أنا أقتل إذًا أنا موجود:

إن كل هذه الجرائم تندرج تحت قول بيجن الإرهابي الأكبر: (أنا أقتل إذًا أنا موجود)!![4].

(١) نفسه ص ٣٢٠/ ٣٢١ باختصار.

(٢) نفسه ص ٣٢٢.

(٣) نفسه ص ٣٣٤.

(٤) ضياء الحاجري (إسرائيل من الداخل) ص ١٠٧ مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٩٢م.

ورؤساء المؤسسات العسكرية التي كانت تمارس عمليات الإرهاب على أرض فلسطين قبل إعلان الدولة ١٩٤٨ هم أنفسهم يشكّلون الأحزاب السياسية في إسرائيل، وهم قادة الجيش الإسرائيلي أصلًا أمثال: موشيه ديان - إسحاق رابين - عيزر وايزمان -حاييم بارليف - أريل شارون - ديفيد أليعازر- شيمون بيريز[١].

وفي عام ١٩٦٧ سُئل ديان عن مقدرة إسرائيل على استيعاب السكان العرب في حالة ضم الأراضي المحتلة فأجاب: (إننا قادرون على ذلك من الناحية الاقتصادية، ولكني أعتقد أن هذا لا يتمشى مع خططنا المقبلة، ذلك يؤدي إلى وجود دولة يهودية مزدوجة القومية، دولة عربية يهودية، ونحن نسعى إلى دولة يهودية فحسب)[٢].

إن السلوك الصهيوني يشبه سلوك المستوطنين الأمريكيين إزاء الهنود الحمر.. وعند قيام دولة إسرائيل كان هناك قرابة تسعمائة ألف عربي يقيمون في فلسطين، وقد هرب أو طُرد من هذا العدد حوالي ثلاثة أرباع المليون، وعندئذ قال بن جوريون أول رئيس وزراء لإسرائيل: (ينبغي علينا أن نفعل كل ما في وسعنا حتى لا يعودوا مرة أخرى)[٣].

ومن الحقائق المعروفة أن إسرائيل لم تُبن على أرض خالية، بل أُقيمت على أنقاض القرى العربية التي كانت تضم المنازل والمساجد والمدارس والمقابر، فعلى سبيل المثال أقيم فندق هيلتون بتل أبيب على مقابر المسلمين، **وقد دمر اليهود حوالي أربعمائة قرية فلسطينية، وأزالوها من الوجود تمامًا**، بينما كان يقال للزوار الأجانب إن هذه القرى كانت صحاري خالية[٤].

ويسير المستوطنون اليهود في الضفة الغربية وهم مدججون بالسلاح، ويعترضون طريق المارة العرب ليطلبوا منهم بطاقات الهوية، وكثيرًا ما يحلو لهم اقتحام بيوت العرب لتهديدهم، وأحيانًا يدمّرون المحاصيل أو ينسفون المنازل لإجبار العرب على ترك الديار[٥].

وفي عام ١٩٨١ تلقى الجنود اليهود الذين وصلوا إلى مدينة الخليل، تلقوا دورة تدريبية حول كيفية معاملة العرب، وقال لهم المحاضر **إن العرب ليسوا بشرًا، ويجب معاملتهم كالحيوانات، وأنهم يحبون الضرب والإذلال**، وأنه في حالة دخول أحد المنازل العربية للتفتيش يجب ضرب

---

(١) نفسه ص ٢٦.

(٢) نفسه ص٢١.

(٣) نفسه ص ٨١.

(٤) نفسه ص ٨١.

(٥) نفسه ص ٨٦.

الأب أمام أفراد أسرته وخاصة الأطفال، حتى يشعر بالذل، هذا إذا حاول المقاومة، ولكن إذا استعطفنا الأب أمام الأطفال فنكتفي بصفعه على وجهه لطمة أو لطمتين، ولا بأس من بعض الضربات الخفيفة على جسده، وفي حالة ظهور الأب بمظهر المتغطرس والاعتداد فيتم تحطيم بعض الأثاث وإلقاء المواد الغذائية في صندوق القمامة[1].

وقد أصابت المؤرخة البريطانية كارين أرمسترونج في قولها: (وفي عام ١٩٤٨ أجبر الفلسطينيون على ترك وطنهم للصهاينة الذين أسسوا دولة يهودية في إسرائيل برغم من الأمم المتحدة والمجتمع الدولي. **ظل فقدان فلسطين رمزًا للمهانة التي لحقت بالعالم الإسلامي على يد القوى الغربية التي لم تشعر بأي وخزة ضمير بطرد وتشريد الآلاف من الفلسطينيين)!!**[2].

ويا لها من مهانة حقة!!

أما عن خطط اليهود وأهدافهم في المستقبل، فإن معرفتها تثير القشعريرة وتصدم كل معاني الإنسانية والقيم التي عرفتها البشرية طوال تاريخها.

وقد اختار مؤلف كتاب (**إسرائيل من الداخل**) بعض أقوال زعمائهم دون تصريح بأسمائهم الحقيقية مكتفيًا بالإشارة إليه باسم «زد» وقد سمع أقواله شخصيًّا.

فمن أقواله: (إنني لا أهتم بأن يطلقوا علينا أفزع الألقاب، لا يهم فكل شيء محرّم مسموح به في سبيل البقاء، أي شيء حتى طرد العرب من الضفة الغربية، **وماذا لو قتلنا مليونًا من العرب أو حتى ستة ملايين**، ماذا سيحدث؟ سيكتب التاريخ عنا في كتابه صفحتين فقط مجللتين بالسواد، ولكن فمن ذلك سيكون عظيمًا، سيأتي إلينا يهود الشتات ويصبح تعدادنا ٢٥ مليونًا..

أما باقي العرب الذين لم نستطع قتلهم للاستيلاء على أرضهم سنقدم لهم تعويضات نحصل عليها من عائدات بترول العراق، وبعد ذلك نهنأ في دولتنا التي تضم ٢٥ مليون إسرائيلي، وتمتد من قناة السويس إلى آبار البترول في الخليج، وصدقني **أن العالم لا يحترم إلا القوة**، إنني على استعداد منذ اليوم للتطوع بأداء الجانب القذر من العمل الإسرائيلي، أن أقتل أكبر عدد ممكن من العرب، أن أطرد الباقي وأن أحرق المساكن، أن أثير الكراهية ضد يهود الشتات حتى يهرعوا إلى هنا لحمايتنا!!)[3].

---

(١) نفسه ص ٨٧.

(٢) كارين أرمسترونج (مسيرة الإسلام) ص ٢١٣/ ٢١٤ ترجمة د/ هشام الحناوي ١٤٢٣هـ-٢٠١٢م.

(٣) إسرائيل من الداخل ص ١٧٢/ ١٧٣ باختصار شديد.

وقِسْ على ذلك موقف سائر الصهاينة، وعندما قام جيش مصر بتحرير أراضي عام ١٩٧٣، قامت أمريكا بإمداد إسرائيل بالسلاح عبر جسر جوي لتعويضها عن كل سلاح تخسره، مع متطوعين من شتى العواصم يقول عنهم مراسل صحيفة إنجليزية: (لقد ولوا وجوههم شطر إسرائيل، بالروح التي كانت تدفع الرجال قديمًا إلى الاشتراك في الحروب الصليبية).. وقد علّق الشيخ الغزالي رحمه الله تعالى على ذلك بالتساؤل: (أما لهذا الغّل من آخر!!)[١].

ومن المعترف به -من الوجهة الدينية- أن الحركة الصهيونية برمتها حركة ضد المسلمين، ولم يقتصر دور الدولة التي زرعتها على أن تكون مصدر للدعاية والسياسات المعادية للإسلام، بل أصبحت تمثل -بفعل آلة الحرب الفعالة التي شيدتها أمريكا- تهديدًا عسكريًّا للبلاد والشعوب التي في قلب الأمة الإسلامية، بل ولأماكنهم المقدسة[٢]، ويقول روجيه دوباسكويه: ولم تنقطع التعهدات الأمريكية لإسرائيل بأن تجعلها أقوى من الدول العربية مجتمعة، ويعلن المسئولون الأمريكيون على مختلف مستوياتهم أن عليهم التزامًا أخلاقيًّا تجاه إسرائيل، وهي دولة الإرهاب الأولى في المنطقة، وما فعلته بالفلسطينيين لم يحدث في تاريخ العالم من قبل، إلا ما فعله المستعمرون بالهنود الحمر في أمريكا، وحادثة الحرم الإبراهيمي ليست الأولى من نوعها في تاريخ الإجرام اليهودي، ولم نسمع من مصدر إعلامي واحد -محليًّا أو خارجيًّا- نعت العملية ومن قام بها ومن تستر عليها، ومن تركها بدون عقاب أو احتياط لمنعها في المستقبل بالإرهاب، مع أن تلك العملية يدعمّها بما لا يدع مجالًا للشك الإرهاب اليهودي على مستوى الأفراد والجيش ورجال الدين والقضاء والدولة، ولم يفقه في انعدام الإنسانية إلا العنصرية ثم تخاذل الأمم المتحدة)[٣].

ويتضح بصورة سافرة غدر الأوروبيين بالمسلمين وفق اتفاقية سايكس بيكو لتقسيم أراضي الدولة العثمانية، وفرض الإنجليز والفرنسيين الحماية على سوريا ولبنان وفلسطين والعراق والأردن، وفي عام ١٩٤٨ أُجبر الفلسطينيون على ترك وطنهم للصهاينة الذين أسسوا دولة يهودية في إسرائيل بدعم من الأمم المتحدة والمجتمع الدولي. وظل فقدان فلسطين رمزًا للمهانة

---

(١) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص ١٠ ط دار القلم - دمشق ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

(٢) روجيه دوباسكويه -الصحفي السويسري- (إظهار الإسلام) ص ٩٢ مطابع الشروق ١٩٩٤.

(٣) نفسه ص ٧٧ (وجريمة الحرم الإبراهيمي قام بها السفاح باروخ جولدشتاين حيث قتل ثلاثين من الفلسطينيين الركع السجود).

التي لحقت بالعالم الإسلامي على يد القوى الغربية التي لم تشعر بأي وخزة ضمير لطرد وتشريد مئات الآلاف من الفلسطينيين[١].

ويقرر الدكتور جمال حمدان أن إسرائيل استعمار طائفي بحت، والدولة دولة دينية صرفة، فهي تقوم على تجميع اليهود، واليهود فقط، في جيتو سياسي واحد، ومن ثم فأساسها التعصب الديني ابتداء[٢].

لذلك فإن إسرائيل من أشد الدول تمسكًا بمبدأ تقديم الفكرة الدينية واللغة التي تعبر عنها، وإن أهم ما يسترعي الأنظار في المدارس الإسرائيلية في فلسطين، أن لغة الدراسة في كافة المواد هي العبرية، فيما عدا اللغات الإنجليزية والفرنسية والعربية، **والعناية شديدة في جميع مراحل التعليم بالدراسة الدينية،** وجعل التعليم الديني أساس الصهيونية وتقدمها.

وبالرغم من اختلاف الأحزاب في اتجاهاتها فإنها تتفق على هذه الفكرة الأساسية، وتُعنَى عناية خاصة بالتربية الدينية، ويرى بعضها أن التقاليد الدينية اليهودية هي النبراس الذي ينبغي أن تستهدي به نظم التعليم، ويحتم بعضها على المعلمين أن يكونوا تقليديين، أي أن يحرصوا على التقاليد اليهودية الأصولية[٣].

حاشية: السلام مع إسرائيل من منظور أمريكا:

عندما زار الرئيس الأمريكي الشرق الأوسط في أواخر شهر أكتوبر سنة ١٩٩٤ أضفى على زيارته مضمونًا محددًا، وصوّرها وكأنها ترمز إلى تحوّل مهم في المنطقة يتمثل في أن السلام قد حلّ، وحملت رسالة كلينتون معنى أن السلام قد أصبح هو المرجعية الواجب الالتزام بها، أيضًا صرّح تحديدًا ضمنيًّا بأن من لا يتبنى رؤيته بالكامل إنما يكشف نفسه كمعادٍ للسلام، أو على الأقل كشخص ذي نيات مشبوهة، ورتّب الرئيس الأمريكي على هذه المقدمات نتيجة سياسية هي أن الوقت قد حان لشن حرب لا هوادة فيها على أعداء السلام..

وكتب توماس فريدمان في صحيفته «نيويورك تايمز» يوم ١٥ فبراير سنة ١٩٩٥ يقول:

(إن مصر تواجه الآن أزمة هوية، لقد علقت آمالًا على أن السلام سوف يقلص من شأن إسرائيل، وسوف يردها إلى حجمها الطبيعي، ولكن السلام عظّم من شأن إسرائيل، وأكسبها

(١) كارين أرمسترونج (مسيرة الإسلام) ص ٢١٣/ ٢١٤ ترجمة د/ هشام الحناوي ١٤٣٣-٢٠١٤م.

(٢) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) ص ١٧ مكتبة الأسرة سنة ١٩٩٩م.

(٣) أبو الحسن الندوي (نحو التربية الإسلامية الحرة) ص ٤٩ ط المختار الإسلامي -١٣٩٤هـ-١٩٧٤م.

فرصًا دبلوماسية واقتصادية في آسيا والعالم العربي؛ مما جعل القدس لا القاهرة هي مركز الثقل بالمنطقة، قد أسفر السلام عن ظهور مصر دولة أصغر من حجمها الطبيعي، وعليها الآن أن تنافس إسرائيل وغيرها من الدول العربية من منطلق ما تملكه من أرصدة حقيقية)[1].

***

(١) محمد سيد أحمد (سلام.. أم سراب؟) ص ١٦٥ ط٢ دار الشروق ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

الباب الخامس

تفسير العلاقة الحميمة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية

الفصل الأول: ظاهرة الطابع الدموي المتشابه بين الدولتين.

الفصل الثاني: حركات الإحياء الديني والأصولية المسيحية في الولايات المتحدة.

الفصل الثالث: نفوذ اللوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.

الفصل الأول

ظاهرة الطابع الدموي المتشابه بين الدولتين

تفسير العلاقة الوطيدة بين أمريكا وإسرائيل: دراسة مقارنة:

يقتضي ذلك بيان الحقائق الأولية البحتة في قيام ووجود إسرائيل وبقائها حتى الآن. يؤرخ الدكتور جمال حمدان للبداية فيذكر أن الحركة الصهيونية تتعاصر مع آخر موجة كبرى من موجات الاستعمار الأوروبي، ولقد تعلقت بأذيال هذا الاستعمار لتحقيق أهدافها الخاصة في إنشاء «**الدولة اليهودية**». والصهيونية، من بدايتها حركة سياسية في الحقيقة (الصهيونية السياسية)، ولكنها تقنعت منذ اللحظة الأولى بالدين (الصهيونية العاطفية)؛ لتخلق من رؤية العودة إلى أرض الميعاد أيديولوجية تاريخية ودينية تجمع يهود الشتات حولها، وكذلك قناعًا وشعارًا تخفي به حقيقة أهدافها عن العالم الخارجي؛ ولهذا رفضت عدة اقتراحات لوطن قومي في غير فلسطين.

وقد مرّ تكوين إسرائيل بمرحلتين ثم الغزو، اتسمت المرحلة **بالدموية في شكل حرب عصابات يهودية شجعتها إنجلترا بالسلاح** في وجه مقاومة عربية ثورية للانتداب البريطاني، قاومها بالقوة، وتحت مرحلة الغزو في حرب سنة ١٩٤٨، حيث حدد مصيرها سياسة التسلح ومناورات السياسة من جانب الدول الاستعمارية، ثم طرد نحو مليون من العرب الأصليين خارج الأرض المحتلة، بينما تدفقت الهجرة الكبرى لتجمع في النهاية نحو مليونين من الصهيونيين يمثلون حوالي ١٣٪ من اليهودية العالمية[1].

ونضيف بدورنا ما نصفه بالحقيقة الجوهرية في إنشاء إسرائيل وتحولها من مشروع سياسي وديني إلى واقع مجسّد في شكل (خنجر) مغروس في فلسطين قلب العالم الإسلامي، وفق قرار التقسيم الذي وصفه وزير الخارجية دين راسك نفسه بقوله: (إن قرار تقسيم فلسطين **اقترن في أذهان الكثيرين بأنه قرار أمريكي وليس قرارًا من الأمم المتحدة**؛ ولهذا كان هذا القرار مجردًا من

(١) د/ جمال حمدان (إستراتيجية الاستعمار والتحرير) ص ١٦٨/ ١٦٩ باختصار ط الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٩ (مكتبة الأسرة).

القيمة الأدبية التي كان يمكن أن تكون له لو أنه صدر من الأمم المتحدة دون ضغط وإنما عن اقتناع)[1].

أما وزير الدفاع الأمريكي فورستال فقد كتب في مذكراته: (ووسائل الضغط التي مارستها أمريكا في ذلك الظرف وصلت إلى حد الفضيحة، حتى أن سالزبرج صاحب جريدة «نيويورك تايمز»، وهو يهودي، كتب مقالًا قال فيه: «إنني أكره وسائل الإكراه التي يلجأ إليها الصهيونيون في أمريكا، والذين لم يترددوا في استخدام محاولاتهم أن يغتالوا «بالتشهير» شخصيات أولئك الذين لا يتفقون معهم، فهل يعرف الرأي العالمي ذلك ويذكر أن قرار إنشاء إسرائيل إنما صدر بهذه الوسائل التي جردته من جميع قيمته الشرعية والدولية فضلًا عن قيمته الأدبية والأخلاقية؟؟)[2].

ومنذ عام ١٩٤٨ حين نشبت الحرب بين الدول العربية والمستوطنين اليهود، نال اليهود من الأمريكان مساعدات عاجلة ومهمة، فقدموا لهم الأموال وأيدوهم في وسائل الإعلام، ونقلت الطائرات الأمريكية السلاح لليهود عن طريق براغ، وحملت باخرة اسمها «الطائر» ٥٤ دبابة أفرغتها في ميناء حيفا.

ومنذ قيام إسرائيل وإلى يومنا هذا وأمريكا تزداد سنة بعد أخرى ورئيسًا بعد رئيس في دعم العدوان الإسرائيلي، حتى أصبحت معه الدولة اليهودية وكأنها إحدى ولايات هذه الدولة الكبرى.

وقد خططت أمريكا مع إسرائيل لحرب عام ١٩٦٧، تلك الحرب التي احتلت فيها إسرائيل كامل التراب الفلسطيني، وأضافت إليه سيناء من مصر والجولان من سوريا.

كذلك أمدتها بجسر جوي خطر من السلاح في عام ١٩٧٣، وحوّلت هزيمتها في بادئ الحرب إلى ما يشبه النصر، كما أيدتها في احتلالها لقسم كبير من لبنان في عام ١٩٨٢، وأعطتها القنابل الفسفورية والعنقودية ما دمّرت به الأخضر واليابس، وقتلت مئات الأنفس من الكبار والصغار والأطفال والرجال والنساء في بيروت وغيرها[2].

---

(١) د/ محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل) ص ٩١/ ٩٢ باختصار ط دار القلم – دمشق والدار الشامية – بيروت ١٤١٠هـ –١٩٩٠م.

(٢) محمد علي دولة (ناشر كتاب الدكتور محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل) بمقدمته للكتاب تحت عنوان: (لماذا هذا الدعم الأمريكي لإسرائيل؟) من ص٥ إلى ص٣٢ (بتاريخ ١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م).

حاشية:

يقول الأستاذ محمد جلال كشك: (إن إبادة الشعب العربي في فلسطين ليست جريمة بالمقاييس الغربية، فهكذا كان تاريخ الغرب الاستعماري. الإنسان الغربي الذي بنى حضاراته على إبادة شعوب آسيا وأفريقيا وأمريكا.. هذه الحضارة لا يمكن أن تثير عطفها بالحديث عن إبادة «المتفوق» اليهودي «للمتخلف العربي»)[(١)].

ولا يقل الاتحاد السوفيتي أيضًا في مسؤوليته عن الولايات المتحدة، بل يشاركها في الإثم والغدر! فقد قام بالاعتراف بإسرائيل عقب اعترافها مباشرة، واعتمد على نفوذه في البلدان العربية لتوجيهها؛ لما لها من أعوان وقواعد مهمة في المنطقة (وكان في استطاعة موسكو أن تفرض على المنطقة العربية ما تشاء من الاتجاهات السياسة والعسكرية والاقتصادية)[(٢)].. ومنذ عام ١٩٤٨ صرّح (غروميكو) بأن الاتحاد السوفيتي على أتم استعداد للإسهام الفعّال في تنفيذ قرار مجلس الأمن الخاص بردع العرب وإخراج الجيوش العربية من فلسطين[(٣)].

وبذلك يتضح بجلاء مسؤلية الدولتين على غرس إسرائيل كمشروع استعماري استيطاني عنصري في قلب العالم العربي الإسلامي!! وحقًّا أن الكفر (مّلة واحدة)!

---

(١) محمد جلال كشك (النكسة.. والغزو الفكري) ص ٢٢٣ ط دار الكاتب العربي بيروت ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، ويعلل هزائم ١٩٦٧، ٥٦، ٤٨ بسبب الغزو الفكري الذي دمر كل حصوننا وفتح كل قلاعنا ص ١٢.

(٢) زهدي الفاتح (المسلمون والحرب الرابعة) ص ١٤٤ سنة ١٩٦٩م بدون اسم الناشر، ولعله يشير إلى تدخل الروس لمنع توجيه الضربة الأولى قبل اندلاع حرب سنة ١٩٦٧.

(٣) نفسه ص ٨٨/ ٨٩.

وبهذه العبارة الموجزة جمع فيها الأستاذ جلال كشك ما تعرّضنا له من خطة استعمارية خبيثة لتحطيمنا، بدءًا من إهمال الدين بالمدارس لتفريغ الأجيال من أصول دينهم -كعقيدة وشريعة وأعمال- وانتهاء بالفن الهابط -كالسينما- التي عملت على تحطيمنا أسريًّا واجتماعيًّا وأخلاقيًّا، وهو ما أغضب المخلصين أمثال الأستاذ ثروت أباظة والدكتور مصطفى محمود، ومنذ اكتشاف رسالتها المخربة.. فقد انتقد الأول بشدة الأفلام الساقطة التي تعرضها شاشات السينما وهي الأفلام الداعرة المسفة!! وقال الثاني (والسينما في بلادنا لم تعد فنًّا بل فضيحة. بل وصمة عار على كل من يعمل فيها ممثلاً أو منتجًا أو مخرجًا..).

١ ثروت أباظة، مقال بعنوان: (أدركي مصريا حر) جريدة الأهرام في ١٨/ ٣/ ١٩٨٤,

٢ د/ مصطفى محمود، مقال بعنوان: (جريمة سب علني) الأهرام في ٢٦/ ٣/ ١٩٨٤ باختصار شديد نقلًا عن كتاب: (نظريات الغرب وحضارته في ميزان الإسلام) تأليف ماهر خليل، كتاب الأزهر (مجمع البحوث الإسلامية) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

ومع اختلاف البرجماتية الأمريكية مع الماركسية إلا أنهما يتفقان في عدم الاعتراف بالقيم والمبادئ، فهما عضوان في عائلة واحدة وهي حضارة العصر، فقد قامت الماركسية في البيئة الأوروبية الألمانية.. إلا أنها عارضت ثبات القيم الروحية والأخلاقية والعقلية[1]، وفيما يتصل بالدين والأخلاق، نصَّ البيان الشيوعي على أن الدستور والأخلاق والدين كلها خدعة البرجوازية، وهي تنشر وراءها من أجل مطامعها)[2]، وخدعت بشعاراتها العمال والفلاحين، ثم أخضعتهم لأشد أنواع القهر والاستبداد.. بل امتدت بشاعته وقسوته إلى المسلمين أيضًا حيث خدعهم كل من ستالين ولينين بحملات دعائية ظاهرها الوعود الكاذبة بالحرية بينما كانت تخفي الشرور التي أصابتهم في ظل الحكم الشيوعي الغادر الدالّ على (سقوط أخلاقي) بشع!

ثبت من الإحصائيات الروسية أن «ستالين» قد قتل (١١ مليونًا) من المسلمين، وفي يوغسلافيا أباد «تيتو» بعد الحروب العالمية من المسلمين (٢٥ ألفًا)، وفي القرم أبادت الشيوعية سنة ١٩٢١ (مائة ألف).

وفي القفقاص نفى «ستالين» إلى سيبيريا وأذربيجان حوالي مليونين من المسلمين، وهدم المساجد وحوّلها إلى اسطبلات، ودور للسينما، ومراكز للحزب، وأماكن للترفيه.

وفي تركستان الغربية كان مجموع ما قُتل من المسلمين (٦) ملايين مسلم سنة ١٩١٩، وهرب منها مليون ونصف المليون، عدا عن ثلاثة ملايين قُتلوا ما بين (١٩٢٠-١٩٥١)[3].

ويقول الدكتور أحمد الشرباصي (ابتلعت روسيا من بلاد الإسلام دول القرم، والقوقاز، والتركستان، وسيبيريا، والأورال وغيرها.. بل عملت بشكل بشع على إذابتها أو إبادتها وإزهاق روح الإسلام فيها، وإزالة شخصيتها الاجتماعية والثقافية.. بينما دخل الإسلام القوقاز وانتشر في التركستان وما حولها منذ صدر الإسلام وفي عهد الأمويين.. وباعتراف المؤرخ الروسي «فادييف» استخدم الروس الأساليب الاستعمارية التقليدية في أواسط آسيا بعيدًا عن أعين

---

(١) د/ محمد البهي (الفكر الإسلامي الحديث وصلته بارستعمار الغرب) ص ٣٨٩ ط ٥ ١٩٧٠م دار الفكر بيروت.

(٢) وحيد الدين خان (الإسلام يتحدى) ص ٣٠ ترجمة ظفر الإسلام خان ط٢ دار البحوث العلمية بيروت ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

(٣) ويعلق على ذلك بقوله: (ولا شك أن هذه الهمجية والاستعمار، وخنادق القتل الجماعي، ومسابح حمامات الدم.. وصمة عار في جبين الإنسانية، بل وحشية متناهية لم يشهد مثلها التاريخ.. (وما نقموا منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد)، وما اقترفوا من إثم سوى أن قالوا: إننا نرفض اعتناق مبادئ الكفر والإلحاد، فكان هذا مصيرهم وجزاءهم) ص ١٥٠ ط دار السلام ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م والمؤلف أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة الملك عبد العزيز - جدة.

الناس.. وشبه جزيرة القرم تعد منذ القدم من البلاد الإسلامية، ويرجع ذلك التاريخ إلى القرن السابع الهجري..

ويقرر الدكتور الشرباصي عدد المسلمين الذين يعيشون تحت ظل روسيا بنحو نيف وأربعين مليونًا! كما ذكر نص النداء المخادع الذي وجهه زعماء السوفييت للمسلمين ومنهم لينين وستالين.. وفي جزء منه: (أيها المسلمون في روسيا! أنتم من انتهكت حرمات مساجدكم وقبوركم واعتُدى على عقائدكم وعاداتكم.. ستكون حرية عقائدكم وحرية نظمكم القومية ومنظماتكم الثقافية مكفولة لكم منذ اليوم)!![1].

إن التاريخ الدامي للمجازر التي حدثت للمسلمين، والأهوال التي أصابتهم لَتتضائل بجوارها جرائم حرب التتار، ولا تقل بربرية ووحشية عن جرائم الصرب بمسلمي البوسنة والهرسك، وهي أشد هولًا مما فعله الصهاينة بأرض فلسطين من إبادة سكانية وتدمير القرى والمدن والاستيلاء على ممتلكات أهلها، ولا يزالون مستمرين في جرائمهم منذ عام ١٩٤٨ حتى الآن[2] تحت بصر العالم وسمعه وبحماية (الفيتو) الأمريكي من أية عقوبات أو حتى مجرد إدانات أو اعتراضات!.. وهذا ما يشجع إسرائيل على المضي قدمًا في إقامة (إسرائيل الكبرى) من النيل إلى الفرات، وبناء الهيكل الذي لا يتصورون إقامته إلا على أنقاض المسجد الأقصى[3].

وبالإجمال فإن دماء المسلمين هي المستباحة، ولنا أن نتخيل خريطة العالم تتكشف بجلاء أن الدم الإسلامي يراق فيها. أما اضطهاد المسلمين فإنه ينتشر في كل مكان في البوسنة وكسوفا والهرسك وفي نيوزيلندا وفي كشمير وفي الفلبين وفلسطين وكندا وأستراليا!!

إنه تداعي الأمم على أمة الإسلام طبقًا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (**يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها.. فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ؟ قال صلى الله**

---

(١) د/ أحمد الشرباصي، مقال بعنوان: (المسلمون تحت حكم روسيا) ص ٣٨ وص ٤٠ وص ٤٦ مجلة الهلال نوفمبر سنة ١٩٧٥م ويقع المقال في نحو عشر صفحات، ومن مصادره كتاب: (حاضر العالم الإسلامي لشكيب أرسلان)، وكتاب (الإسلام في مواجهة الزحف الأحمر) للشيخ محمد الغزالي.

(٢) ويقول الأستاذ عبد الحليم قنديل: (إذا أردنا أن نبكي، وليس لسيل دموعنا من آخر، ونحن نشاهد صورًا مآسي شهدائنا وجرحانا في محرقة غزة، آلاف الضحايا، ومئات النساء وابتسامات الأطفال تحترق في المهد، وصمت بليد لمجتمع دولي وهمجية مفزعة لآلة الحرب الإسرائيلية، النازية التي تسعى لتدمير كل حجر وقتل كل البشر. كتابه بعنوان: (على اسم الشهيد نهاية إسرائيل) ص ٢٠٣ إصدارات سطور الجديدة سنة ٢٠١٠م «الجولة الإسرائيلية العربية السادسة».

(٣) فصل بعنوان: (قراءة في فكر اللواء أ.ح د/ فوزي طايل) كتاب (قراءة في كتاب علماء الإستراتيجية) دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

عليه وسلم: **بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن**، فقال قائل: يا رسول الله وما الوهن؟ قال: **حب الدنيا وكراهية الموت**)[1].

إن تاريخ الروس مصطبغ بدماء المسلمين -لا في أفغانستان وحدها، بل في روسيا كلها- وقد وصف المؤرخ المسعودي أهل روسيا بأنها: (أمة همجية، شقر الشعور زرق العيون قباح الوجوه أهل غدر)!!

لقد احتل الروس مناطق تركستان بالتتابع ابتداء من إيفان الرابع (الرهيب) سنة ٩٦٠ هجرية (١٥٥٢م) ، وسقطت تركستان كلها -ومساحتها ٤ ملايين كيلو متر مربع- ثم سقطت سيبيريا الغربية على يد إيفان وبمساعدة البابا، واستمرت معاملة المسلمين بالإبادة والقهر وهدم المساجد منذ عهد إيفان الرابع وفي أسرة (رومانوف) التي حكمت منذ سنة ١٦١٣ إلى ١٩١٧، ثم ازدادت الوحشية بعد الثورة الحمراء حتى يومنا هذا!

قال الدكتور عبد الله عزام: (وما يجري الآن في أفغانستان -أي خلال احتلال روسيا لأفغانستان سنة ١٩٧٩- صورة من هذا الماضي الوحشي الرهيب، وصادرت حكومة القياصرة خلال القرنين السابقين للثورة الشيوعية أكثر من مائة مليون فدان)[2].

وجاهدت أفغانستان الغزو الروسي، ومضت السنوات حافلة بصفحات خالدة من الجهاد والاستشهاد، ووقف الأفغانيون أمام أكبر قوة حربية بإمكانياتهم المتواضعة وقلوبهم المؤمنة لمدة عشر سنوات، وقدموا في الحرب أكثر من مليون شهيد، كما تسببت الحرب في تشريد أكثر من خمسة ملايين نسمة!

كذلك جاهدت أفغانستان ضد الغزو الأمريكي الذي استمر عشرين عامًا، فانسحبت أمريكا ذليلة مُهانة تجر أذيال الخيبة، فقدّم الأفغان الدليل القاطع أن المسلمين لن ينهزموا ما داموا مستمرين في الجهاد تحت راية (لا إله إلا الله محمد رسول لله)، ويذكر الدكتور عزام أن الأفغان خاضوا حربًا ما شهدها التاريخ الإسلامي عبر القرون الأخيرة.. ولو أن هذه المعارك الإسلامية التي سطرت بالدماء والأشلاء وجدت من يتابعها لكانت أفكارًا ضخمة من نور الهداية عبر القرون!)[3].

---

(١) مقال بعنوان: (الكفر ملة واحدة) مجلة المختار الإسلامي شوال ١٤٢٢هـ - ديسمبر سنة ٢٠٠١م.

(٢) كتاب (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) ص ٤٩ مكتبة المنار - الأردن ١٩٨٧م.

(٣) نفسه ص ٢٣، ويبدو لنا أن المقاومة الفلسطينية الآن تشبه جهاد الأفغان!

ونستأنف حديثنا عن محرقة غزة فنقول: (وفي حرب «طوفان الأقصى» ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣م تكرر مشهد الجسر الجوي في حرب ١٩٧٣ مع مصر بشكل أبشع وأشمل مما يصير غضب الناس حتمًا، يقول الأستاذ فاروق جويدة: (**إن معركة غزة كانت تدار من البنتاجون، وإن الرئيس الأمريكي كان القائد الحقيقي، وأن ما حدث لسكان غزة كان قرارًا وعملًا أمريكيًا، وأن تدفق الأسلحة الحديثة والقادة وجنود المارينز وحاملات الطائرات وهذا الدعم غير المسبوق، يؤكد أن أمريكا هي التي حاربت غزة، والأدلة كثيرة، ابتداء بموقف أمريكا في مجلس الأمن ورفضها الهدنة، وانتهاء بأن تستمر إسرائيل في قتل المدنيين حتى آخر الشهر!!**)[(١)].

ومع تدمير المقاومة الفلسطينية ٣٣٥ آلية عسكرية حسب تصريح «أبو عبيدة» المتحدث باسم كتائب القسام (الأهرام في ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣ ص ٧).

قال أيضًا: (إن الاحتلال لا يزال يخفي خسائره العسكرية، وكل المؤشرات في الميدان تقول إن جنوده ليسوا جاهزين للمعركة...)!! مما اضطر معه وزير الخارجية الإسرائيلي إلى التصريح بأن إسرائيل سوف تواصل الحرب بدعم دولي أو بدونه!!

لذلك تصدى له الأستاذ عبد المحسن سلامة رئيس مجلس إدارة جريدة الأهرام بقوله: (إنه كلام لا يستحق حتى مجرد مناقشته؛ لأنه يعلم جيدًا أن **الجيش الإسرائيلي جيش من ورق مناديل، وأنه لولا الدعم الأمريكي اللا محدود، والتعاون الاستخباراتي مع المخابرات المركزية الأمريكية والجسر الجوي والبحري الأمريكي والأوروبي لإمداد إسرائيل بكل ما تحتاجه، لكان الموقف مختلفًا!! (الأهرام بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣ ص ٢).**

ظاهرة الطابع الدموي لكلا الدولتين:

إن هذه الظاهرة واضحة للعيان لكل من درس التاريخ وراقب عن كثب سلوكهما في الواقع المعاصر!!

وقد لا يتسع كتابنا لإحصائها، ولكن نوصي بالرجوع إلى كتاب الدكتور (نزار بشير) وعنوانه: (**حضارة الدم وحصادها: فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي**)[(٢)].

---

(١) فاروق جويدة – مقال بعنوان: (المؤامرة الكبرى) الأهرام في ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣ ص ١٣.

(٢) ويقع في ٤٤٤ صفحة من الحجم المتوسط، ط الزهراء للإعلام العربي، للدكتور نزار بشير.. ومما قاله في المقدمة: (المعركة المصيرية التي فرضت علينا رايتها في أيدينا، فإما أن نرفع لواء الحرية لتخفق عاليًا، وإما أن نقبع مستسلمين لقرون قادمة

أولًا: المذابح الجماعية للهنود الحمر سكان البلاد الأصليين:

وقد تم ذبحهم بوحشية بالغة حتى الإبادة، وذلك عندما عُزلوا عن المناطق الخصبة التي يقيمون عليها، وتواصلت المذابح الجماعية ضدهم، واستخدمت فيها أيضًا الأمراض كأحد وسائل الحرب البيولوجية، وتمّت السيطرة على الجنس الهندي الأحمر.. كان الهنود الأصليون في أمريكا الشمالية والجنوبية في ذلك الوقت ما يقرب من ربع سكان العالم، **ووصل عددهم لأكثر من ثلاثين مليونًا.. الآن يصل عددهم إلى عشرة ملايين نسمة!**

لقد صرع الرجل الأبيض هنود أمريكا الحمر؛ لأنهم رفضوا أن يسلموا له أراضيهم وثرواتهم، بل حياتهم المتمثلة في الأراضي الخصبة التي كانوا يعيشون عليها. في البدء استولى الغزاة المستعمرون على الأراضي الخصبة ووديان الأنهار.. ثم على كل المناطق التي حوّلها بعد إبادة سكانها الأصليين وزحزحة من تبقى منهم ليعيشوا في أسوأ المناطق القاحلة النائية على الحدود.. وقد قاوم هنود أمريكا الشمالية اعتداءات الرجل الأبيض بشراسة دفاعًا عن أراضيهم وثرواتهم، وعندما هرع الجيش البريطاني في عام ١٧٦٣ لمعاونة المستعمرين تباحث قادة الجيش مع المستعمرين **حول كيفية إبادة شعب الهنود الحمر، هل يكون قتلًا بالرصاص ومطاردة الفارّين بالخيل والكلاب؟ أم إخضاعهم أولًا وإضعاف مقاومتهم بالأمراض في حرب بيولوجية ثم حصدهم بعد ذلك جماعيًا دون مقاومة؟ ومن إجرام المستعمرين ووحشيتهم التي لا تعرف حدودًا سارعوا لتنفيذ كل الخيارات معًا.** فأعملوا فيهم القتل رميًا بالرصاص، والتشريد بحرق أكواخهم وزراعتهم، وأكملوا بخداع إبادتهم بواسطة جهات منهم عملت بطرق أخرى تحت ستار الخدمات الطبية الأساسية للقضاء عليهم بالأمراض الوبائية المعدية، فوزعت وحدات الجيش الطبية على من تبقى من الضحايا بطاطين وأغطية وإيشاربات أُخذت من مستشفيات الأمراض المعدية في إنجلترا مليئة بالجدري والطاعون وما شابه.. وما إن حاول الهنود المساكين الاستقرار بعد طردهم من شرق المسيسبي إلى الغرب حتى جاء المستوطنون والباحثون عن الذهب ورجال المناجم والتعدين فأعملوا فيهم القتل والتشريد والقنص والطرد مرة أخرى بلا رحمة وكأنهم وحوش ضارية!![1].

من العبودية والسخرة والجبروت والظلم والإرهاب الأمريكي.. والهدف هو نحن، فإما حياة تسر الصديق إذًا وإما ممات يغيظ العدا) ص ١١/ ١٢.

(١) مريم جميلة (الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين) ص ٢٨/ ٣٣ باختصار شديد، ترجمة طارق السيد خاطر –المختار الإسلامي.

ولا يفوتنا التوقف عند هذا الوصف وقائله السياسي الأمريكي (فرانكلين)، وكان يشجع على (**دمار الهمج البربر لإفساح المكان للمتحضرين النافعين!!**)[1]، ثم نقارن بما فعلته إسرائيل على سكان غزة:

أولًا: عندما نتابع المجازر الوحشية التي ترتكبها إسرائيل على سكان غزة العزل من النساء والأطفال والشيوخ، سرعان ما نسترجع عمليات الإبادة الجماعية للهنود الحمر في أمريكا، وليس بغريب إذًا على مندوب جريدة (الأهرام) أن يسال المؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين: (هل يمكن أن تتكرر مأساة الهنود الحمر في أمريكا)؟ فأجاب بقوله: (**ما يجري محاولة متكررة من جانب إسرائيل**).

إن الأدلة والشواهد كثيرة، وللإيجاز سنجملها في الظواهر التالية:

أولًا: مواقف وآراء المتابعين للحرب الدائرة من ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣ (طوفان الأقصى) بين المقاومة الفلسطينية وإسرائيل وبخاصة الغارات المستمرة الوحشية على غزة.

ثانيًا: سلوك بعض رؤساء أمريكا.

ثالثًا: الحروب التي خاضتها أمريكا في العصر الحديث.

كذلك لم يفت المؤلف ظاهرة تعرض المسلمين -وحدهم في هذا العصر- للإبادة، ويقدم الأدلة على ذلك بالحروب المتكررة التي يشنها الغرب عليهم، ففي عام ١٩٩٥ وصلت قوات من صرب البوسنة إلى سربرنيتشا وقاموا تحت عيون قوة الأمم المتحدة من الجيش الهولندي، بقتل ٧٠٠٠ من البوسنيين، وفرق قوات الأمم المتحدة تنظر إلى المجزرة ولا تحرك ساكنًا، نفس المشهد تكرر بعد عام عندما قصفت إسرائيل قاعدة للأمم المتحدة في جنوب لبنان بقرب بلدة (قانا)؛ مما أدى إلى مقتل أكثر من ١٠٠ لبناني من المدنيين.

الفلسطينيون يبادون وتشن ضدهم حرب إبادة وتطهير جماعي منذ ما يقرب القرن بأسلحة غربية وأسلحة أمريكية وبتعاون وثيق من الأمم المتحدة، ولا أحد يفكر في إنقاذهم!

العراقيون يقتل منهم ٣٠٠ ضحية يوميًا منذ ١١ سنة تحت مشانق الأمم المتحدة ومقاصل الولايات المتحدة من عقوبات دولية وحصار اقتصادي، ولا أحد يرفع أصبعه لتخفيف آلام هؤلاء المساكين.. أوليسوا جميعًا مسلمين وجميعهم يتعرضون إلى إبادة عرقية؟

---

(١) نفسه ص ٣٢.

لماذا لا يتم إنقاذهم إذًا (ص) ٢٥٢ من كتابه.

ونحن بدورنا نقول: (ويتضح ازدواج المعايير في حرب أوكرانيا؛ حيث هرعت أمريكا ودول أوروبا لإنقاذها ومن معها لتنفيذ هذا السيناريو)، والأمريكان كشفوا عن وجوههم الحقيقية لكل من لم ير هذا التحالف الحميم بين أمريكا وإسرائيل، وبدا لكل ذي عينين أن أمريكا هي إسرائيل وإسرائيل هي أمريكا.

ثم تكرر سؤاله بصيغة أخرى ولكن مشابهة في المعنى: (ما الذي يحول دون تكرار نموذج الهنود الحمر؟).

فأجاب: الاستعصاء: ويتجلى في صلابة الشعب الفلسطيني ومقاومته، وعلينا أن نلاحظ أنهم دائمًا يلجئون إلى سلاح الجبان: الطائرات؛ لأنهم عندما دخلوا بالدبابات تصدت لهم فصائل المقاومة وأذاقوهم المرّ، وثمة جملة لديفيد بن جوريون بالغة الأهمية قالها للصهاينة بعد انتصارهم في ٤٨ وهي: (على مهلكم أنتم تنتصرون بضعفكم وليس بقوتكم).

ويصف الدكتور عبد القادر ياسين الصراع بأنه صراع وجود بقوله: (الصهاينة يؤمنون بأنها معادلة صفرية، إما هم وإما نحن، ويذكر أن مأساة الهنود الحمر لن تتكرر في أرضنا، ويؤمن بأن المقاومة الفلسطينية ستنتصر لا محالة في يوم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا)[1].

هذا، وقد أثار الطابع الدموي الذي سلكه الأمريكيون لإبادة الهنود الحمر -أثار أيضًا الأستاذ فاروق جويدة، الأديب والشاعر المصري المعروف، تلك الإبادة الجماعية لأهل غزة، وبدأ مقاله في الفقرة التالية: (هل كان من العدل أن يتآمر العالم كل العالم على شعب لا يتجاوز عدد مواطنيه٢- ٣ ملايين إنسان نصفهم أطفال، وهل كان من الإنسانية أن تهدم البيوت والمستشفيات والمدارس بهذه الوحشية التي تعيد عصور القرصنة وتدمير الشعوب وقتل البشر.. هل كان من العدل أن ترفض أمريكا قرار مجلس الأمن بوقف القتال، وأن تمنح أمريكا إسرائيل فرصة إكمال مهمتها حتى نهاية هذا العام؟ هل كان من الضمير أن تصمت الحكومات أمام قوة غاشمة تعيد عصور الإبادة الجماعية وتدمير الأوطان؟!

---

(١) (الأهرام) بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣ صفحة ٣.

وبهذه المناسبة فإن العجرفة الصهيونية بلغت حد عدم الاعتراف بالفلسطينيين أنفسهم! يقول الدكتور نزار بشير: (مع الساقطة الأوكرانية «غولدا مائير» رئيسة الوزراء الإسرائيلية السابقة، قالت في لقائها مع صحيفة صنداي تايمز في عام ١٩٦٩: (الأمر ليس كما تعتقدون من أننا جئنا وطردنا الفلسطينيين من فلسطين، بل الأمر هو أنه لا يوجد من يدعى بالفلسطينيين)! كتابه: (حضارة الدم وحصادها) ص ١٠٤.

لقد حدث ذلك كله في غزة أمام الجبروت الصهيوني، وآخر ما بقي من حشود الدمار والموت والوحشية، **وعادت صورة الهنود الحمر والتاريخ الأسود للعم سام**).

ويقول: (لا يوجد مبرر للوحشية التي تستخدمها إسرائيل مع غزة، غير أنها تعتقد أنها فرصة تاريخية لوضع نهاية للقضية الفلسطينية أمام الدعم اللامحدود من أمريكا التي خصصت ١٤ مليار دولار لإسرائيل، مع دعم آخر مجهول الهوية من دول أخرى صديقة)[١].

ثانيًا: التصريح العلني من الرئيس الأمريكي الأسبق «رونالد ريجان» حيث لخص كيفية تحقيق الأهداف بالنسبة للأمريكيين، فقال: (**لو تعين علينا خوض حمامات من الدماء لتحقيق الأهداف فدعونا نفعلها**)[٢].

كذلك لفظ الإبادة الذي ورد على لسان جورج بوش عندما قسّم العالم إلى قسمين، قسم يدور في الفلك الأمريكي، وقسم آخر هو خارج السيطرة، **ويجب إبادته!!** [٣].

وقال الرئيس الأسبق «بيل كلينتون»: (أمريكا ولدت في الدماء، ورضعت الدماء، وأُتخمت دماء، وتعملقت على الدماء، **وسوف تغرق في الدماء**)، وذلك في أبريل عام ١٩٩٩ تعليقًا على مذبحة مدرسة كولومبيا الثانوية بدنفر، والتي قتل فيها ثلاثةٌ من الطلبة الأمريكيين ٢٥ من زملائهم بالمدرسة، في نفس الوقت الذي كانت فيه الطائرات الأمريكية تحصد أرواح اليوغسلاف في أوروبا![٤].

إذن، أن مباركة الرئيس الأمريكي الحالي للمجزرة الوحشية في غزة ما هي إلا صدى لتاريخ بلاده الغارق في الإرهاب الدموي.. وفي حديث هاتفي قدّم (بوش) لشارون نصيحة مختصرة في التعامل مع المقاومة الفلسطينية قائلًا (عليك إبادتهم)!! [٥]

---

(١) فاروق جويدة، مقال بعنوان: (المؤامرة الكبرى) ص ١٣ جريدة (الأهرام) بتاريخ ١٥/ ١٢/ ٢٠٢٣م.

(٢) نفسه ص ٩٢.

(٣) نفسه ص ١٤٧.

(٤) نفسه ص ٣٢٤، ويبدو أنه يكرر العبارة نفسها التي قالها (توماس شتيوم) من قبل وصارت مثلًا!!

(٥) أحمد فهمي. مقال بعنوان: (ألغام في طريق المقاومة الإسلامية) ص ٧٦ مجلة (البيان) العدد ١٩٢ شعبان سنة ١٤٣٤هـ - أكتوبر سنة ٢٠٠٣م.

ثالثًا: الحروب التي خاضتها أمريكا في العصر الحديث:

الفلبين:

عندما ثار سكان الفلبين عام ١٨٩٩ على الاستعمار الأمريكي، قمع الأمريكيون هذه الثورة بكل قسوة وهمجية؛ ليسطروا بداية قرن من الدماء.

وقد وصف مراسل صحيفة (فيلادلفيا) هذه الوحشية بقوله: (الحرب هنا ليست كما يعتقد الكثيرون تجري دون دماء، لقد كان جنودنا قساة تجاه الفلبينيين، لقد أعدموا الرجال والنساء والأطفال المقاتلين والمدنيين الأسرى والمعتقلين من عشر سنوات وما فوق، الفلبيني هنا أفضل قليلًا من الكلب)!!

وقُدِّر عدد ضحايا الاحتلال الأمريكي للجزر الفلبينية بـ ٣٠٠٠٠٠ قتيل!! ووصف أحد الإنجليز ذلك بقوله: (إنها ليست حربًا، بل ببساطة هي عمليات إبادة منظمة ومجازر)[١].

لهذا كان الكاتب الأمريكي الساخر «مارك توين» من أكثر من انتقد إرهاب دولته تجاه سكان الفلبين، حتى أنه مرة اقترح إبدال النجوم في العالم الأمريكي بجمجمة وعظمتين متقاطعتين «رمز القرصنة»[٢].

ويقول توماس شيتور، أحد قدامى المحاربين في فيتنام في كتابه «الحرب الأهلية الثانية»: (أمريكا ولدت في الدماء، ورضعت الدماء، وأُتخمت دماء وتعملقت على الدماء، ولسوف تغرق في الدماء)[٣].

اليابان:

إن الطلعات الجوية الأمريكية فوق طوكيو العاصمة أثناء الحرب العالمية الثانية حولتها إلى خرائب، وأوقعت على ما يربو على ٨٠٠٠٠ قتيل في صفوف المدنيين اليابانيين، وذلك حسب الإستراتيجية الأمريكية الشهيرة باستهداف المدنيين **لأنهم الهدف الأسهل والفعال للضغط على حكومته (ولأن الأمريكان كانوا وما زالوا قتلة من منذ أن وُجدت أمريكا)**[٤].

---

(١) نزار بشير (حضارة الدم وحصادها) ص ٦٥.

(٢) نفسه ص٦٦.

(٣) نفسه ص٢٦٧/ ٢٦٨.

(٤) د/ نزار بشير (حضارة الدم وحصادها.. ص٧٤ وهي نفس الإستراتيجية التي اتبعتها إسرائيل في غزة منذ أكتوبر لتشكّل ضغطًا على (حماس)؟!

وعندما أُلقيت القنبلة الذرية على هيروشيما بلغ عدد القتلة ٢٠٠٠٠٠ ياباني عند إضافة من ماتوا بعد شهر متأثرين بالأشعة المنبعثة من الانفجار[١].

أما الناجون من سكان هيروشيما فشهدوا بأنهم شاهدوا الشمس تنفجر وسمعوا صوت انفجار هائل، وأبصروا المباني تنهار وتتطاير والكل يصيح ويحترق وكأن يوم الحساب قد بدأ.

هذا وقد وصفت الكاتبة الأمريكية (هارتسون) الرئيس الأمريكي ترومان بأنه مجرم حرب (وهو عبارة عن وحش، إنني لا أستطيع اعتباره أي شيء آخر غير كونه سفاح آسيا، فخلف ابتسامة النصر على وجهه هناك شراسة أمرت بإلقاء القنبلة الذرية على اليابان وإطلاق الرصاص على العزل من المدنيين في الصين، لا لشيء سوى أنهم يتضورون جوعًا فيسرقون حفنة من الطعام)[٢].

العراق:

تعددت وسائل التدمير للعراق بين حصار جائر وغارات أمريكية وبريطانية لقتل مدنيين وقصف منازل بحجة أن الأهداف كانت من شبكات الدفاع الجوي، وكان من أبشعها الغارة على ملجأ (**العامرية**) وكان ضحيتها ١١٨٦ عراقيًّا من النساء والأطفال، وكان عدد الناجين ١٤ شخصًا فقط!

«مايرد ماغوير» الأيرلندية الحائزة على جائزة نوبل للسلام قالت: (**عندما زرت العراق سألت نفسي: ماذا سوف أقول لأولادي في المستقبل عندما يسألونني عما صنعتِ لأطفال العراق وهم يموتون أمام عيني**)[٣].

وبلغت العقوبات الاقتصادية أشدها إذ فرضت الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا حظرًا شاملًا على شعب العراق، ويشمل جميع أصناف الغذاء والشراب والأدوية والمعدات الطبية والمواد الاستهلاكية ومواد الزراعة والأسمدة والأجهزة الكهربائية وقطع الغيار الخاصة بها، والكثير من المواد والأجهزة التي لا غنى عنها لأي أسرة من البقاء على الحياة لا الحياة الكريمة التي أصبحت من دروب الخيال في العراق.

---

(١) نفسه ص ٧٦.

(٢) نفسه ص ٨٣.

(٣) نفسه ص ٢٢٣.

وصف الدكتور نزار بشير هذا الحصار بأنه أشهر وأحقر حصار وأكثرها خسة منذ أن حوصر المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في شِعب أبي طالب من قبل كفار قريش(١).

وكانت الحجة الأمريكية أن هذه المواد قد تستخدم في صناعة أسلحة الدمار الشامل!!

وكانت نتيجته قتل أكثر من مليون ونصف مليون مواطن عراقي منهم ٦٠٠٠٠٠ طفل تحت سن الخمس سنوات بسبب العقوبات الاقتصادية بحسب إحصائيات الأمم المتحدة؛ مما جعل (دنيس هالدي) المنسق العام السابق لبرامج التغذية يقول: (كلمة «**الإبادة**» هي المصطلح الذي يتبادر إلى الذهن على الفور بمجرد التحدث عن الوضع في العراق مع وجود ما يقرب من المليون ونصف المليون ضحايا هذه العقوبات، فإن لم تكن هذه عملية إبادة فأنا إذًا لا أعرف شيئًا آخر يصلح أن يطلق عليه مسمى إبادة!(٢).

وفي شهر مايو سنة ١٩٩٦ خلال لقاء تلفزيوني مع وزيرة الخارجية الأمريكية (مادلين أولبرايت) عند سؤالها إن كان موت أكثر من نصف مليون طفل عراقي له ما يبرره أجابت أن المقابل كان مجزيًا!!

وكان وزير الدفاع الأمريكي ومجرم الحرب (كولن باول) أكثر صراحة ووقاحة في نفس الوقت عندما سُئل عن عدد ضحايا مجازر عاصفة الصحراء (تقريبًا ٢٠٠٠٠٠ عراقي)، فرد قائلًا: **(بالتأكيد رقم لا يهمني وغير ذي شأن)!!**

هذا وقد علّق الدكتور نزار بشير على الإجابة الأولى بأن صاحبتها كانت صادقة مع نفسها؛ لأنه بالنسبة لراعي البقر الأمريكي فكل دماء العرب لا تساوي برميل نفط واحد، فما بالكم بثاني أكبر احتياطي نفط في العالم مثل العراق؟ وعلّق على الثاني بقوله: (ولكنه يهمنا نحن العرب؛ لأن يوم القصاص ليس ببعيد، وعندئذ سنعرف كيف نجبر عتاولة الإجرام الأمريكي على دفع فواتير الدم الغالية)(٣).

أفغانستان:

يقول الدكتور نزار بشير: (أما الأسباب الحقيقية للغزو البربري لأفغانستان فلا علاقة لها

(١) نفسه ص ٢٣٠.
(٢) نفسه ص ٢٣١.
(٣) نفسه ص ٢٣٢.

بقريب أو بعيد بعملية إسقاط توأم الأبراج في نيويورك في الحادي عشر من سبتمبر، فالأمر كله كان قد أُعد قبل هذا التاريخ بسنين لاجتياح أفغانستان)[١].

إن الحرب متعلقة بنفط بحر قزوين والأمريكان بعد احتلال أفغانستان أقرب إليه من أي وقت مضى.. ومعظم الحروب التي خاضتها أمريكا منذ اكتشاف النفط ومحاولتها السيطرة على منابعه.

وفي حوار مع الكاتب الأمريكي «غور فيدل» بتاريخ ٥ نوفمبر سنة ٢٠٠٢ قال: (لقد فتحنا أفغانستان لأننا نريد مد خطوط أنابيب للنفط، أفغانستان هي بوابتنا إلى قزوين).. ومعظم اللاعبين الإستراتيجيين في الإدارة الأمريكية هم شركات النفط المخلصين، ومعظمهم من تكساس. وأضاف: (من يملك الإعلام هم نفس من يملكون البيت الأبيض، وهم من يملك الكونجرس، وهم أنفسهم ملوك النفط)[٢].

وبدا القصف بنفس العدوان الأمريكي الذي تم في فيتنام وكمبوديا والعراق، فقد قتل الأمريكيون آلاف الأبرياء من الأفغان المساكين عن طريق قصف منازلهم وحقولهم ومدنهم وقراهم بحجة أن تلك المواقع هي أهداف حربية!

بل شمل القصف أيضًا مستشفى مدينة «حيرات»..

ووصفت وكالة الأنباء الفرنسية حالة المستشفى عند قصفها: (كانت مزدحمة بالمصابين والجرحى من القصف في الليالي الماضية (٢١ أكتوبر سنة ٢٠٠١)، وعن حجم الإصابات كان تعليق الوكالة بأنها: «مرتفعة جدًّا»![٣].

وبعد مرور أسبوعين على بدء حملة الذبح بحق الأفغان صرح البروفيسير الأمريكي «مارك هيردك» بأنه بعد دراسة متعمقة للتقارير الصحفية المنشورة عن حرب الإبادة في أفغانستان، فإنه يقدر عدد الضحايا الأفغان نتيجة الإرهاب الأمريكي ما بين ٧ أكتوبر سنة ٢٠٠١ و١٠ ديسمبر من نفس العام بما لا يقل عن ٣٧٦٧ قتيلًا، أي بمعدل ٦٢ أفغانيًّا يوميًّا..

---

(١) د/ نزار بشير (حضارة الدم وحصادها: فصول من تاريخ الإرهاب الأمريكي) ص ٢٧٦ الزهراء للإعلام العربي سنة ٢٠٠٣ بالقاهرة - ويقع في ٤٤٤ صفحة من الحجم المتوسط.

(٢) نفسه ص ٢٨٤/ ٢٨٥.

(٣) نفسه ص ٢٨٧، وهو يطابق تمامًا ما تفعله إسرائيل في غاراتها الوحشية على غزة!! حيث لم تسلم المستشفيات ولا المساجد ولا منظمات الإغاثة من القصف المتواصل!!

ولم تكن القنابل ذات الأحجام المختلفة (وصل وزن بعضها ٧ أطنان) هي كل ما عاناه الأفغان، فقد قصف الأمريكيون الأفغان بالقنابل العنقودية المحرمة دوليًا، وبالأسلحة التي تستخدم اليورانيوم المخصب، وأخيرًا بالغازات السامة، والتي سجلت مستشفيات كابول وصول حالات كثيرة إلى المستشفى في حالات اختناق نتيجة تواجدهم في مناطق تم قصفها حديثًا من قبل الطيران الأمريكي[1].

وحدّث ولا حرج عن عدد الضحايا التي تبرر أمريكا بأنهم قُتلوا بالخطأ، فقد أغارت الطائرات الأمريكية على المساجد في أفغانستان أثناء صلاة التراويح في رمضان، ومذبحة أخرى ارتكبها الأمريكيون عندما أبادوا ٤٧ أفغانيًا وجرحوا عشرات آخرين بحجة أنهم من تنظيم القاعدة![2].

ويرجع ارتفاع حصيلة القتلى إلى رفض القوات الأمريكية التي أُرسلت إلى موقع القصف السماح لأهالي الضحايا بأخذهم إلى المستشفيات أو حتى إطفاء النيران المشتعلة، وقد اعترف «مارك فيتزجرلد»، قائد إحدى حاملات الطائرات، بحملة القتل هذه عندما قال: (لقد انتقلنا من مرحلة قذف الأهداف الإستراتيجية إلى مرحله قصف أية أهداف من الممكن أن تساعد على زيادة قوة العدو..[3]، **نحن نقتل الناس على الأرض؛ لأن هذه طبيعة الحرب)**.

وأمام هذا القصف البربري هرب الآلاف في اتجاه باكستان وإيران؛ مما دفع ست منظمات إغاثة دولية إلى المطالبة بوقف الغارات الأمريكية لفترة بسيطة فقط؛ ليتمكنوا من إغاثة العدد المهول من النازحين، **ولكن قوة الجبروت الأمريكي لم تسمح لنداءات منظمات الإغاثة!**

وقد وصل عدد الأفغان الذين تعرضوا للمجاعة بحسب إحصائيات الأمم المتحدة إلى سبعة ملايين ونصف مليون أفغاني.. وادّعت أمريكا أنها قامت بإسقاط الأغذية من الجو[4].

ولكن رئيس منظمة أطباء بلا حدود الدكتور «جيوف بريسكوت» انتقد بحدة الخداع الأمريكي، ووصف عملية إسقاط الأغذية بأنها ليست عملية إغاثة إنسانية على الإطلاق، بل

(١) نفسه ص ٢٨٩.
(٢) نفسه ص ٢٩٠.
(٣) نفسه ص ٢٩١.
(٤) نفسه ص ٢٩٢.

هي عمليات عسكرية هدفها الوحيد كسب تعاطف دولي من حملة القصف الأمريكية؛ (**ما الفائدة من إطلاق الرصاص والقتل بيد وتقديم الأغذية باليد الأخرى؟**)[١].

أما عن جرائم الحرب؛ فقد سجلها فيلم وثائقي في ١٣ يوليو ٢٠٠٢ «حلمي دوران» في العاصمة الألمانية برلين، واستغرق ٢٠ دقيقة.. شهود العيان تحدثوا عما شاهدوه من أفعال الأمريكيين بالأسرى، ومنهم شاهدٌ تحدث عن المئات من الأسرى إلى الصحراء ليرصوا كل ٣٠ منهم معًا ويطلق عليهم الرصاص. (أندرو ماكانتي) محامي حقوق الإنسان شهد أن الأمريكيين فعلوا كل ما يحلو لهم بالأسرى الأفغان[٢].

رئيس جمعية حقوق الإنسان الأفغانية (عزيز الرحمن رازق) قال: (إنني أستطيع أن أجزم وبدون أدنى شك أن ما لا يقل عن ١٠٠٠ أسير قُتلوا أثناء نقلهم!).

وتم ذبح ٨٠٠ من السجناء والمعتقلين الأفغان وهم مكبلون بقيودهم، وقد عُرفت بمذبحة «مزار الشريف»[٣].

أما الحديث عن (غوانتنامو) في الجزيرة الكوبية، فإنه يدمي القلب، وقد اختارت أمريكا هذا الموقع لأنه خارج الأراضي الأمريكية، ومن ثم غياب سطوة حقيقية للقانون والمؤسسات القضائية.

إن الشجن هو التعبير الصحيح الواجب استخدامه عند الحديث عن هؤلاء المختطفين؛ لأنهم عوملوا كأي شيء ما عدا كونهم بشرًا!

لقد تم تقييد أيديهم وأرجلهم بالأصفاد، وعُصّبت عيونهم، وألبسوا الأقنعة السوداء على رؤوسهم، وأفقدوا الوعي بمواد مخدرة، ونُقلوا مجرورين إلى طائرة الشحن العسكرية العملاقة، وأوثقوا إلى أرضيتها المعدنية بالمزيد من الأصفاد والأغلال، وصحبهم ما يربو على الأربعين من الشرطة العسكرية الأمريكية المزودين بالأسلحة النارية والصواعق الكهربائية.

ثم نُقلوا إلى طائرة أخرى بنفس الطريقة، واستمرت الرحلة في مجملها لأكثر من ٢٧ ساعة من السفر![٤].

---

(١) نفسه ص ٢٩٢.

(٢) نفسه ص ٢٩٥.

(٣) ص ٢٦٧-٢٩٦.

(٤) نفسه ص ٣٠٥/ ٣٠٦.

وكما جرت العادة انتهكت أمريكا جميع المواثيق الدولية وحقوق الإنسان التي لم تفتأ تتشدق بها، وذكر المؤلف أربعة بنود. مجرم الحرب ووزير الحربية الأمريكي (دونالد رامسفيلد) رفض تسمية هؤلاء المعتقلين بأسرى حرب، بل وصفهم بأنهم (محاربون غير شرعيين)، رغم عدم توفر مثل هذا الوصف في أي من مواثيق جنيف، وهو ما أريد منه أن يحرمهم من حقهم في محاكمات نزيهة، وهو ما حصل بالفعل![1].

وسُجن كل واحد منهم في قفص معدني، حيث عانى السجناء من الرياح والأمطار التي تشتهر بها منطقة الكاريبي، مع نفاذ الشمس المحرقة أغلب ساعات النهار، ونفاذ أشعه المصابيح الكهربائية التي يوجهها زبانية الحراسة الأمريكيين طوال الليل إلى تلك الأقفاص؛ مما جعل الصحافة العالمية تشبه تلك الأقفاص **بأقفاص النمور سيئة السمعة التي كان النظام العميل في فيتنام الجنوبية يسجن فيها معارضيه ليضمن أن قاطنها لا بد أن يموت نتيجة إصابته بمرض أو مجموعة من الأمراض تنتقل إليه من دواب الأرض.**

معاناة المحتجزين لم تقتصر على مجرد الاعتقال في الأقفاص، بل أُجبروا على ارتداء ثياب برتقالية من قطعة واحدة مصنوعة من ألياف مادة البوليستر الصناعية التي تضمن أن مرتديها لا بد أن يُصاب بأكثر من مرض جلدي[2].

المختطفون حُلقت لحاهم وشواربهم ورؤوسهم، ومنعوا من الوضوء أو الصلاة مجتمعين، كما أُجبروا على خلع وارتداء ملابسهم أمام جنود المعسكر، ويقدر هؤلاء بنحو ١٥٠٠ من الأبرياء الأفغان!

هذا، وقد ختم مؤلف كتاب (حضارة الدم) تلك المآسي المروّعة بقوله: (**أعداء بلا شفقة يرفضون الرحمة حتى في القتل، ولا نقول فيهم جميعًا إلا: حسبنا الله ونعم الوكيل!**)[3].

حاشية: الإمبريالية الأمريكية[4]:

يقول الدكتور محمد أبو الإسعاد:

---

(١) نفسه ص ٣٠٨.

(٢) نفسه ص ٣٠٩/ ٣١٠.

(٣) نفسه ص ٣١١.

(٤) د/ محمد أبو الإسعاد (أمريكا: جذور الغزو والعولمة) ص ١٢٩وص١٣١ ط ابن سينا للنشر بالقاهرة سنة ٢٠٠٩م والمؤلف هو أستاذ التاريخ المتفرغ في جامعة المنيا.

(لم يختلف المفكرون والمؤرخون حول السمة أو الطبيعة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن اختلافاتهم انحصرت في مسألتين: الأولى هي طبيعة هذه الإمبريالية وما إذا كانت ذات طبيعة تقدمية كما ذهبت وجهة النظر الأمريكية -غايتها نشر قيم الحضارة الأمريكية في التقدم والحرية، أم أنها إمبريالية شريرة شأن أي إمبريالية أخرى غايتها نهب خيرات الشعوب وإخضاعها لسيادتها)؟

أما وجه الخلاف الثاني فقد اتصل بالزمن الذي تحوّلت فيه الولايات المتحدة إلى قوة إمبريالية، فذهب البعض إلى أن التوجه الأمريكي نحو المرحلة الإمبريالية ظهر في التاريخ الأمريكي منذ أخريات القرن التاسع عشر، وعلى وجه التحديد منذ عام ١٨٩٨، في حين ذهب البعض الآخر إلى أن الاتجاهات الاستعمارية تكمن في الطبيعة الأمريكية منذ البداية المبكرة للاستيطان الاستعماري في أوائل القرن السابع عشر، وذهب فريق ثالث إلى اعتبار مبدأ مونرو الذي صدر في عام ١٨٢٣ هو بداية التوجه الإمبريالي في التاريخ الأمريكي.

جذور الإمبريالية الأمريكية:

المفكر الأمريكي نعوم تشومسكي يرى أن تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية اتسم منذ بدايته المبكرة في أوائل القرن السابع عشر (١٦٠٧) بالسمة الإمبريالية في حركة استيطان الأوروبيين البيض لأراضي أمريكا، كانت حركة **استعمارية منذ البداية، والمستوطنون الأوائل اعتنقوا فكرة الشعب المختار وأرض الميعاد، وبالتالي كانت التربة خصبة منذ البدايات الأولى للأفكار العنصرية والاتجاهات الاستعمارية.**

ويتوقف تشومسكي عند المرحلة المبكرة من التاريخ الأمريكي، وهي المرحلة التي تمّت فيها عملية الاستيطان لتأسيس الدولة والتوسّع نحو الغرب على حساب إبادة السكان الأصليين من الهنود الحمر؛ ليبدي أربع ملاحظات مهمة:

الملاحظة الأولى: أن اكتشاف أمريكا في عام ١٤٩٢ أطلق عملية غزو العالم الجديد وتسبب في **كوارث سكانية** لا مثيل لها في التاريخ، فقد أدى إلى إهلاك السكان الأصليين وإبادة عدة ملايين من الهنود الحمر.

الملاحظة الثانية: أن الهنود الحمر لم يكونوا مجرد وحوش وذئاب كما وصفهم جورج واشنطن، **بل كانوا قبائل مسالمة** تعرّضت لعدوان المستوطنين البيض الذين فرضوا الحرب ومارسوا الوحشية واقتلعوا الهنود كما يقتلعون الأشجار. لقد تعامل المستوطنون البيض مع

الهنود بأسلوب توراتي، وتصوروا أنفسهم شعب الله المختار، وأن أمريكا هي أرض الميعاد التي وهبها لهم الرب، وقاموا بذبح النساء والأطفال والعجائز، ثم حاولوا تزييف التاريخ، لكن التاريخ ما زال يحتفظ بالتفاصيل الشنيعة لعمليات الإبادة الجماعية لهنود البيكوت المسالمين؛ دليلًا على وحشية المستوطنين البيض.

الملاحظة الثالثة: تتصل بحرب الاستقلال الأمريكية (١٧٧٥ -١٧٨٣) وأسبابها الحقيقية المتصلة بعملية التوسع نحو الغرب، فبعد أن نجح المستوطنون البيض في تأسيس ١٣ ولاية أمريكية على الساحل الشرقي في مساحة كبيرة من الأرض تصل إلى مليوني كم٢ كان يسكنها نحو ثلاثة ملايين من المستوطنين البيض، زادت شهيتهم للتوسع نحو الغرب، **لكن بريطانيا قررت وقف الزحف غربًا**، ومنع الاستيلاء على أرض الهنود، فهبّ المستوطنون الأمريكيون للثورة ضد إنجلترا وإزاحتها حتى يطلقوا لرغباتهم الاستعمارية العنان في التوسع غربًا وإبادة الهنود.

الملاحظة الرابعة: تتصل بسياسة الولايات المتحدة الأمريكية في التوسع نحو الغرب واستمرار إبادة الهنود في القرن التاسع عشر وعدم الاعتراف للهنود بأي حقوق على أراضيهم طبقًا لفتوى جورج مارشال رئيس المحكمة العليا الأمريكية، بأن الاكتشاف يعطي حقًّا متميزًا يلغي حق الهنود بإشغال الأرض؛ ولذلك رفض الأمريكيون الاعتراف للهنود بأي حقوق إنسانية، كما رفضوا محاولاتهم للعيش معًا في سلام والاندماج في مجتمع مختلط، وسوف تظل ذكرى القضاء على قبائل الهنود المسالمة في جورجيا وتكساس شاهدًا على الجريمة الكبرى التي ارتكبها الأمريكيون بإبادة الهنود الحمر من أجل توسيع جمهوريتهم التي تضاعفت مساحتها أكثر من أربع مرات حتى وصلت إلى نحو ٩ ملايين كيلو متر مربع، وامتدت فيها بين المحيط الأطلنطي شرقًا والمحيط الهادي غربًا.

وقد سبق أن تناولنا في الفصل الثاني عن مرحلة التكوين هذه الطبيعة الإمبريالية للولايات المتحدة الأمريكية منذ بدايات حركة الاستيطان في بداية القرن السابع عشر وحتى قيام الولايات المتحدة الأمريكية في أخريات القرن الثامن عشر، كما تناولنا خطة إبادة الهنود الحمر والاستيلاء على أراضيهم خلال القرن التاسع عشر.

حاشية:

وقال الأستاذ محمود شاكر: (لقد عرف كل عربي وكل مسلم ما صارت إليه قضية فلسطين في الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة، إن بريطانيا وأمريكا وسائر الدول التي تدير لهما الساقية، قد كشفت عن نواياها، وقد قالوا الكلمة الصريحة الواضحة بأنهم عدو لنا وحرب علينا، وأنهم يبغون أن يحطموا هذا الجبل العربي، وأن يسلطوا على رقابه أنذال اليهود وأوباش الاستعمار.

وسر هذه العداوة -ولا نكتم الحق- هو أن أوروبا وأمريكا جميعًا **لا يزالون يعيشون في أنفسهم إذا ذكر العرب في أحقاد صليبية، ولا تزال أوروبا وأمريكا تقول خطر الإسلام وخطر العرب**[1].

وفي مقال بعنوان: (**حديث الدولتين**) قال: (إن بريطانيا وأمريكا وصحافتهما قد استعلنت لنا بأحقادها، فلنعلن نحن أحقادنا. وأن يهود قد استغرق بقواتها وبمعونة بريطانيا وأمريكا ومظاهرتها لعداوتها علينا، فلا تأخذنا بعد اليوم رحمة بيهود، **فقد رحمناهم يوم اضُطهدوا وآويناهم أيام شُرّدوا**، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربة، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه وعضوا اليد التي مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور، ونعم ما فعلت يهود فإنها أيقظتنا من غفلتنا!).

حاشية:

وتجمع الصبغة الدموية أيضًا بين الحروب الصليبية والصهيونية؛ إذ يروي لنا التاريخ واقعة مذابح بمدينة القدس تقشعر منها الأبدان، وفيما يلي نص المؤرخة البريطانية كارين أرمسترونج عن مذابح القدس: (**ولمدة ثلاثة أيام قام الصليبيون بانتظام بذبح ما يقرب من ثلاثين ألفًا من سكان المدينة.. وتدفقت الدماء في الشوارع -حقيقة لا مجازًا- وكما يقول شاهد العيان البروفنالي ريمون: كان بالإمكان رؤية أكوام الرؤوس والأيدي والأرجل وأضاف: إنني وإن قلت الحقيقة فستتعدى جميع قدرتكم على التصديق.. فقد ركب الرجال والدماء تصل إلى ركبهم وأُلجمت خيولهم، وفي النهاية لم يبق هناك أحد يُقتل، فاغتسل الصليبيون وساروا في اتجاه كنيسة القيامة وهم**

---

(١) من مقال بعنوان: (لا هوادة بعد اليوم) ص ٤٥٣/ ٤٥٤ باختصار ج١ (جمهرة مقالات الأستاذ محمود محمد شاكر) جمعها د/ عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي بالقاهرة ط٢ -٢٠٠٣م.

يرتلون التراتيل ودموع الفرح تنساب من أعينهم وتسيل على أوجههم، وتوقفوا عند كنيسة المسيح وهم يرتلون قداس القيامة!)(١).

كذلك تلتحم الصليبية التاريخية مع الصليبية المعاصرة؛ مما دفع الشيخ محمد الغزالي رحمه الله للتعبير عن ذلك تحت عنوان: (**محنة الضمير الديني هناك**) فقال: ولنبدأ بمقال نشرته مجلة كاثوليكية تطوعت بإسداء نصائحها الغالية لإسرائيل، فقالت لليهود إننا احتللنا فلسطين قبلكم وبقينا فيها سنين عددًا، ثم استطاع المسلمون إخراجنا وتهديد المملكة التي أقمناها ببيت المقدس، وذلك لأغلاط ارتكبناها، وها نحن أولاء نشرح لكم تلك الأغلاط القديمة حتى لا تقعوا فيها مثلنا! استفيدوا من التجربة الفاشلة كي تبقى فلسطين لكم أبدًا ويشرد سكانها الاصطلاء فلا يخامرهم أمل العودة.

واستمرت الصحيفة التقية توصي إسرائيل بأمور ذات بال، وتحرضهم في نذالة نادرة: أن يوسّعوا الرقعة التي احتلوها، وأن يستقدموا أفواجًا أكثر من يهود العالم، **وأن يحكموا خطتهم في ضرب العرب ومحو قراهم وإبادة خضرائهم، وبذلك يستقر ملك إسرائيل ويندحر الإسلام والمسلمون!!)**(٢). وها نحن نرى المشهد سيتكرر في غزة ، فالتاريخ يعيد نفسه !!

وهو ما أثار انتباه الأستاذ عبد المحسن سلامة في عموده اليومي بالأهرام ووصفه بشريان الدم، وقال: (**يصرّ الرئيس الأمريكي جو بايدن على أن يكون شريك الدم الإستراتيجي في مجازر غزة بصمته ودعمه اللانهائي واللامحدود** لإسرائيل في حربها على غزة، وإمداد الجيش الإسرائيلي بكل أشكال المساعدات والإعانات في عداونه النازي على الأطفال والنساء والشيوخ، وآخرها ما حدث من مجازر في مخيم جباليا حينما تحوّل المخيم إلى ركام وجثث وأنقاض.

شاهدت فرق الإنقاذ والمتطوعين وهم يبحثون جاهدين عن أحياء، ويلتقطون بقايا الجثث والأشلاء، وفي الصور نفسها كان هناك بعض بقايا الملابس وسجاجيد الصلاة، تمزقت على أيدي النازيين الجدد في إسرائيل.

---

(١) كارين أرمسترونج (مدينة واحدة - عقائد ثلاث) ٤٥٣/ ٤٥٤ ترجمة د/ فاطمة نصر ود/ محمد عناني ط سطور سنة ١٩٩٨م.

(٢) محمد الغزالي (قذائف الحق) ص ٢٧٢ ط٣ دار القلم - دمشق ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.

كذلك يشير إلى وثيقة تبرئة اليهود من دم المسيح -بالرغم مما تقرره الأناجيل التي بأيدي القوم، ثم يعلق قائلًا: (إنه اتفاق علني، وشد لأزر القتلة وهم يخربون ديارنا ويمحون تاريخنا! (ص١٧٠) نفس المصدر.

لا أدري ما هي مشاعر الرئيس الأمريكي جو بايدن وكنت أتمنى أن أسأله: هل هو سعيد بكل هذه الدماء؟ وإذا لم يكن سعيدًا فلماذا كل هذا الإصرار الأمريكي على دعم ومساندة إسرائيل في حروبها النازية الممتدة عبر ما يقرب من ٧٥ عامًا، حيث قامت بمذابح رهيبة ضد الفلسطينيين عام ١٩٤٨، ثم شاركت في العدوان ضد مصر عام ١٩٥٦، وقامت بالاعتداء الغاشم عام ١٩٦٧، وضربت مدرسة بحر البقر في أثناء حرب الاستنزاف مع مصر، ثم تقوم بتكرار جرائمها في الأراضي الفلسطينية بشكل دائم ومتواصل حتى الآن.

لم تفرّق إسرائيل بين أطفال مدرسة بحر البقر والمرضى في مستشفى المعمداني والسكان الآمنين الأبرياء في مخيم جباليا، وسط دعم أمريكي سابق ولاحق، فهل هذه هي الإستراتيجية الأمريكية لقتل العرب والتنكيل بهم ومساندة إسرائيل دائمًا مهما تكن أفعالها الإجرامية؟

ما حدث في جباليا يفوق الوصف والخيال، ومذبحة بكل ما تحمله الكلمة من معانٍ، أسفرت عن مجزرة جماعية للسكان، راح ضحيتها أكثر من ٤٠٠ قتيل وأعداد هائلة من المصابين.

هل القانون الدولي الإنساني يجيز قتل المدنيين دون تمييز حتى في وقت الحرب؟ وهل رقم ١٠٠٠٠ قتيل نصفهم من الأطفال لا يكفي لهزّ ضمير الرئيس الأمريكي جو بايدن الراعي الرسمي للحرب الإسرائيلية على غزة، والذي يقف بكل ما تملكه الولايات المتحدة من عتاد وقوات لمساندة هذا العدوان.

أعتقد أن الرئيس الأمريكي قد شاهد المحتجين أثناء جلسة الاستماع للجنة المخصصات المالية بمجلس الشيوخ الأمريكي يوم الثلاثاء الماضي، والتي حضرها وزير خارجيته «أنتوني بلينكن» وهم يرفعون أيديهم الملطخة والمخضبة بالدماء بشكل رمزي طالبين الحرية لأهالي غزة، أم أن إستراتيجيته الجديدة هي القضاء على ١,٥ مليون مواطن من أهالي غزة قبل أي رد فعل.

ثانيًا: حركات الإحياء الديني والأصولية المسيحية في أمريكا:

١- كان لحركات الإحياء الديني في الولايات المتحدة الأمريكية أبلغ الأثر في المجتمع الأمريكي عامة، وعلى المسرح السياسي بصفة خاصة، يقرر الباحث الفرنسي جيل كيبل:

(إن الإنجيليين والأصوليين الأمريكيين -بين مجمل حركات إعادة التأكيد على الدين- يحتلون موقفًا قويًّا فريدًا ومركزيًّا في آن معًا على المسرح السياسي)[1].

(١) كتاب (تأثير الله: الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الشرقية) ص١٤٩ ترجمة نصيرة مردة – دار قرطبة – ليماسول سنة ١٩٩٨م.

وأبرز الحركات الدينية السياسية هي التي قام بها (فالويل) عام ١٩٧٩، وكان يعلن أنه حان الوقت لكي يجمع الأمريكيون الأخلاقيون قواعدهم لإنقاذ «أمتنا الحبيبة».

كذلك يتضح أن لهذه الحركات صلات قوية بتوجيه سياسة أمريكا نحو إسرائيل، وظهرت واضحة تمامًا في أقوال بعض رؤسائها -مثل كارتر في قوله أمام الكنيست الإسرائيلي: (لقد أقام كلًّا من إسرائيل وأمريكا مهاجرون روّاد.. ثم إننا نتقاسم معكم تراث التوراة)[١].

وقال كلينتون في خطاب الاتحاد سنة ١٩٩٧ استرشادًا بالرؤية القديمة لأرض الميعاد: فلنتوجه بأبصارنا إلى أرض الميعاد الجديد[٢].

ولئن اتضحت الدوافع الدينية على لسان كل من كارتر وكلينتون لتأييدهم الصريح لإسرائيل، فقد اتضحت أيضًا على لسان (بوش) قبل غزو العراق وأعلن بصراحة أنها حرب صليبية، ولا نشكُّ إذًا أننا طبقًا لهذه الأقوال والوقائع نتعرّض لحرب دينية بواسطة الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل معًا مهما اختفى قادتهم وراء تصريحاتهم السياسية المغلّفة برداء الدبلوماسية لكي لا تستيقظ الأمة من سباتها لتعرف الأخطار المحيطة بها!

ومن دعايات القس (فالويل) السالف ذكره تأييدًا لإسرائيل أنه قال عند انتصارها عام ١٩٦٧: (ما كان يمكن لإسرائيل أن تنتصر لولا تدخل الله).

وقد طلب منه بيجن أن يذهب إلى الأرض التي قرر بيجن بناء مستعمرات فيها غير قانونية بسرعة، وأن يعلن هناك أن الله أعطى الضفة الغربية لليهود، وقد فعل ذلك بحضور حراسه وعدد من الصحفيين الأمريكان الذين سجلوا قول إن الله لم يكرم أمريكا إلا لأنها كريمة تجاه. . **وأضاف: (أعتقد بأننا إذا فشلنا في حماية إسرائيل فلن نعود مهمين في نظر الله)[٣].**

وفي عام ٢٠١٠، وعلى غير المنتظر، شاهدنا واقعة اقتحام أعضاء من الميليشيات والجماعات اليمينية المتطرفة لمبنى الكونجرس (الأهرام في ٨ يناير ٢٠٢١)، ويبدو أنهم ينتمون إلى حركة اليمين المسيحي، وهم من الإنجيليين الذين سيطروا على مجلس الكونجرس للمرة الأولى منذ ما

(١) رضا هلال (المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا) ص ٧٤ مكتبة الشروق ١٤٢١هـ ٢٠٠٠م.

(٢) نفسه ص ١١٧.

(٣) د/ محمد معروف الدواليبي (أمريكا وإسرائيل) ص ٤٨ الدار الشامية - بيروت - دار القلم - دمشق ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.

يزيد على ٤٠ عامًا، وأصبحوا حكام ولايات وأعضاء في مجلس النواب والشيوخ، وتكرر في انتخابات التجديد النصفي للكونجرس وحكام الولايات عام ١٩٩٦.

وهكذا أصبحت الأصولية الإنجيلية قوة محرّكة في النظام السياسي الأمريكي!

وقد ذكر رضا هلال بكتابه (تفكيك أمريكا) واقعات أخرى؛ حيث يشغل الدين أهمية نسبية من حيث رصد التناقض الأمريكي بين مجتمع متدين ودولة علمانية، ومتابعة تهويد المسيحية الأمريكية وصعود اليمين المسيحي ووصول عناصره إلى الحكم.

ويقول رضا هلال: (ويصل عالم السياسة الأمريكي هنتنجتون إلى أن مصير الاتحاد السوفيتي يقدم مثالًا معقولًا للأمريكيين، فالاتحاد السوفيتي وأمريكا متشابهان في أنهما ليستا دولتين قوميتين بالمعنى التقليدي، وأن العقيدة هي التي صنعت الدولتين، فإذا تفككت العقيدة الأمريكية، وسادت الانفصالية الثقافية، وتفكك الإجماع على الحرية الديمقراطية، فستنضم أمريكا إلى الاتحاد السوفيتي على تل نفايات التاريخ)[1].

وفي دراسة حديثة نشرتها صحيفة (كريستيان ساينس مونيتور) للكاتب توم ريجان تحت عنوان: (هل بدأت أمريكا مرحلة أفول كدولة عظمى؟)؛ حيث رجّح الرأي القائل بأن الولايات المتحدة سوف تفقد خلال الخمسة عشر عامًا المقبلة دورها المركزي كقوة عظمى في العالم.. ويقول ديفيد كندي أستاذ التاريخ في جامعة ستانفورد: (**تشعر الولايات المتحدة الآن أن العالم أصبح معاندًا ولم يعد يستجيب لرغباتها العدوانية بسهولة**).

وقد استخلص الدكتور رفعت سيد أحمد من تلك الدراسات: (أننا أمام أفول الهيبة ومكانة وقوة الولايات المتحدة، صحيح لن يكون الأفول سريعًا.. إلا أن هذا التمدد الإستراتيجي لهذه الدولة العظمى والزائد على القدرة والحاجة في آن واحد وتلك السياسات الظالمة المخاصمة لكل القيم والأعراف، وهذا الانحياز الثابت للشر ولقواه العالمية وفي طليعتها إسرائيل، لا

---

(١) رضا هلال (تفكيك أمريكا) ص ٢١٤ - دار مَصر المحروسة القاهرة سنة ٢٠٠٣م.

ويقول الدكتور عمرو الشوبكي: (وتتم الإشارة إلى اليمين المسيحي بأسماء ذات مضمون واحد: الأصولية المسيحية أو الأصولية الإنجيلية أو الصهيونية غير اليهودية.. وكانت إدارة بوش الابن خليطًا من تيار اليمين بشقية السياسي والديني.. وكان بوش يعتقد أنه وصل إلى البيت الأبيض بتكليف من الله.. وقد تأثر بأفكار القسيس «بيل غراهام»، الأمر الذي نقله إلى مسار الأصولية المسيحية.. وكان هذا القسيس من أبرز اليمين المسيحي الصهيوني المعروف بعدائه للعرب والمسلمين، وقد جعلت العقيدة اليمينية بتقدمها السياسي والديني من الدين مكونًا سياسيًّا في السياسة الخارجية الأمريكية) كتابه: (الأصولية) صفحات ٥٨، ٦٥، ٦٦ ط نهضة مصر - يوليو سنة ٢٠٠٧م.

يمكن له إلا أن يؤدي إلى تسريع الأفول الإمبراطوري الأمريكي، وساعتها قد يعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. والله أعلم)[1].

الأصولية المسيحية في أمريكا:

للدكتور يوسف الحسن دراسة للأصولية المسيحية في أمريكا بمقال مستفيض ودرسها تاريخيًّا منذ نشأتها حتى عصرنا الحاضر، مع بيان العقيدة التي تجمع بين المسيحيين والصهاينة في هذا الصدد، وهو يقرر أن شعار الصهيونية المعروف «**أرض بلا شعب لشعب بلا أرض**»، هو من صنع غير اليهود، فقد تم طرحه من قبل سياسيين وقساوسة بريطانيين في مؤتمر لندن عام ١٨٤٠، وقبل نصف قرن من ولادة الحركة الصهيونية السياسية، كذلك ساهمت أموال غير يهودية في بناء المستوطنات اليهودية في فلسطين في منتصف القرن التاسع عشر، من خلال أموال أثرياء بريطانيين، إضافة إلى توقيع رئيس مجلس النواب الأمريكي وأعضاء كثيرين من الكونجرس ورجال أعمال وقساوسة على عريضة مقدمة إلى الرئيس الأمريكي عام ١٨٩١ تأييدًا لإقامة دولة يهودية في فلسطين، **وكانت هناك أحاديث لكل من وودرو ويلسون وهاري ترومان عن ضرورة استعادة اليهود للأرض المقدسة، وذلك قبل أن تطلب منها الحكومة الإسرائيلية المؤقتة ذلك بشكل رسمي!**[2].

وتتلخص العقيدة الجامعة بين المسيحيين البروتستانت والصهاينة ببيان أن مسالة المجيء الثاني للمسيح، وهي من الأركان الأساسية للإيمان المسيحي ويؤمن بها كل المسيحيين، ولكنّ الخلاف بينهم يقع في كيفية هذا المجيء وتفاصيله، وكذا نجحت الصهيونية في إقناع بعض المسيحيين بأن إنشاء إسرائيل هي علامة من علامات المجيء الثاني، وسوف تكون بصورة عنيفة وقوية ليقف مع إسرائيل في مواجهة قوى الشر في العالم ويحاربها في موقعة دموية قاسية يسمونها (هرمجدون)، وبعد ذلك الانتصار يقوم المسيح بحكم العالم لمدة ألف عام![3].

وقد رأت هذه المسيحية الصهيونية مع قيام إسرائيل حدثًا وإشارة يؤكدان معتقداتها اللاهوتية، وأصبحت الحركة المسيحية الأصولية بكنائسها المختلفة ملتزمة بالعمل في الساحة

---

(١) د/ رفعت سيد أحمد، مقال بعنوان: (أفول إمبراطورية) جريدة (الأهرام) ٢٥ جمادى الأخرة ١٤٢٧هـ -١٧ يوليو سنة ٢٠٠٦م.

(٢) د/ يوسف الحسن، مقال بعنوان: (الأصولية المسيحية في أمريكا وقضية فلسطين) ص ٦٩/ ٧٠ مجلة «تحديات ثقافية» ربيع سنة ٢٠٠٤ دار تحديات ثقافية للنشر والتوزيع، مؤسساها مهدي بندق – فوزية شبل.

(٣) نفسه ص ٧١.

الأمريكية وخارجها من أجل أمن إسرائيل، والتشديد على شعار: (**إن الله يبارك من يبارك إسرائيل ويلعن من يلعنها**)، وكل ما ورد في التوراة من نصوص حول توسع إسرائيل وحمايتها(١).

ثم شكّل **انتصار إسرائيل في حرب يونيو سنة ١٩٦٧** واحتلال مدينة القدس كاملة نقطة تحول مهمة في تعميق الاتجاهات الصهيونية اليهودية والمسيحية معًا، باعتبار أن هذا الانتصار إشارة إلى اقتراب نهاية التاريخ.. وكذلك أدى هذا الانتصار إلى نهوض واسع في تنظيمات الصهيونية المسيحية، وأصبحت إسرائيل وقضاياها برنامجًا ثابتًا لكنائسها.

وجاء الرئيس جيمي كارتر المعروف بالتزامه بقراءة الإنجيل والذهاب إلى الكنيسة أيام الآحاد وتأثير إيمانه، بمساعدة إسرائيل من حيث المساعدات، ومساهمته بتوفير الحماية، وسعيه القوي لعقد السلام بين مصر وإسرائيل(٢).

ونتيجة إحياء اليمين المحافظ أيضًا فاز رونالد ريجان عام ١٩٨٠ بالرئاسة، وقام بتأسيس برامجه على أسس دينية، **وتحوّل الفصل بين الدين والدولة في عصره إلى خيط رفيع**، وباتت الكنائس حاضرة في كل الأنشطة والتعاملات الرسمية والشعبية، كما صاحب ذلك ما تم من إقامة العلاقات الدبلوماسية الكاملة بين الفاتيكان وإسرائيل، وقيام البابا بعد ألفي عام بتبرئة اليهود من دم المسيح!!

وقد أدى أيضًا ازدهار الفكر البروتستانتي والصهيوني المسيحي في الولايات المتحدة إلى إنشاء العديد من المنظمات الخاصة بها(٣).

ومن هذه المنظمات المسيحية الناشطة والتي تتواجد أيضًا داخل إسرائيل (منظمة السفارة المسيحية الدولية)، التي تأسست عام ١٩٨٠، وتركز على القدس تحديدًا باعتبارها أساسًا مهمًا في عقائد أتباع هذه المنظمة، ولها فروع في عدد كبير من دول العالم، والولايات المتحدة، وقد تأسست في أثر قيام ١٣ دولة بنقل سفاراتها من تل أبيب إلى القدس، فجاء إنشاؤها تعميقًا ودعمًا لقرار إسرائيل بأن القدس عاصمة إسرائيل الأبدية، وهو دعم إسرائيل واستمرار حمايتها(٤).

---

(١) نفسه ص ٧٦.
(٢) نفسه ص ٧٦.
(٣) نفسه ص ٧٩.
(٤) نفسه ص ٨١.

هذا وقد عبّر الدكتور يوسف الحسن في النهاية عن رأيه في موقفين:

الأول: أن الأسباب الحقيقية للصمت العالمي تجاه المجازر الإسرائيلية التي تُرتكب في فلسطين كل يوم ولا أحد يجرؤ على الانتقاد أو اتخاذ موقف حتى ضمن القوانين الدولية والمهام المنوطة بهم، هذا الصمت بسبب نجاح الكنائس البروتستانتية في عملها وتزايد عدد المنتسبين إليها.

الثاني: بات أثر تيار الحركة الصهيونية المسيحية ماثلًا في كل ما يتعلق بإسرائيل، حتى تجاوز الدعم ما يتعلق بالأراضي الفلسطينية أساس البناء الديني عندهم، إلى التحرك ضد العرب والمسلمين بصورة عامة، وبات من ضمن مناهجهم وأهدافهم تشويه صورة العرب والمسلمين بصورة عامة، بعد أن صارت الأرضية مناسبة لهم؛ مما يفتح المجال في المراحل المتلاحقة على نوع من الصراع الحضاري والديني يقود هؤلاء الأصوليين الصهيونيين![1].

نفوذ اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية:

يُعرّف بإيجاز بأنه ائتلاف بين منظمات تعمل بنشاط لتوجيه السياسة الأمريكية في اتجاه مناصرة إسرائيل، ويتفرع عن تلك المنظمات (منظمة إيباك)، وهي من أهم وأقوى المنظمات اليهودية في أمريكا، يزيد عدد أعضائها على ثمانية آلاف عضو، وتجنّد أكثر من مليوني يهودي لخدمة أنشطتها لدعم السياسة الإسرائيلية، وتحثُّ على الدعم المادي لإسرائيل، وتقدر ميزانيتها بنحو (٥٠) مليون دولار عام ٢٠٠٥.

وتعقد إيباك مؤتمرًا سنويًا يتسابق على حضوره كبار السياسيين الأمريكيين من الحزبين الجمهوري والديمقراطي على السواء[2].

ويضم اللوبي الصهيوني بين أجنحته مسيحيين إنجيليين بارزين، ممن يؤمنون بأن ميلاد إسرائيل هو جزء من النبوءة التوراتية، ومردها إلى العقيدة البروتستانتية التي تملي عليه الإيمان بضرورة حماية الكيان الصهيوني؛ لأن ذلك علامة على قرب ظهور المسيح.

يقول الأستاذ رمزي محمود: (وبهذا الولاء الحميم بين اليهود والصليبيين تتخذ مواقف الولايات المتحدة مع إسرائيل ضد مصالح الأمة الإسلامية)[3].

---

(١) نفسه ص ٧٩، ٨١.

(٢) رمزي محمود (أوباما واللوبي الصهيوني) ص ٩٣/ ٩٤ سنة ٢٠١٠ رقم الإيداع ٢٢٤١٧/ ٢٠١٠ (بدون اسم الناشر).

(٣) نفسه ص ٩٦.

وللوبي تأثير كبير في الكونجرس الأمريكي؛ حيث تتمتع إسرائيل عمليًّا بحصانة ضد النقد.. ويعد أحد أسباب نجاح اللوبي هذا هو أن بعض الأعضاء الرئيسين في الكونجرس من المسيحيين الصهاينة؛ مما دفع السيناتور «فولبرايت» وهو رئيس لجنة الشؤون الخارجية في مجلس الشيوخ الأمريكي، إلى التصريح في ٧ أكتوبر سنة ١٩٧٣ بقوله: (إن الإسرائيليين يراقبون سياسة الكونجرس بمجلسيه، بل إن ٧٠٪ من زملائنا في مجلس الشيوخ يتخذون مواقفهم تحت ضغط اللوبي)[١].

وبهذا التصريح الجريء فقد منصبه كعضو في مجلس الشيوخ في الانتخابات التالية التي أعقبت تصريحه هذا!

وانضم إليه عضو الكونجرس الأمريكي «بول فين لي» الذي ظل لمدة ٢٢ عامًا كعضو، حيث صرح بقوله إن النشاط الحالي للوبي الصهيوني هو فرع للحكومة الإسرائيلية يراقب كلًّا من مجلس النواب ومجلس الشيوخ، وكذا رئاسة الجمهورية ووزارة الخارجية ووزارة الدفاع، بل ووسائل الإعلام نفسها، إضافة إلى تأثيره على الجامعات والكنائس.

ولقد تخطى اللوبي الصهيوني الخطوط الحمراء، واستطاع الوصول إلى التكنوقراط العسكري في شخص الأدميرال الأمريكي «طوماس موزير» رئيس أركان الحرب العامة المسلحة الأمريكية، الذي صرح سنة ١٩٧٣ بما حدث مع الملحق العسكري الإسرائيلي «موردخاي غور»؛ حيث طلب أن تقوم الولايات المتحدة بتزويد إسرائيل بطائرات حربية مزودة بصاروخ متطور جدًّا يسمى «مافريك»، فأجابه الأدميرال قائلًا: (لا يمكنني أن أسلمكم هذه الطائرات، فليس لدينا إلا سرب واحد أقسمنا أمام الكونجرس أننا في حاجة إليه)، إلا أن الملحق العسكري الإسرائيلي رد عليه بصلف وغرور قائلًا: (سلمنا الطائرات، أما فيما يختص بالكونجرس فأنا أتكفل به)، ويعلق الأدميرال على ذلك بقوله: (وهكذا تم إرسال السرب الوحيد المجهز بصواريخ مافريك إلى إسرائيل)!![٢].

هذا وقد عرض بإسهاب الأستاذ رمزي محمود تأثير اللوبي على كل من السلطة التشريعية والجهاز التنفيذي والرأي العام.

---

(١) نفسه ص ٩٩.

(٢) نفسه ص ١٠٠.

ولكن رغبة في الإيجاز سنعرض لأمرين لبيان النفوذ القوي للوبي الصهيوني في الولايات المتحدة.

الأول: تشكيل الرأي العام.

الثاني: قدرته على إخضاع الرؤساء (**أوباما نموذجًا**).

أولًا: تشكيل الرأي العام:

إن تأثير اللوبي الصهيوني على الرأي العام الأمريكي يعكس بجلاء مدى قدرة هذا اللوبي في التأثير على الشعب الأمريكي ذاته.. ذلك الشعب الذي لا يعلم إلا ما يقرأ في وسائل الإعلام الموجه فعلًا من اللوبي الصهيوني.

يقول أحد الصحفيين: (يتحكم في قضايا الشرق الأوسط أناسٌ لا يمكنهم تصور توجيه النقد لإسرائيل.. وأن نحو ٦٠ كاتب عمود في الصحف ومعلقًا يمكن الاعتماد عليهم لدعم المواقف الإسرائيلية بدون قيد أو شرط مقابل خمسة كتاب فقط ينتقدون سلوك إسرائيل ويتبنون مواقف موالية للعرب)[١].

هذه الظاهرة أثارت تعليقات لبعض الشخصيات المرموقة، منهم «كوفي أنان» الذي قال: (العالم كله يطالب إسرائيل بالانسحاب من الأراضي الفلسطينية المحتلة، ولا أعتقد أن العالم كله يمكن أن يكون مخطئًا)، ولكن فاته أن العالم كله ليس سوى الولايات المتحدة الأمريكية[٢].

وقال أسقف جنوب أفريقيا (ديزموند توتو) الحائز على جائزة نوبل للسلام عام ١٩٨٤: (تتصرف إسرائيل على أنها فوق الشبهات، وأي شخص يحاول انتقادها يتم إدراجه على الفور ضمن المعادين للسامية)[٣].

ولقد عبّر عن هذه الحقيقة أيضًا السفير الفرنسي في لندن «دانيال برنارد» عام ٢٠٠٨ وقال: (إن هذه الدولة الصغيرة الحقيرة تشكل تهديدًا للسلام العالمي، لماذا يواجه العالم خطر حرب عالمية ثالثة بسبب هؤلاء الإسرائيليين؟)[٤].

---

(١) نفسه ص ١٠٢.
(٢) نفسه ص ١٠٤/ ١٠٥.
(٣) نفسه ص ١٠٥.
(٤) نفسه ص ١٠٦.

وبعد أن عرض الأستاذ رمزي محمود لتحكّم اليهود في وسائل الإعلام كالصحف اليومية والدورية والمجلات ومحطات الإذاعة والتلفزيون ودور نشر الكتب ومجال السينما!!

بعد عرضه المسهب علّق بقوله: (وعمومًا.. نجد أن اليهود بسبب تحكّمهم في وسائل الإعلام المهمة فإنهم قادرون على تصوير أنفسهم بأنهم عباقرة، ومحبون للخير، ويمكن الاعتماد عليهم، والثقة بهم، بل إنهم رحماء يستحقون التعاطف معهم، ومقابل ذلك نجحوا في تشويه سمعة العرب والمسلمين وتقديمهم بصورة الإرهابيين البدائيين، والسفاحين المتوحشين!!)[1].

الثاني: القدرة على إخضاع الرؤساء: (أوباما نموذجًا):

أعلن أوباما فور توليه سدة الحكم عن تعيين اثنين من المسلمين كمستشارين له:

الأول: العالم المصري دكتور أحمد زويل، الحائز على جائزة نوبل في الكيمياء عام ١٩٩٩، ليكون ضمن أعضاء مجلس المستشارين العلميين والتكنولوجيين التابع للبيت الأبيض مباشرة. أما المستشار الثاني فهي السيدة داليا مجاهد -وهي مسلمة محجبة- وقد أتت هذه القرارات في إطار تحسين صورة أمريكا في العالم الإسلامي.

وعندئذ رأى اللوبي في ذلك تهديدًا خطيرًا لمستقبل العلاقات بين إسرائيل وأمريكا، مشيرًا إلى أنه دليل واضح على عدم نسيان أوباما أصوله الإسلامية.

وتكاتف اللوبي، وبرزت أنيابه وبدأ الانتقام، فأعلنت شبكة التلفزيون «فوكس نيوز» في ٢٨/ ٤/ ٢٠٠٩ أنها لن تبث المؤتمر الصحفي للرئيس أوباما بمناسبة مرور (١٠٠) يوم على منصبه في ٢٠ يناير ٢٠٠٩.

وشن أنصار إسرائيل في الكونجرس الأمريكي حملة إعلانية حامية الوطيس ضد أوباما بسبب انحنائه أمام العاهل السعودي «الملك عبد الله بن عبد العزيز»، وذلك على هامش قمة العشرين في لندن في مطلع شهر أبريل ٢٠٠٩.

ومع تكرار هذه الظاهرة قال الأدميرال «توماس موررر» الرئيس السابق لهيئة الأركان المشتركة الأمريكية: (إنني لم أرَ في حياتي رئيسًا واحدًا يقف في وجههم «يعني الإسرائيليين»، وهو ما يثير الذعر في نفسي، إنهم دائمًا يحصلون على ما يريدون، ولو فهم الشعب الأمريكي

---

(١) نفسه ص ١١١.

حقيقة قصة هؤلاء الناس على حكومتنا لانتفضوا جميعًا ضد هذا الوضع.. إن المواطنين بالتأكيد ليس لديهم أي فكرة عما يدور)[1]!!

***

(١) نفسه ص ١٠٦.

الباب السادس

دور يهود مصر الفعّال في تأسيس إسرائيل

الفصل الأول: أسرة محمد علي وصلتها باليهود ورعايتها للماسونية.

الفصل الثاني: نشأة الصهيونية في مصر.

الفصل الثالث: المساهمة الفعالة ليهود مصر في تأسيس إسرائيل.

الفصل الأول

أسرة محمد علي ورعايتها للماسونية في مصر وصلتها باليهود

نفوذ اليهود في عهد أسرة محمد علي:

يقتضي بحث هذه القضية عبر فقرتين هما:

أولًا: قبل الحديث عن أفراد الأسرة الحاكمة لمصر وصلاتها باليهود، لا بد للتعريف بإيجاز. وسنبدأ أولًا بالتعريف بمحمد علي، ثم نثني ببيان نفوذ اليهود على أفراد أسرته ونشأة الصهيونية، والحق أن للدكتور حسين مؤنس فضل السبق ببيان تبعية محمد علي وأسرته لفرنسا، وفضح التزييف التاريخي الذي تبناه التيار التغريبي ووصفوه بأنه (باعث النهضة الحديثة في مصر)!!

وقد أثبت أن الثقافة الفرنسية احتلت مكانها وغلبت على غيرها، وهؤلاء أئمة الفكر في مصر في القرنين التاسع عشر والعشرين تغلب أكثرهم الثقافة الفرنسية.. ولعل أهم هذه الآثار الثقافية **هو القانون الفرنسي الذي نُقل عنه القانون المصري!**[1].

وقد جاء أولاده وأحفاده فساروا على طريقه، بل كانوا أكثر غلوًّا بخضوعهم لليهود، إنها رواية تثير الألم، ولكن لا بد من سردها لتعرف الأجيال القادمة التاريخ المزوّر الذي تلقوه في مراحل تعليمهم!

وبسبب دور فرنسا وتشعبها ثقافيًّا واجتماعيًّا وسياسيًّا، كان رئيس وزراء إنجلترا (بالمرستون) يرمي محمد علي بأنه صنيعة الفرنسيين في كل مشاريعه وألعوبة في أيديهم، بل ستتهم مصر في كل مناسبة بالميل لفرنسا والعمل لصالحها، ثم جاء الكاتب الفرنسي (جيلبرت سينويه) فيصفه بأنه الأخ التوأم لمثاله نابليون بونابرت.. ولم يكن طموحه يتعدى فقط على فرصة هيمنته على مصر، بل كان يحلم بأن يخلد اسمه في صفحة من الصفحات المجيدة على نحو ما قرأ عن تاريخ نابليون أو القيصر إذا ما جاز القول![2].

---

(١) د/ حسين مؤنس (الشرق الإسلامي في العصر الحديث) ص ٩٠ مكتبة الثقافة الدينية – الظاهر بالقاهرة ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م.

(٢) جيلبرت سينويه (الفرعون الأخير محمد علي) ص٤٠ ترجمة عبد السلام المودني، منشورات الجمل- بغداد، بيروت سنة ٢٠١٢م.

ويقول الدكتور حسين مؤنس: (كانت آمال الرجل الاستقلال عن الدولة العثمانية وإقامة دولة -أي خلافة عربية- له ولأولاده من بعده[١].

بل بلغ به الأمر أنه حارب الدولة العثمانية وهز مكانتها، فشجع الدول الأوروبية على الثورات عليها، بعد أن كانت تخشاها! ويبدو أنها ردّت له هذا (الجميل)، فقد تقدمت إنجلترا والنمسا وبروسيا وروسيا بطلب إلى السلطان بأن يعيد باشوية مصر إلى محمد علي ويمنحه حق التوريث في هذه الباشوية![٢].

وإذا عدنا مرة أخرى لكتاب **(الفرعون الأخير محمد علي)** نعثر على أوصاف أخرى لمحمد علي تفسر لنا بعض أعماله وسجاياه:

منها أنه كان يحيط نفسه بنخبة من الأوروبيين (ص٣٩) وفي فترة من الفترات كان مقبلًا على الشراب.. وكان يفضل دائمًا الأجنبي على ابن البلد (ص ٢١٧)، ونشأ جاهلًا وتعلّم القراءة والكتابة في سن السابعة والأربعين! (٤٠/ ٤١)، وكان زعيمًا مكيافيليًّا شأنه في ذلك شأن الساسة الذين بلغوا القمة، وفي سنة ١٨٠٨ يخطو محمد علي خطوة كبيرة. ففي حركة خطيرة جدًّا يضع يده على الأوقاف المخصصة للمساجد والمؤسسات الخيرية، وهو تقليد عُرف في الشرق منذ ظهور الإسلام، والذي احترمته كل الإدارات السابقة التي تعاقبت على مصر كيفما كانت، وحتى الفرنسيون أنفسهم تحفظوا على مهاجمة هذه الاعتبارات المرتبطة بشكل أساسي بالدين (ص١٢٨).. وعندما ثار عليه العلماء بسبب ظلمه دفعه حقده أن جرد السيد محمد عمر مكرم من لقب نقيب الأشراف ونفاه إلى دمياط (ص٣٣)، بينما كان سببًا في وصوله إلى سدة الحكم بعد عزل (خورشيد) قبله!!

وكان المؤلف قد سبق وصف مكانة العلماء في مصر بأنهم الوسطاء بين العامة والطبقة الحاكمة، وبحكم وظائفهم الدينية والقضائية والجامعية فقد كان الشعب يلجأ إليهم باستمرار لنقل مظالمهم إلى السلطان (ص٨١).

---

(١) د/ حسين مؤنس ص١٦٨. وبذلك حوّل مصر إلى دولة علمانية لأول مرة في التاريخ!!

(٢) (الفرعون.. ص٥٥٨). ويقول عميد متقاعد كامل الشرقاوي: (وقفت فرنسا بكل إمكانياتها وراء محمد علي باشا.. واستغلته أوربا لضرب الحركات الإسلامية في الجزيرة العربية.. وأعلن محمد علي لأول مرة فصل الدين الإسلامي عن السياسة؛ إيذانًا بقيام النظام العلماني في مصر)، كتابه: (الحقيقة المرّة: كيف قامت دولة إسرائيل؟)، ص ٣٦، ط١٩٩٩م.

فكيف بعد هذه الصفات، أي الانجذاب لفرنسا وأهلها، ومع ضعف الوازع الديني، أن يدرك أو يعلم أن الدولة التي يريد الخروج عليها وهدمها -أي الخلافة العثمانية- كانت تحمي الشعوب الإسلامية وترد عنها أذى الغزوات المفاجئة والغارات الطارئة التي ظلت تروّعها قرونًا طويلة؟![1].

وتحت عنوان: (محمد علي باشا يضرب الجبهة الداخلية) يذكر المؤرخ (بسام العلي) أنه (عقب ثورة اليونان بتشجيع دول أوروبا: فرنسا وإنجلترا وروسيا وتحطيمها الأسطول العثماني - المصري في (معركة نافاران الشهيرة).. عرف حاكم مصر (**محمد علي باشا الألباني) نوايا الغرب، فتقرّب من فرنسا خاصة؛ لدعمه في الانفصال عن الدولة العثمانية وتوسيع إمارته المستقلة بضم بلاد الشام إليه، وبذلك استطاعت الدول الغربية العثور على الثغرة للتسلل وضرب الجبهة الداخلية الإسلامية**)[2].

وبعد هذا التحليل الذي رأيناه ضروريًا -إبراء للذمة- نأتي إلى بيان ما استخلصه الدكتور حسين مؤنس من المكاسب التي حققتها فرنسا في مصر، فقد أصبح للفرنسيين مقام ممتاز عند حكام مصر منذ محمد علي إلى اليوم، وقد أظهروا جشعًا بخداع المصريين حكومة وشعبًا (ولا نزال نذكر موقفهم حيال مصر في مسألة قناة السويس وديون إسماعيل، أو معارضتهم الشديدة في مسألة الامتيازات، بحيث لا نخطئ إذا قلنا **إن الفرنسيين أسلموا مصر للإنجليز!**)[3].

الفصل الثاني: نشأة الصهيونية في مصر:

ثم قرّب حكام أسرة محمد علي إليهم اليهود، وتقرّب هؤلاء إليهم في الوقت ذاته.. وقد قرّب عباس بن محمد علي يعقوب القطاوي إليه، وكان يهوديًّا، وعينه في وظيفة شيخ الصيارفة، وقام خلفه محمد سعيد لتثبيت قطاوي في وظيفته، وكذلك فعل خلفه إسماعيل، وكان يقرب أيضًا إليه عددًا أكبر من اليهود، ويستعين بهم في مفاوضات الحصول على القروض الأجنبية من البيوت المالية اليهودية في أوروبا مثل بيت «روتشيلد»، وعندما افتتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ دعى إلى حفل الافتتاح بعض أعيان اليهود ومنهم يعقوب منشّة.

---

(١) د/ حسين مؤنس ص ٣١.

(٢) بسام العلي، مقال بعنوان: (حرب التفرقة ومحاولات تمزيق المجتمع العربي الإسلامي) ص ٢٥ مجلة (منار الإسلام) - الإمارات - جمادى الآخرة ١٤٠٥هـ - مارس سنة ١٩٨٥م.

(٣) د/ حسين مؤنس (الشرق الإسلامي) ص٩٢.

وفي عهد الخديوي توفيق (١٨٧٩ -١٨٩١) ظلت لأسرة قطاوي الحظوة في القصر.. وفي عهد سلفه وابنه الخديوي عباس الثاني (١٨٩٢ -١٩١٤) كان محامي القصر هو مراد فرج ليشع.. وكان الخديوي يستعين باليهود في تصريف الاستثمارات والمضاربات المالية التي شغف نفسه بها. وظل طوال حكمه على علاقة ودٍّ بعدد من الأسر اليهودية، ولاسيما أسرة قطاوي. وفي سنة ١٩١٣ أصدر الخديوي دستوره المعروف باسم «القانون النظامي»، وتأسس بموجبه «الجمعية التشريعية»، وكان أعضاؤها المنتخبون (٦٦ عضوًا) والمعينون (١٧ عضوًا)، وقد عينت الحكومة برضا الخديوي والإنجليز (يوسف أصلان) عضوًا بالجمعية عن التجار.. وكانت هذه أول مرة يعين فيها عضو يهودي بالبرلمان المصري منذ ظهور فكرته في عهد إسماعيل[1].

وفي عهد السلطان حسين كامل (١٩١٤- ١٩١٧) ازداد عطف القصر على اليهود، وعندما حرّم الوالي العثماني في سنة ١٩١٥ جمال باشا على اليهود بفلسطين النشاط الصهيوني، هاجر منهم إلى مصر عدد كبير بلغ في نهاية السنة **(١١٢٧٧) مهاجرًا استقروا بمدينه الإسكندرية**، وأبدى السلطان عطفه عليهم، وأمر لهم بإعانة قدرها (٨٠ جنيهًا) زيدت إلى (١٠٠ جنيه) في اليوم.. وقامت الحكومة بإيوائهم في مبانيها، فضلًا عن المعسكرات والمدارس التي ساعدت في إنشائها لهم، وتبرعت الحكومة المصرية بقطعة أرض لبناء مستشفى الطائفة اليهودية في القاهرة، الذي تم افتتاحه سنة ١٩٢٦.

وفي عهد السلطان (الملك فيما بعد) أحمد فؤاد (١٩١٧-١٩٣٦) بلغ التقرب المتبادل بين القصر واليهود عصره الذهبي، وازدادت الثقة المتبادلة بين الحاكم واليهود في مصر، فحين صدور وعد بلفور بالوطن القومي، صرح السلطان وقتها بأن مصر تنظر بعين العطف إلى قضيتهم وتأمل أن يتحقق أملهم وتعلن حمايتها لهم![2].

وبإيعاز من الملك عيّن أحمد زيور يوسف قطاوي وزيرًا للمالية، فسجّل ذلك **أول سابقة لوزير يهودي في تاريخ مصر الحديث.**

وعين الملك قطاوي عضوًا بمجلس الشيوخ سنة ١٩٢٧، وظل به حتى وفاته... وكان يحمل الملك للطائفة اليهودية تقديرًا خاصًا ولرئيسها قطاوي نفسه، بل إن زوجته اختيرت وصيفة للملكة نازلي ثم للملكة فريدة بعد ذلك.

---

(١) د/ علي شلش (اليهود والماسونية في مصر: دراسة تاريخية) ص ٦٤ ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٧هـ-١٩٨٦م.

(٢) نفسه ص ٦٣.

ومن مظاهر عطف الملك فؤاد على اليهود وتشجيعه لهم، عين جاك جوهر مشرفًا على النشاط الرياضي في مصر، كما عين الحاخام حاييم باخوم عضوًا بمجمع اللغة العربية.

وأخيرًا جاء عهد الملك فاروق (١٩٣٦-١٩٥٢) فلم يتغير الموقف الرسمي من اليهود، بالرغم من قيام فاروق بإرسال جيشه سنة ١٩٤٨ إلى فلسطين.. وأعلن أن حياة اليهود وأموالهم في مصر مؤمّنة ومحمية، ومن المعروف أن المدّ الشعبي المعادي للصهيونية كان أقوى من فاروق[١].

كذلك لم يعرف عن رؤساء الوزراء لأولئك الحكام أي عداء لليهود في مصر، ولكن عُرف عن بعضهم العطف على اليهود، ولاسيما مصطفى النحاس وإسماعيل صدقي وحسين سري.. ومن المعروف أن صدقي وسري كانا عضوين ببعض مجالس إدارات الشركات الأجنبية واليهودية في مصر، ومن مواقف صدقي المعروفة أنه اعتقل سنة ١٩٢٥ الوطنيين الفلسطينيين الذين تظاهروا في القاهرة ضد (بلفور شخصيًّا) وهو في طريقه إلى فلسطين لحضور افتتاح الجامعة العبرية بالقدس، كما أغلق صدقي سنة ١٩٣٠ صحيفة «الشورى» التي أصدرها المجاهد الفلسطيني محمد علي طاهر في القاهرة للدفاع عن القضية الفلسطينية، وأبقى في الوقت ذاته على صحيفة «إسرائيل» التي أصدرها ألبير مصيري في القاهرة للدفاع عن القضية الصهيونية، بل إنه وافق على الاشتراك في معرض تل أبيب سنة ١٩٣٢، وزار فلسطين في السنة ذاتها!![٢].

بل بلغ الحد من عطف صدقي وأمثاله على اليهود، أنه حدث في أعقاب صدور وعد بلفور احتفلت المنظمة الصهيونية في الإسكندرية وأقامت جفلتين كبيرتين شاهدهما أحمد زيور محافظ المدينة -وهو نفسه رئيس الوزراء فيما بعد- الذي ضم قطاوي إلى وزارته سنة ١٩٢٤، وكبار رجال الطائفة، وأرسل جاك موصيري رئيس المنظمة الصهيونية برقية شكر للويد جورج رئيس وزراء بريطانيا!![٣].

---

(١) نفسه ص ١٥.

(٢) نفسه ص ٦٦/ ٦٧.

(٣) نفسه ص ٦٩. ويقول العميد كامل الشرقاوي: (ووجد اليهود أبواب مصر مفتوحة أمامهم بترحاب شديد من أعوانهم الماسونيين الذين وصلوا إلى مناصب عليا، فمن رئيس الوزراء إلى الوزراء وقادة الجيش والشرطة والمحافظ والمديرين.. والباشوات والباكوات، جميعهم من الماسونيين.. ووجد اليهود ضالتهم المنشودة في مصر أكثر من أية دولة أخرى، وعاش اليهود في نعيم مع أعوانهم الماسونيين.

وكان صدقي من أكثر السياسيين بمصر صلة باليهود والتعاطف معهم، وقد أبدى موافقته على تقسيم فلسطين ولكن بشروط، عندما اجتمع بالإسكندرية صيف ١٩٤٦ مع «إلياهو ساسون».

ويقول الأستاذ هيكل (الصحفي): (وكان الملك يعرف أن لرئيس وزرائه صدقي هوًى يهوديًا بالمصلحة، وهوى يهوديًا بالعاطفة)[1].

وعندما تولى مصطفى النحاس زعامة حزب الوفد عقب وفاة سعد زغلول. ومع أن اليهود لم ينضموا للحزب بأعداد كبيرة، فقد كانوا يشعرون بأنهم قوة لا يمكن تجاهلها، ولم يكن قادة الحزب أنفسهم يعادون اليهود أو يحاربون أحلامهم ونشاطهم الصهيوني.

هذا وقد تنوعت أنشطة اليهود الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وعندما درست سهام نصار صحف اليهود العربية في مصر، تبيّن من دراستها أن الصحف التي أصدرها يهود بالعربية منذ عام (١٨٧٧) إلى (١٩٥٠) تبلغ (٣١ صحيفة)، أما الصحف التي أصدروها بالفرنسية فتبلغ (١٠) صحف.

ولم يقتصر النشاط الثقافي لليهود على الأدب والبحث والفكر، وإنما تعداه إلى الفنون، ولاسيما الموسيقى والمسرح والسينما.

أما عن النشاط السياسي فيتضح من دراسته الدور البارز لليهود في النشاط الشيوعي، فقد بدأت التنظيمات الشيوعية بعد الحرب العالمية الثانية وأهمها «جماعة الفجر الجديد» التي أصدرت مجلة بهذا الاسم ورأس تحريرها أحمد رشدي صالح.

وكانت هناك حركتان شيوعيتان منفصلتان، ولكن ما لبثتا أن اتحدتا بعد الحرب، وفي سنة ١٩٤٧ أصبح اسمها الجديد «حدتو»، وظل كوريل مسيطرًا عليها وممولًا لها حتى تم ترحيله سنة ١٩٥١.

---

(١) كان إسماعيل صدقي رئيس أو عضو مجلس إدارة لأكثر من خمس عشرة شركة يملكها أو يسيطر عليها يهود. كذلك كان على علاقة عاطفية -استمرت طويلًا- بسيدة يهودية معروفة في المجتمع المصري في ذلك الوقت، وهي قريبة «مزراحي باشا».

ومصدر التقائه بـ«إلياهو ساسون» (تقرير بتاريخ ٢ أغسطس سنة ١٩٤٦ في محفوظات الوكالة اليهودية. محمد حسنين هيكل (العروش والجيوش)، كذلك: (تفجر الصراع في فلسطين: قراءات في يوميات الحرب) ص ٣٥ ط دار الشروق - ديسمبر سنة ١٩٩٨م.

ويقول حسن المصيلحي، رئيس قسم مكافحة الشيوعية حتى نهاية الستينيات، إن عدد التنظيمات ذات الطابع الشيوعي في مصر من ١٩٣٩ إلى ١٩٤٧ كانت نحو (٣٠ منظمة) أسسها اليهود، وحاولوا إدخال بعض المصريين فيها، باستثناء واحدة استقلوا بها، وهي جمعية (الفورم)، التي ضبطت سنة ١٩٤٦ وأُبعد زعيمها، وكانت الحركة الشيوعية بصفة خاصة قبل سنة ١٩٤٨ في قبضه اليهود[١].

يقول الأستاذ طارق البشري إن التنظيمات الشيوعية التي ظهرت في الأربعينيات في البلاد العربية بغالبية القيادة اليهودية عليها وخاصة في مصر وفلسطين، ولم يكن ذلك يجري بعيدًا عن حركة تصاعد المشروع الصهيوني في فلسطين بوصفه مشروعًا استعماريًّا استيطانيًّا يستهدف طرد السكان العرب الأصليين وإحلال اليهود محلهم[٢].

ولا شك أنه في الوقت الذي يتحول الشباب المسلمون إلى الشيوعية يفتقدون هويتهم الإسلامية التي يقاومون بها اليهود كأعداء غزاة مغتصبين ومن ثم يخضعون لهم.

وفي تعليق الدكتور علي شلش على ما سرده تاريخيًّا عن موقف الحكام من ملوك ورؤساء وغيرهم، وهكذا صنع التقارب المتبادل بين اليهود والحكام وممثلي سلطة الاحتلال ظروفًا مواتية لليهود، وثبّت الموقف الرسمي غير المعادي لهم حتى قيام الحرب في فلسطين سنة ١٩٤٨[٣]. ولكن الدكتور علي شلش يتعقب ويدرس تغلغل الماسونية في مصر، كما فعل العميد كامل الشرقاوي؛ حيث كشف الستار أيضًا عن اجتماع الماسونيين العلمانيين في القاهرة لوضع خطة لمساعدة القوات البريطانية للدخول إلى مصر واحتلالها.. وذكر أسماء الخونة جميعًا تحت عنوان:

---

(١) نفسه ص ١٣١/ ١٣٤ باختصار.

(٢) طارق البشري (ماهية المعاصرة)، ص ٤٢ دار الشروق ط٣ سنة ٢٠٠٧م.

يقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (والحقيقة التي لا مهرب منها هي أن حرب الصهيونية ضدنا هي حرب دينية يهودية، جدد اليهود مضمونها، وهم اليوم يكشفون عن هذا المضمون الذي كان لا يخفى إلا على الحالمين من العرب والمسلمين أن حربنا مع إسرائيل هي حرب استعمارية أو توسعية فقط!! إنها حرب دينية؛ لأن الذين هيأوا للحرب وجمعوا اليهود من مشارق الأرض ومغاربها ومن أمريكا ومن كل بلدان العالم.. وكان زعماء الإرهاب والقتل مثل (بن جوريون وبيجن) رؤوسًا لحكومة إسرائيل -كانوا مدفوعين بالحقد الديني الموروث الذي حملوه منذ ألفي عام.

كتاب (يا مسلمون.. اليهود قادمون) ص ٥٠ دار الاعتصام ١٩٧٨م.

(٣) نفسه ص ٧٠.

(الخيانة العظمى)، وقال: (لم يكن يدري أحد شيئًا عن هذا المخطط الصهيوني، وأن اليهود ور
القوات البريطانية، وأن أسباب الحملة هو ترسيخ وتثبيت نظام علماني ماسوني في مصر يعم
لخدمة الصهيونية العالمية)، ص٤٣ من كتابه: (كيف قامت دولة إسرائيل؟)، مصدر سابق.

***

الفصل الثالث

المساهمة الفعالة ليهود مصر في تأسيس إسرائيل

من الثابت تاريخيًا أن هرتزل دعا إلى مؤتمره الصهيوني الأول بمدينة بازل السويسرية ممثلًا ليهود مصر.. **وثبت للحاضرين أن مصر هي أنسب جسر إلى فلسطين**، وكانت الطائفة اليهودية في مصر قد ازدهرت بالأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية.. وكان النشاط السياسي قد انصرف أساسًا إلى الصهيونية.. ففي فبراير ١٨٩٧ أسس يهودي يدعى ماركو باروخ أول رابطة صهيونية في مصر، ثم تأسس عدد كبير من الجمعيات الصهيونية بلغت نحو ١٤ جمعية.

وعندما صدر وعد (بلفور) تصاعد الحماس بين يهود مصر، واحتفلوا به في الإسكندرية والقاهرة، وأرسل جاك مصيري رئيس المنظمة الصهيونية بمصر عقب احتفال ١١ نوفمبر سنة ١٩١٧ برقية إلى لويد جورج رئيس وزراء بريطانيا معبرًا عن امتنانه العظيم للحكومة. .. **وعبّر مصيري في برقية أخرى إلى وايزمان أن تصبح فلسطين دولة يهودية، وأكد أن مصر أصبحت تربة مناسبة للصهيونية[1]. وهكذا أسهمت إسهامًا كبيرًا في إقامة إسرائيل!!**

وكان وايزمان (١٨٧٤- ١٩٥٢) أول رئيس لإسرائيل قد قام بدور بارز في حملة إصدار الوعد.

---

(١) د/ علي شلش (اليهود والماسون في مصر: دراسة تاريخية) ط الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

هذا، وقد عرض الأستاذ محمد عزت عارف بإسهاب لاثبات أن الماسونية تحكم مصر، مستندًا إلى دائرة المعارف الماسونية الصادرة ببيروت عام ١٩٦١؛ حيث قالت: (إن الماسونية لم تزدهر في بلد عربي كما ازدهرت في أرض النيل حيث كانت مصر مهدًا للماسونية في الشرق)، وأضاف بذكر أسماء أفراد الأسرة المالكة -أسرة محمد علي- حيث انتشرت المحافل في ربوع مصر في عهد الماسوني الأكبر الخديوي إسماعيل، وكان المحفل الأكبر في قصر النزهة بشبرا، وكان الأمير حليم أستاذًا أعظم لهذه المحافل عام ١٨٦٧، ثم تبعه الخديوي توفيق، وكانت أولى مهامه هي استبدال التشريع الإسلامي بقوانين وضعية ما زالت آثارها حتى يومنا هذا!! وفي ظل الاحتلال الإنجليزي، وكان لليهود من وراء فؤاد والوزراء والباشوات، الذين ارتموا في حضن الماسونية!! كتابه بعنوان: (نهاية اليهود) ص ١٤٤ ط دار الاعتصام سنة ١٩٩٦، ويقرر أن محمد علي قام بتغريب الحياة المصرية.

وورد في رسالته إلى زوجته حديثًا عن دور مصر في الحركة الصهيونية، **ذاكرا أنه ما زال على مصر دور تلعبه في قضيتنا**، هذا أمر لا مفر منه، فالصلة بين البلدين (يقصد مصر وفلسطين) وثيقة جدًا، وقد أدّت الحرب إلى شدة تقاربهما.

وفي ١٤ أغسطس ١٩٣٣ ذكر وايزمان في رسالة إلى أوزموند جولد أن حصيلة المنظمة الصهيونية في مصر من التبرعات الخاصة بفلسطين بلغت (٣٠) ألف جنيه إسترليني.. وفي ٢٠ يوليو ١٩٣٤ ذكر في رسالة أخرى أن أصدقاءه من يهود مصر عبر السنوات الست عشرة الماضية قد جمعوا مبلغًا كبيرًا تبرعوا به للمعهد العلمي الذي يحمل اسمه في فلسطين.

وفي دراسة لأحمد غنيم وأحمد أبو كيف قالا فيها: (**ولعب فرع المنظمة في مصر دورًا مهمًا في دعم السياسة الصهيونية، التي كانت ترى أن تزويد الوطن القومي بالمال هو السبيل الوحيد لتحقيق حلم الصهيونية**).

هذا وبعد ذلك العرض الموجز للدراسة التاريخية بكتاب دكتور علي شلش عن أنشطة اليهود الثقافية والاقتصادية والاجتماعية في مصر، عني بصفة خاصة بنشاط حاييم نحوم (وهو أطول الحاخامات عهدًا في مصر وأكثرهم نشاطًا حتى وفاته ١٩٦٠)، ومنها (بث الدعاية لتوحيد جميع الفرق اليهودية، واقترح أن ينشأ في الجامعة العبرية فرع لتعليم الربانيين الذين تشربوا مدة وجودهم هنا حب أرض إسرائيل).

وهكذا فإنهم عند عودتهم إلى بلادهم، يبثون الدعوة لإنشاء الوطن القومي اليهودي.. وقد وعد أن يحبب يهود مصر بفلسطين.

وكذلك برز دور الإعلام؛ إذ حرصت الصهيونية في مصر منذ البداية على أن يكون لها صوتها المعبر عنها، فأنشأت في القاهرة والإسكندرية صحفًا بالعربية والفرنسية.. وفي هذه الصحف وغيرها انصرفت الدعاية الصهيونية إلى تصوير أهدافها في صورة تعاون بين اليهود والعرب من أجل النهوض بالوطن المشترك.. كما ذكرت صحيفة (إسرائيل) التي كانت تنشر أخبار الصهيونية العالمية وإعلانات الشركات الصهيونية في فلسطين لبيع الأراضي... والتأثير في الرأي العام المصري والعربي بغية إقناعه بأهمية التفاهم والتعاون مع اليهود من أجل تحقيق الحلم وإنشاء الدولة اليهودية.

وفيما يتصل بدور الصحف، أنشأ اليهود مكتبًا في الثلاثينيات من القرن الماضي، مهمته في بادئ الأمر أن يراجع جميع الصحف والمجلات المصرية، حتى إذا وجد فيها كلمة واحدة تمسّ

اليهود أو صالح اليهود، فمثل هذه الجريدة يلفت نظرها، فإذا عادت إلى انتقاد اليهود، قطعوا عنها جميع الإعلانات الخاصة بالمتاجر اليهودية، وتعدى الأمر بعد ذلك إلى أن كان هذا المكتب يطلب من الجرائد أن تكتب بما يتفق مع سياستهم، وفي مقابله يزيدون في كمية الإعلانات للجريدة، ويقدمون لها إعانات مالية كلما زادت في مناصرتهم.

ومن وراء تلك الأنشطة والخطط المعدة بإحكام بهدف إنشاء الدولة اليهودية، لا يخفى على الباحث الدور الكبير الذي كان يقوم به وايزمان والنشاط الدؤوب الذي كان يبذله باتصاله بساسة مصر وبعض الوزراء، مع مراقبة أنشطه الأشخاص المتعاطفين مع أهل فلسطين العرب، وتحريض الإنجليز عليهم. لذلك يحتاج الأمر إلى عرض خاص فيما يلي:

حاشية: والماسونية هي ضمن المنظمات التي تمارس اليهودية العالمية نشاطها من خلالها، وقد جاء في تقرير وضعته السلطات الرسمية عام ١٩٦٤ عن النادي الماسوني أنه على علاقة بإسرائيل؛ إذ لاحظت السلطات أن جميع أدوات النادي تحمل النجمة الإسرائيلية، كما ضبطت السلطات أعلامًا تمثل أسباط إسرائيل الاثني عشر، وأن جميع ما بالدار من لوحات وأعلام (أثاث ومطبوعات ونشرات تتسم بالطابع البريطاني الإسرائيلي)، وقد قام المحفل الماسوني الأسكتلندي بالإسكندرية عام ١٩٥٦ بما قامت به سفينة التجسس الأمريكي (ليبرتي) عام ١٩٦٧. عبد الفتاح عبد الحميد (يا مسلمي العالم اتحدوا) ص ٧٦ دار الاعتصام بالقاهرة سنة ١٩٧٦.

نشاط وايزمان في مصر وآثاره لصالح إسرائيل:

كان يهود مصر حريصين على علاقاتهم بوايزمان، وكانوا يطلعونه على سير الأمور أولًا بأول، ويتلقون طلباته باحترام.. وكان يوسف قطاوي هو واسطة الاتصال معهم، ومن ذلك أنه أرسل إليه برقية (٥ مايو ١٩٣٨) مبديًا قلقه وقلق أبناء الطائفة إزاء مشكلة تقسيم فلسطين، وما يكتب في الصحف المصرية حول نية اليهود في فلسطين الاستيلاء على الأماكن المقدسة، وبناء معبد سليمان على أنقاض المسجد الأقصى.. وعلى أثرها قابل وايزمان محمد علي -ولي العهد- في القاهرة، وشرح له الموقف في فلسطين، ووجد منه تفهمًا للصلح بين العرب والصهاينة وموافقة على تقسيم فلسطين. واتفق الاثنان في هذا اللقاء على ضرورة زيادة نسبة المعتدلين في فلسطين.

وكانت السنوات من (١٩٣٦ إلى ١٩٣٩) من أصعب مراحل الصهيونية ونشاطها في مصر، فقد شهدت غليان الوضع العربي في فلسطين، كما شهدت تحركات دائمة من جانب أمين

الحسيني مفتي القدس ورجاله في مصر، وتطور اهتمام بعض الساسة والمثقفين المصريين بالقضية الفلسطينية، وكانت الصحافة المصرية قد أبدت تعاطفًا واضحًا مع عرب فلسطين، إلى حد مهاجمة اليهود والصهيونية.. لذلك تحركت المنظمة الصهيونية العالمية الرسمية -وعلى رأسها وايزمان- فأخذ يتلقى المعلومات بنفسه من خلال زياراته المتكررة، ثم يبلغها إلى المسئولين في لندن ورجال اللوبي الصهيوني مشفوعة برأيه.

ونجح في سنة ١٩٣٨ في مقابلة محمد محمود رئيس الوزراء وعلي ماهر رئيس الديوان الملكي ورئيس الوزراء بعدها (١٩٣٩- ١٩٤٠)، واستطاع أن يحصل منهما على وعد بالعمل على تخفيف حدة التطرف الفلسطيني، وزيادة فرص الاعتدال هناك، ولكن الوعد كان مشروطًا بالحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين، وهذا ما لم يوافق عليه وايزمان، ومع ذلك ترك باب العلاقة مع الساسة المصريين مفتوحًا، منذ ذلك التاريخ حتى صدور قرار التقسيم (١٩٤٧).

وكان وايزمان -من جهة أخرى- حريصًا على تتبع نشاط محمد علي علوبة الذي ارتبط بالقضية الفلسطينية، منذ بداية الثلاثينيات، وشارك في بعض نشاط أمين الحسيني ومؤتمراته الإسلامية وحملة التبرعات من أجل إنشاء جامعة إسلامية في القدس، وكان علوبة قد دعا إلى عقد مؤتمر إسلامي عربي لنصرة القضية الفلسطينية في (٧ أكتوبر ١٩٣٨)، ووجه الدعوة إلى عدد كبير من الدول العربية والإسلامية أو ذات الأقليات الإسلامية، ووافقت على الاشتراك عشر دول منها: الهند، ويوغوسلافيا، واليمن، ومراكش، والصين، وقد حاولت المنظمة الصهيونية إيقاف المؤتمر بكل الطرق.. وكان وايزمان شديد الانفعال والغضب في مخاطبة هؤلاء، حتى أنه استعدى الإنجليز على المؤتمر (وقد قام الأستاذ محمد علي علوبة بنشاط واسع لعقد المؤتمرات لنصرة أهل فلسطين.. وكان منها تكوين هيئة باسم «هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين»؛ حيث جمعت المال وجهّزت نفرًا من شباب مصر جاهد في فلسطين وكانوا مثلًا في البطولة والفداء، واستُشهد كثير منهم)، ص٤١.. ومن أقواله : (وبهذا كله كانت صلتي بفلسطين وثيقة، وأصبحتُ خادمًا لقضيتها، وسأبقى كذلك ما دمت حيًّا)، ص٤١، كتابه: (فلسطين والضمير الإنساني)، كتاب الهلال في ١٩٦٤، وكان زميلًا لمصطفى كامل وعضوًا في الحزب الوطني).

أحوال اليهود عقب عام ١٩٥٢:

واستمرت حياة اليهود في تحقيق الازدهار على المستويات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى المستوى الثقافي، فقد أتيحت لهم حرية التعبير، فأنشأوا نحو (٥٠)

صحيفة في الفترة من (١٨٧٧ إلى ١٩٤٧) كان معظمها بالعربية، وقد لخص قرار أحوالهم في عبارة مختصرة فقال: (لم تظهر مشكلة يهودية في مصر ابتداء من عهد محمد علي إلى الحرب في فلسطين، ولكن حدث تأثير كبير عند قيام إسرائيل المفاجئ على الموقفين الرسمي والشعبي من اليهود، فلم تكن الجماهير في مصر مهيأة لوجود إسرائيل داخل الجسم العربي، فكان لظهورها صدمة للجماهير ومثقفيها على السواء.. وكانت صدمة الجماهير مركبة، فبمقدار ما أصاب المصريين من حزن، كان الفرح من نصيب اليهود. **وفي عام (١٩٥٢) شاهدت مصر بداية تغيير كبير في جميع أحوالها**، وكان هذا التغيير أحد ردود الفعل لقيام إسرائيل، وشيئًا فشيئًا لم يعد هناك ملك ولا حزب للأغلبية ولا ممثل للاحتلال يحكم الحاكم، وبذلك فقد اليهود في مصر سندًا كبيرًا، واهتزت الأرض التي يقفون عليها. ومع ذلك فقد أشار (كوهين) إلى حسن معاملة محمد نجيب لليهود ومجاملته لهم. وفي (١٣ يناير سنة ١٩٥٣) شُكّلت لجنة لوضع مشروع دستور جديد للبلاد، واختير زكي عرابي المحامي ممثلًا للطائفة اليهودية فيها، وازداد في الوقت ذاته تنبه سلطات الأمن للنشاط الصهيوني داخل البلاد. ففي سنة ١٩٥٤ حوكم **(١٣) يهوديًا بتهمة التخابر مع إسرائيل، ثم نفذ حكم الإعدام في اثنين منهم هما: ليون مرزوق وصامويل عازار.**

يقول موريس مزراحي حول هذا الموضوع: (إن عبد الناصر كان يدين بالفضل لسيدة يهودية تدعى مدام يعقوب فرج شمويل، سكنت بجوار أسرته وهو طفل صغير بعد فقد أمه، وكانت تعامله كأحد أبنائها[1]، فلما حُكم على مرزوق وصامويل عازار بالإعدام ذهبت السيدة –

---

(١) ولا شك أن تربية تلك المرأة اليهودية له منذ طفولته جعلت منه عدوًا للإسلام طوال حياته، فقد حرص على إسكات الصوت الإسلامي المتمثل حتى في المجلات، ومنها مجلة (الهدي النبوي) التي كانت تصدرها جماعة دعوة الحق الإسلامية منذ عام ١٣٥٦هـ لمدة خمسين عامًا. يقول الدكتور السيد رزق الطويل: (وظلت «الهدي النبوي» حفيظة على عهدها، وفية لرسالتها، في أوقات عمّ فيها البلاء، واشتدت المحن، وعمّت الفتن.. حتى إذا جاء شهر مايو سنة ١٩٦٧، وفي الأيام الأخيرة منه قبل النكسة الرهيبة بأيام قليلة صدر الأمر بأن يسكت صوت «الهدي النبوي».

المصدر: مقال بعنوان: «الهدي النبوي في نصف قرن» ص ٢٥/ ٢٦ مجلة «الهدي النبوي» جمادى الأولى ١٤٠٦هـ-يناير سنة ١٩٨٠م – مطبعة دار التأليف بألمانيا، هذا وقد وصفه الشيخ محمد الغزالي –وهو شاهد على عصره– أنه (كان أداة رائعة في يد القوى العالمية الحاقدة على الله وخاتم رسله صلى الله عليه وسلم، وأنه فعل بمصر أضعاف ما فعله لورد كرومر)!!

كتابه (قذائف الحق) ص ١٢٩/ ١٣٠ ط دار القلم بدمشق ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٢م، ويرى الشيخ الغزالي أيضًا أن (فكرة الوحدة العربية) تعني بناء أمة عربية أخرى مرتدة عن دينها ومتمردة على رسالتها وتاريخها) ص ١٠٦ نفس المصدر.

حاشية:

التي كانت صديقة لأم الأول- إلى عبد الناصر، وطلبت تخفيف الحكم بالإعدام، فوعدها بالتفكير في ذلك، ولكن الحكم نفذ في اليوم التالي).

ويعلق الدكتور علي شلش على هذه الحكاية بأنها لا تدل على أن عبد الناصر كان يضطهد اليهود، والدليل أن ضباط مجلس قيادة الثورة كانوا يستشيرون سلفاتور شيكوريل في الشؤون الاقتصادية قبل هجرته (سنة ١٩٦٧)، وأن سفارة مصر في باريس عرضت على إيزاك فانيا مصدّر البصل الذي هاجر بعد وضعه تحت الحراسة عام (١٩٦٥) أن يعود إلى مصر لاستئناف نشاطه، مع تعويضه بسبب تدهور تصدير البصل بعد رحيله. ولئن حدثت بعض الخسائر لليهود فهم ضمن من وقع للمصريين الآخرين فريسة لسياسات التأميم والحراسة. ولم تذكر الدوائر الأمريكية ولا اليهودية أي حادثة عن اضطهاد لليهود.

الخلاصة - في رأي الدكتور علي شلش-: نستطيع -مما سبق- أن نخرج بنتيجة مؤداها أن الصهيونية العالمية قد حوّلت مصر في الفترة من (١٩١٧ إلى ١٩٤٨) إلى مركز من أخطر مراكزها، إن لم يكن أخطرها، بعد المركز الذي صنعته في فلسطين في تلك الفترة.

لقد كانت مصر -دون أن تدري أو تريد- معسكرًا لانتقال الصهيونية العالمية والمحطة الرئيسة على الطريق إلى فلسطين. ولولا جهود الصهيونية على أيدي زعمائها وأعوانها في مصر لما استطاعت الصهيونية العالمية تأمين ظهر المستوطنين اليهود في فلسطين، وضمان حركة الهجرة إليها، وتخفيف حدة التوتر العربي داخل فلسطين وخارجها، وأخيرًا إعلان قيام دولة إسرائيل.

حاشية (١):

ومن منظور إدارة الصراع العربي- الإسرائيلي، يصف الدكتور حامد ربيع أن القوة الأصلية التي تقف في هذا الصراع -موقف التناطح الحقيقي- هي مصر وإسرائيل من الناحية التاريخية،

وهناك تفاصيل أخرى ذكرها الأستاذ محمد الطويل؛ حيث كان عبد الناصر يقطن بحارة اليهود مع قريبة والدته، وعندما تزوج والده بأخرى لم يطق الاستمرار مع زوجها أبيه ومع الأغلبية اليهودية، كانت هناك علاقات اجتماعية تنمو مع أقرانه وأصدقائه وجيرانه، ومن هنا يمكن تفسير علاقته بإيجال بايدن وإيجال ألون أثناء حرب سنة ١٩٤٨؛ حيث استمر في الحي المشار إليه حتى رتبة ملازم أول بالجيش المصري حتى ترك هذا الحي.

محمد الطويل، لعبة الأمم وعبد الناصر ص ٤٨، المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٦. ويُنظر أيضًا كتاب (لعبة الأمم)، عالم الاستخبارات الأمريكية في اعترافات أحد رجالها)، تأليف: مايلز كوبلاند، دراسة وإعداد وتقديم: د. الحسيني الحسيني معدّي، ط دار الخلود بالقاهرة، العتبة ٢٠١٠م.

فإسرائيل لم توجد إلا لتشلّ مصر -ومن الناحية الواقعية- فليست في المنطقة دولة سوى مصر تستطيع أن تقف في مواجهة حقيقية مع إسرائيل، كذلك نلحظ أن مصر دولة ثابتة في جميع دوائر الصراع، فهي دولة جوار، وهي دولة عربية إن لم تكن قائدة العالم العربي، وهي دولة تقع في حوض البحر المتوسط الشرقي، بل تتحكم فيه، وهي دولة إسلامية إن لم تكن هي معقل الإدراك العقلي الإسلامي.

رغم ذلك، فإن أول ملاحظة تفرض نفسها على المحلل، هو أن الاختلال الحقيقي بين مصر وإسرائيل وجد منذ بدء الصراع، وهو يسير دائمًا في خط ثابت لصالح إسرائيل، بحيث إن مصر في مواجهة إسرائيل في عام ١٩٥٦ كانت أقوى منها في عام ١٩٦٧، وهي في عام ١٩٦٧ كانت أكثر فاعلية منها في عام ١٩٧٣، وهي اليوم في أسوأ حالات الضعف في مواجهة تل أبيب[1].

حاشية (٢):

وما لم يقله الدكتور علي شلش أن أولئك الملوك والحكام والرؤساء -منذ محمد علي- شاركوا في مساعدة اليهود -ماديًا ومعنويًا- أولئك جميعًا يتحملون أمام الله تعالى وزر تمكين اليهود من احتلال أرض فلسطين الإسلامية، بينما كان من واجباتهم، بل فرض عين عليهم بحكم مواقعهم ومسؤولياتهم، تقديم الدعم بكل ما استطاعوا من قوة حتى يحولوا بينهم وبين نكبة استيلاء اليهود على القدس أيضًا وبه المسجد الأقصى المبارك الذي صار أسيرًا بين أيديهم ويسعون لهدمه بإصرار، بل قاموا بحرقه عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧.

ولا تعليل لهذا الموقف المزري والمتخاذل إلا بسبب ضعف الوازع الديني لديهم، بالإضافة إلى جهلهم التام بما نص عليه القرآن الكريم، وبما ورد من أحاديث صحيحة عن الرسول صلى الله عليه وسلم على تحريم موالاة أعداء الله ورسوله صلى الله عليه وسلم.

ومن أوضح الأدلة على وجوب الولاء للمؤمنين قوله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ التوبة: ٧١.

---

(١) د/ حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية وإدارة الصراع العربي - الإسرائيلي) ص ٤٠ ط دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

ومن أوضح الأدلة على وجوب البراء من الكافرين وتحريم موالاتهم قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۖ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٤﴾ الممتحنة: ٤.

وقد أجمع أهل العلم على وجوب الولاء للمؤمنين، وعلى تحريم الولاء للكافرين[(١)]، وقد ثبت أيضًا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (**انصر أخاك ظالمًا أو مظلومًا**)، والأمر للوجوب، فيجب على المسلم أن ينصر المسلمين إذا اعتدى عليهم الأعداء، **فإذا اعتدى الكفار على بلد من بلاد المسلمين وعجز أهلها عن صد عدوانهم وجب على من يليهم من المسلمين نجدتهم والدفاع عنهم بالأموال والأنفس**[(٢)].

حاشية ٣: الدروس المستفادة من عهد محمد علي (تصحيح تاريخي ضروري):

لقد كان أسوأ العهود لا باعثًا للنهضة كما يزوّره المستغربون.

موجز لترجمة حياته:

قدم إلى مصر ضابطًا عثمانيًا مغمورًا، ولم تمض سنوات ذات عدد حتى أصبح على رأس الحكومة المصرية، وشعر بأن مركزه يتوطد كلما طال بحكمه الأمد، وازداد اعتدادًا بنفسه، وأدرك أنه يحكم ولاية تختلف عن سائر الولايات العثمانية، من حيث وفرة مواردها وكثرة عدد سكانها وموقعها الجغرافي الممتاز، **فوضع مخططًا سياسيًا هو أن يؤسس في مصر ملكًا يورثه لأبنائه وحفدته من بعده**[(٣)].

وعلى الرغم من أن محمد علي مدين إلى الزعامة الشعبية بقيادة السيد عمر مكرم بوصوله إلى حكم مصر ثم بالتغلب على الأخطار التي واجهته في مستهل حكمه، فقد عمل على التخلص منه بعد أن استقامت له الأمور.

---

(١) د/ عبد الله بن عبد العزيز الجبرين (تهذيب تسهيل العقيدة الإسلامية) ص ٢١٥ (الأستاذ بكلية المعلمين بالرياض) الطبعة الأولى جمادى الآخرة ١٤٢٥هـ - بالرياض.

(٢) نفسه ص ٢١٧ (بدون اسم الناشر).

(٣) د/ عبد العزيز محمد الشناوي (عمر مكرم بطل المقاومة الشعبية) ص ٢١٣ سلسلة (أعلام العرب) رقم ٦٧ يوليو سنة ١٩٦٧م.

وكان اصطدامه بالعلماء -وعلى رأسهم عمر مكرم- الذين طالبوه برفع المظالم عن الشعب وحمله على التشاور معهم وتنفيذ الميثاق الذي أخذوه عليه.

ولكن محمد علي استطاع أن يضم إليه نفرًا من الزعماء وطلاب المنافع، ويمنّيهم بالمطامع الشخصية.. ولكن على النقيض كان عمر مكرم، الذي وقف بمفرده في وجه الطاغية لم يرهبه وعد أو وعيد، فصبَّ جام غضبه عليه وأراد التخلص منه[1].

وكان الصدام بينهما فاصلًا، عندما أرسل محمد علي رسالة أخيرة يطلب فيها منه أن يحضر لمقابلته في الديوان، فأجاب السيد عمر قائلًا إن الباشا إذا أراد مقابلته فلينزل هو من القلعة إلى بيت السادات ليلقاه هناك؛ لتكون المقابلة على سواء.

فغضب محمد علي، واعتبر ذلك إهانة مسّت شخصه، فأعلن خلع السيد عمر من نقابة الأشراف، وأمر بنفيه من القاهرة إلى دمياط! مع أنه كان سببًا في وصوله إلى سدة الحكم عندما قاد ثورة شعبية وأزاح خورشيد باشا ليضع مكانه محمد علي.. (وكان حين ذاك السيد عمر هو زعيم الشعب المنتصر، وأعلى المصريين اسمًا ونفوذًا) [2].

ويعلّق الأستاذ محمد فريد أبو حديد على ذلك بأن نفي السيد عمر أكمل للباشا سيره نحو حكم البلاد منفردًا، وإبعاد الشعب عن التدخل في الشؤون العامة، **وأصبح محمد علي قابضًا على السيف والخزانة معًا، وصار السيد المطلق في البلاد المتصرف في كل شؤونها في السلم والحرب**[3].

وهو نفس رأي الدكتور عبد العزيز الشناوي، حيث أضاف أن محمد علي أخذ يهدد الزعماء ويهدد الشعب المصري عن بكرة أبيه، وقد أطلق عليه الرعية -من قبيل الاستعلاء- قائلًا: **(فليس لهم عندي إلا السيف والانتقام)**[4].

وفي النهاية علّق الدكتور الشناوي بقوله: (والحق أن أحداث التاريخ الحديث والمعاصر قد دلّت على أن الزراية بالشعب وانحطاط حقه وجحد فضله كان من أبرز الصفات في محمد علي وفي بنيه وحفدته)[4].

---

(1) نفسه ص ٢٣٠.

(2) محمد فريد أبو حديد (زعيم مصر الأول: السيد عمر مكرم) ص ١٩٦ كتاب الهلال مايو سنة ١٩٩٧م.

(3) نفسه ص ١٩٨.

(4) نفسه ص ٢٣٦.

وهناك تفاصيل أخرى عن مهاجمة السيد عمر مكرم لمحمد علي؛ إذ وصفه بأنه حاكم جُبل على الظلم واستنزاف أموال الشعب.. وهدد بأنه إذا اشتد ظلمه فسيحيل الموضوع إلى الباب العالي. كما توعد بتحريك الشعب للثورة عليه وخلعه من الولاية كما فعل مع خورشيد من قبل، وقال: (وكما أصعدته إلى الحكم فإني قدير على إنزاله منه)[1].

وكان محمد علي قد تعهد رسميًا بأن يحكم بالعدل واحترام حقوق الشعب المصري، وألا يأخذ أي قرار دون العودة إلى العلماء. بل إنه يضيف أنه إذا ما أخلف شيئًا من وعوده فإن لهؤلاء العلماء أنفسهم الحق في عزله![2]، مع العلم أن العلماء كانوا في كل الأوقات الوسطاء الطبيعيين بين العامة والطبقة الحاكمة، وبحكم وظائفهم الدينية والقضائية والجامعية فقد كان الشعب يلجأ إليهم باستمرار لنقل مظالمهم إلى السلطان[3].

أما العميد كامل الشرقاوي فإنه يصنف عهد محمد علي بأنه عهد علماني ماسوني، فُرض على المصريين بالحديد والنار، وهو أسوأ وأحط العهود التي مرت على المصريين في تاريخهم، ويفسّر ذلك بأنه أرسل بعثات تعليمية من أطفال وشباب مصر إلى حليفته فرنسا وإلى بعض دول أوربا، وعادت البعثات متأثرة بالدول الغربية والراقية التي عاشوا فيها، عادوا ماسونيين علمانيين لحمًا ودمًا.. وبدأ نجاح الخطة في علمنة مصر، وخلق جيوش من العملاء الماسونيين فيها، وتحقق على أيديهم ما لم يكن في الحسبان. وكان إسماعيل باشا قد بلغ درجة عالية من الدرجات الماسونية حتى قيل إنه راعي الماسونية في مصر.. ولأول مرة في تاريخ مصر يتحول قصر ملكي إلى محفل ماسوني، وهو قصر النزهة في شبرا، وكان يملكه الأمير حليم، وعُيِّن أستاذًا أعظم للمحفل الماسوني في حفل دولي حضره أقطاب الماسونية في العالم، من بينهم ولي عهد بريطانيا حينذاك، وهو الذي أصبح فيما بعد الملك إدوارد السابع.. ونتيجة للنجاح الصهيوني الماسوني في مصر أقامت دول أوربا لعميلها الماسوني –إسماعيل باشا– وأولاده من بعده عددًا من القصور هي من أفخر القصور في العالم، وهي قصر عابدين وقصر القبة وقصر المنتزه وقصر رأس التين بالإسكندرية وغيرها. وأنشأ اليهود محافل ابن ميمون في عام ١٨٨٧ في عهد الخديو توفيق، ومحفل إلياهو حناني في عام ١٨٩٢ بالإسكندرية ومحفل ميخا برنت في عام ١٩١١ في شارع عدلي، وهو أخطرهم. وقام الخديو توفيق بتنفيذ المخطط الماسوني العلماني تدريجيًا، وتغيير قوانين

---

(١) نفسه ص ٢٣٦.

(٢) جيلبرت سينويه (الفرعون الأخير محمد علي) ص ١٠٠ مصدر سابق.

(٣) نفسه ص ٨١.

الشريعة الإسلامية بأخرى وضعية. وبتأثير الصحفي اليهودي (أبو عسل) أصدر السلطان حسين كامل الأوامر بوضع دار المحافظة في رأس التين تحت تصرف رئيس الطائفة اليهودية لإيواء المهاجرين اليهود، كما أصدر أمرًا بصرف مائة جنيه لكل لاجئ.. هذا وقد لاقى المخطط اليهودي نجاحًا منقطع النظير في مصر، فاقتحم اليهود جميع المجالات الصناعية والتجارية والزراعية، وسيطروا على الاقتصاد المصري، لكن التأثير الأخطر تحقق بانتشار المراقص والنوادي الليلية والمسارح والسينما، وجميعها يرمي إلى نشر الانحلال الخلقي بين الشباب. وما إن جاء عام ١٩٣٧ حتى كان المجتمع المصري في صورة مزرية لم يشهد لها التاريخ مثيلًا) [الحقيقة المرة: كيف قامت دولة إسرائيل؟، عميد متقاعد كامل الشرقاوي، من ص٣٦ إلى ص٤٨ باختصار شديد، رقم الإيداع ١١٨٣٣/ ١٩٩٩م].

***

الباب السابع

دراسة الدكتور حامد ربيع لحروب مصر وإسرائيل

الفصل الأول: الأوضاع السياسية في مصر قبل حرب ١٩٤٨.

الفصل الثاني: الموقف السياسي والعسكري للعرب.

الفصل الثالث: نتائج حرب سنة ١٩٤٨.

الفصل الرابع: الهزيمة الكارثة عام ٦٧.

الفصل الخامس: التقويم السياسي لحرب أكتوبر سنة ١٩٧٣.

تمهيد

دراسة الدكتور حامد ربيع لحروب مصر وإسرائيل من منظور الصراع العربي الإسرائيلي

يرى الدكتور حامد ربيع -وهو عالم السياسة المخضرم- أن حرب سنة ١٩٥٦ كان الهدف الحقيقي لإسرائيل منها هو إثبات أنها أصبحت دولة تملك شرعيتها الإقليمية.

وظهرت أيضًا كحليف لكل من فرنسا وبريطانيا، كما تمكّنت القيادة الإسرائيلية من أن تحقق هدفها، وهو خلق الاختلال في التوازن لصالحها، بعد أن أحالت مصر إلى دولة مهزومة -غير قادرة على الدفاع عن نفسها -وقد احتلت أراضي واسعة من أرضها من جانب، وأقفلت قناة السويس من جانب ثان[١]، وفقدت الهيبة الدولية من جانب ثالث[٢].

كذلك أسهمت كل من فرنسا وبريطانيا وألمانيا بشكل أو بآخر في الدفاع عن المصالح الإسرائيلية.. السلاح الذي استُخدم في حرب ١٩٦٧ كان سلاحًا فرنسيًا والقدرة النووية الإسرائيلية هي نتيجة تعاون وثيق بين تل أبيب وباريس، وألمانيا، وخلف كل هؤلاء تلعب دورها بريطانيا الخفي، وذلك دون الحديث عن دور الولايات المتحدة التي فرضت إرادتها على المنطقة العربية[٣].

وحتى رغم الانسحاب من سيناء فإن «تل أبيب» حققت من تلك الحرب جميع أهدافها: أنها دولة قادرة على أن تسحق خصومها، وتملك الحق في أن تقول كلمتها، ولتأكيد ذلك فتح الممرات المائية أمام تجارتها رغم السيادة المصرية!!

(١) وفاتَ الدكتور حامد ربيع ذكر الآفات الثقافية والأخلاقية التي كانت أحد أسباب هزيمة ٦٧، يقول الدكتور عبد الصبور شاهين: (.. فنحن في مواجهة خطر قادم رهيب لا يقاوم إلا بالوحدة القائمة على أساس المنهج الأخلاقي والفكر الديني، كما لن يغسل عار الهزيمة إلا بالسلاح، فكل فساد في الدولة أو المجتمع هو في التحليل النهائي فساد أخلاقي ينبغي مواجهته بطريقة جذرية تعالج المرض لا أعراضه..).

مقدمته لكتاب: (دستور الأخلاق في القرآن) للدكتور محمد عبد الله دراز ص ٣٣/ ٣٤ ط رؤية للنشر والتوزيع، دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن ٢٠١٧ القاهرة.

(٢) ومع الأسف الشديد، وبالرغم هذه النتائج المريرة، صوّرها الإعلام المصري بأنها نصر!!

(٣) وهي نفسها الدول المؤيدة لإسرائيل في غاراتها الوحشية على سكان غزة في حرب (طوفان الأقصى).

وفي حرب ١٩٧٣، وهو مهما قيل عن تغيّر في الجندي الإسرائيلي وتفسّخ في القيادة الإسرائيلية، فإنه في عام ١٩٨٢ قد حقق أهدافه في لبنان. هناك هزيمة ثابتة وفشل واضح من الجانب العربي في جميع مراحل الصدام. جولات ست أثبتت قدرة القيادة الإسرائيلية على التلاعب بالموقف وتحقيق الأهداف[1].

ويرى الدكتور حامد ربيع أنه حدث تطور في أهداف إسرائيل، وذلك عقب زيارة السادات للقدس في نوفمبر ١٩٧٧، وهو سعي إسرائيل إلى الهيمنة بغير معركة عسكرية. فهناك الحرب الاقتصادية أو الثقافية أو النفسية، وهي أيضًا من أجل الهيمنة!

هذا وفي تعليق الدكتور جمال عبد الهادي على تلك الفقرة قال: (وكل ذلك أشارت إليه البروتوكولات التي حدد فيها اليهود أهدافهم للهيمنة على العدو، ففي مجال التعليم مثلًا نرى البروتوكول رقم ١٣ يقول: (لقد خدعنا شباب الكفار، يعني غير اليهود، وأدرنا رأسه وأفسدناه بتلقيه المبادئ والنظريات التي يعرف أنها خاطئة، على الرغم من أننا الذين قمنا بتعليمها.. أو قد تحقق لهم ذلك، **وقد سلّمت مناصب الأستاذية في المعاهد والجامعات لأكثر العناصر عداء للإسلام، واستطاعوا تغذية الأجيال الناشئة بالنظريات والأفكار الاجتماعية والسياسية والفلسفية والنفسية الهدّامة.. وهذا نوع من أنواع الهيمنة!!)**[2].

ونظرًا لاهتمام الدكتور حامد ربيع بقضية الصراع العربي الإسرائيلي، فإنه عني بدراسة الانتفاضة الفلسطينية، بل كان يتوقعها فقال: (ونحن في دراسة لنا جماعية أجريناها لحساب المنظمة العربية للتربية والثقافة تنبأنا بها منذ عام ١٩٤٨. وقد كانت سببًا في أن المسئولين في تلك المنطقة تقاعسوا عن نشر هذه الدراسة، والسبب في ذلك حالة الاغتصاب المعنوي التي كان يعيشها المواطن العربي تحت الاحتلال الإسرائيلي، وعلم النفس يقرر بأن هناك حدودًا معينة للاغتصاب المعنوي أو تجاورها، فإن رد الفعل يصير غير محسوب!!

وقد تمثّل ذلك في أمرين: **أولًا**: السلوك العدواني في حرب سنة ١٩٦٧؛ **ثانيًا**: السلوك الاستفزازي في عدم احترام قرار التقسيم.

---

(١) حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية وإدارة الصراع العربي – الإسرائيلي)، إعداد د/ جمال عبد الهادي – صفحات ٤٧/ ٤٨/ ٨٨ باختصار شديد ط دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م.

(٢) نفسه ص ٥١.

ويقرر أن ظاهرة رفض أهل فلسطين لا تسمح بالقبول بأنصاف الحلول. إن معناها امتداد الحق الفلسطيني على الأرض المحتلة، **وهي كل أرض فلسطين.. الانتفاضة في الأمد البعيد لا تسمح بالخيار إما الكل أو استمرارية الصدام**[1].

حاشية:

يبدو أن آثار الهزيمة التي أصابت أمريكا في حربها مع الأفغان، وخروجها صاغرة مذلولة ومهانة بعد حرب طوال عشرين عامًا.. يبدو أن تلك الهزيمة ظلت حيّة في قلوب ساستها، بدليل الامتناع عن أمر إسرائيل بالكفّ عن غاراتها الوحشية على سكان غزة العزّل من الرجال والنساء والأطفال.. ولعل التفسير المعقول هو الانتقام لنفسها من إذلال طالبان لكبريائها وغطرستها.

وبالمقارنة كان الموقف على العكس في عام ١٩٨٢ أثناء حرب لبنان، فإن «ريجان» حينئذ في محادثة علنية مع «بيجن» أمره بالانسحاب من لبنان وإلا فسيجمّد شحنات طائرات إف ١٦ إلى إسرائيل، وفي غضون ٢٠ دقيقة أمر «بيجن» بانسحاب الجيش من لبنان!

وتقول الكاتبة الصحفية فايزة المصري: (وهكذا إذا أوقفت واشنطن شحنات الأسلحة لن تستطيع إسرائيل مواصلة المعركة.. أي أن أمريكا تؤيد الهدف الإسرائيلي وراء هذه الحرب، وهو هزيمة حماس بشكل حاسم، وكأن الولايات المتحدة تريد أن ترى إسرائيل تفعل بحماس ما لم تستطع هي أن تفعله **بحركة طالبان!)**[2].

وبعد عرضنا لآراء الشخصيات السالفة الذكر، وكانوا شهودًا على العصر، نرى من واجبنا أيضًا تسجيل واقعات أخرى وخبايا حول هزيمة ١٩٦٧ بصفة خاصة، وذلك بهدف تحصين الأجيال القادمة من تصديق المؤرخين الخاضعين لأغراض نفوسهم في سرد الأحداث؛ إذ كان ابن خلدون أول من نبّه إلى هذا المحظور[3] ولا نبالغ إن قلنا إن هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ كانت

---

(١) نفسه ص ١٣٨.

ويقول: (ورغم أن المدرسة التي تبنّت في الأوساط المصرية المسئولة، والتي قدم لها من قبل «الحبيب بورقيبة» والتي اكتملت مع السادات، فلم يتقبلها رجل الشارع الذي يرى العمل على تحجيم إسرائيل وإعادتها إلى حجمها الحقيقي مع إمكانية إنشاء دولة فلسطينية في الأرض المحتلة.

(٢) مقال بعنوان: (الحرب في غزة.. تهدئة أم حرب إقليمية؟) جريدة الأهرام بتاريخ ١٢/ ١/ ٢٠٢٤.

(٣) عدّد ابن خلدون عدة أسباب المقتضية للكذب في الأخبار.. (ومنها تقرب الناس في الأكثر لأصحاب التجلة والمراتب بالثناء والمدح وتحسين الأحوال وإشاعة الذكر بذلك)، مقدمة ابن خلدون جـ١ ص ٣٢٩ تحقيق د/ علي وافي، مكتبة النهضة – مصر سنة ٢٠٠٤م.

نكبة كبرى بكل المقاييس، بل تكاد تكون صورة مصغرة لهزيمتنا أمام المغول، ولكن ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ البقرة: ٢١٦. ولكن تهوينًا لشأنها، أشاع النظام حينذاك بواسطة صحافته وصف (النكسة)!! حيث جرت العادة بالتلاعب بالعقول، وفرض تصور الحاكم وحده على الشعب! وهو من سمات الحكم المطلق المستبد.

ولكنها في واقع الأمر قد أيقظت الغافلين، ونجم عنها تحولات محورية للأمة، وأظهرت على السطح خفايا أليمة للقيادات، فضلًا أن صارت درسًا بليغًا مؤثرًا، بالرغم من قسوته الشديدة!

وقد حرصنا في هذه الدراسة الاستناد إلى أشخاص معاصرين للأحداث وكانوا شهود عيان.

الثاني: لنغرس في نفوس شبابنا أن انتماءهم الأول للإسلام، ونبث فيهم روح الجهاد الذي -كان بعون الله أولًا- سببًا في انتصار «قطز» على إمبراطورية المغول، وبالمثل فإن الانتصار على اليهود بإذن الله قادم، بعد أن رفع شباب المقاومة بفلسطين راية الجهاد، وسبقهم أيضًا المجاهدون الأفغان فانتصروا على الأمريكان.. ذلك إذًا هو قدر الأمة الإسلامية، وعندما حادت عنه في كارثة سنة ١٩٦٧ وحاربت تحت راية القومية العربية هُزمت شر هزيمة، وانتصر جيش العدو على جيوش مصر وسوريا والأردن والعراق مجتمعة، بل احتل أجزاء كبرى من أراضيها!!

يقول عبد اللطيف البغدادي وهو أحد شهود العيان (٩ يونيو ١٩٦٧) اليوم التاريخي، في ذلك اليوم استيقظ الشعب على قرار موافقة مصر على إيقاف القتال.. **تبدل الأمل بدخول إسرائيل وسحقها إلى ألم من الهزيمة.. الإحساس بالعزة أصبح شعورًا بالمهانة.. الرجال يبكون كالأطفال في الشوارع، الكل لا يريد أن يصدق أننا هُزمنا.. إن قائد البلاد أدخل في قلب كل منهم اليقين بالنصر..** إن صوته في آخر مؤتمر صحفي وهو يسخر من إيدن ويقول: (أنا مش خرع زيه) لا يزال يدوّي في آذانهم.. إن صوته وهو يقول قبل النكسة بيوم إنه ينتظر المعركة على أحرَّ من الجمر لا يزال صداه في آذانهم.. ولماذا حدث؟ ولماذا الهزيمة؟)[1].

وهناك نموذج آخر أكثر تعبيرًا عن ديكتاتورية الرأي الواحد، وهو تحويل هزيمة عام ١٩٥٦ إلى احتفالات زائفة بالانتصار العسكري على فرنسا وإنجلترا وإسرائيل!! (إبراهيم سعدة: سنوات الهوان ص ١٤٥) المكتب المصري الحديث، مايو سنة ١٩٧٥م.

(١) سامي جوهر (الصامتون يتكلمون) ص ١٥٩ المكتب المصري الحديث، وهم ثلاثة: عبد اللطيف البغدادي وحسن إبراهيم وكمال الدين حسين (ص١٢٧)، ويقول مؤلف الكتاب: (وإذا كان الرئيس السادات قد فتح أبواب المعتقلات.. وأطلق الحريات للمسجونين، فهو إلى جانب ذلك فتح الباب ليخرج التاريخ الحقيقي للبلاد من زنزاناته التي ظل محبوسًا بداخلها ١٦ عامًا كاملة، من مارس ١٩٥٤ إلى سبتمبر سنة ١٩٧٠، ص٥. ويصف المؤلف هؤلاء الثلاثة بقوله: (إنهم لم

حاشية:

واتضح لمن يراجع تاريخنا الحديث وفق منهج التفسير والتاريخ من منظور إسلامي، اتضح أن هذه الهزيمة كانت انكماشًا للتيار العلماني الذي أدخله في عالمنا الإسلامي أتاتورك اليهودي (الدونمي) في تركيا عقب إسقاط الخلافة العثمانية عام ١٩٢٤، ثم سرى سريان النار في الهشيم في الدول العربية والإسلامية ومنها مصر.

هذا وقد قام الندوي بدراسة النص الرسمي بالميثاق الوطني بمصر الصادر في مايو سنة ١٩٦٢ دراسة فاحصة لبنوده، فاستنتج أنه (وُضع في قالب الفكرة المادية، فإذا سحبنا من نص الميثاق كلمة العرب ومصر ونسبناه إلى أي جمهورية علمانية اشتراكية في الشرق، لاتضحت الصبغة العلمانية للميثاق، مع الاعتراف بحرية العقيدة الدينية، وقد أشاد بتأثير القيم الروحية الخالدة النابعة من الأديان في تاريخ الإنسان والمدنية!!)[1].

فحرامه مصر إلى الآن من جعلها دولة كبرى، ولا شك أن ذلك لمصلحة إسرائيل.

ولكن هزيمة ١٩٦٧ -بخلاف المتوقع- بثت الروحانية من جديد، ولم يكن الاستعداد لمعركة العاشر من رمضان ١٣٩٣هـ - أكتوبر١٩٧٣ استعدادًا عسكريًّا فقط، ولكنه كان استعدادًا معنويًّا عن طريق جهد وعلماء الدين الإسلامي، وإشاعة بين الجنود صيحة (الله أكبر) التي زلزلت الأرض من تحت أقدام اليهود، وكان الشيخ حافظ سلامة رحمه الله تعالى قائد المقاومة الشعبية التي صنعت ملحمة السويس، فقد رفض الأهالي تسليم المدينة.. ونجحت

يتركوا فرصة للتعبير عن آرائهم إلا وانتهزوها، لم يتركوا محنة من المحن التي مرت بها البلاد إلا وسارعوا وكتبوا وقابلوا المسئول في ذلك الوقت.. وتعرض البعض للاعتقال، وتعرض أقارب البعض للتشريد وفرض الحراسة، ولم يمنعهم ذلك عن الكلام وإبداء الرأي)!! ص٧.

(١) أبو الحسن الندوي، الصراع بين الإسلامية والفكرة الغربية، ص ١١٥ البشير بالقاهرة سنة ١٩٩٧، وقد حذره من تداعياته وأنه نذير شر خطير وطليعة ردة فكرية وثقافية ودينية واجب التدارك؛ كي لا نجلب هزيمة بعد هزيمة، والإخفاق بعد الإخفاق، وقد أغفل الميثاق ذكر وحدة مصر والسودان، وهو ما تحطمت على صخرته مقاومات عديدة بين المصريين والإنجليز، ولكن جاء عبد الناصر فارتكب خطأ فادحًا لم ينسه له التاريخ وهو التنازل عن هذا الشرط في معاهدة الجلاء مع الإنجليز. انظر كتاب طارق البشري (شخصيات تاريخية) ص ١٤٧ وفيه يعرض شخصية مصطفى النحاس، كتاب الهلال ديسمبر سنة ١٩٩٦. مع العلم أنه منذ قام محمد علي بفتحه السودان بسط سلطان مصر إلى أعالي النيل بعد أن كانت عند (حلفا)، فأصبحت هذه البلاد من ذلك الحين جزءًا من مصر يحرص حكامها على حكمها وبسط سلطانهم عليها، وهذا أمر طبيعي يحتمه الوضع الجغرافي لمصر والسودان واتفاق مصالحهما واشتراكهما في نهر واحد هو النيل، ص ٢٠٣ كتاب الدكتور حسين مؤنس، مصدر سابق، وقبل ٢٣/ ٧/ ١٩٥٢ كان ملك مصر يطلق عليه ملك مصر والسودان.

المقاومة مع عناصر القوات المسلحة في صدِّ هجمات العدو الإسرائيلي وإفشال خططه، وكان مسجد الشهداء الذي أسسه الشيخ حافظ سلامة هو مركز المقاومة الحقيقية لملحمة السويس، وشهد بذلك الفريق سعد الدين الشاذلي بقوله: (هي ملحمة سوف يسجلها التاريخ كمثال رائع لمدى الترابط بين الشعب المصري وقواته المسلحة في الدفاع عن أرضه وشرفه العسكري)، وكان العلماء هم الذين يمنحون الشهداء الزاد الروحي لحب الشهاده في سبيل الله، وأن النصر للمسلمين هو التمسك بدينهم، وأنه مفتاح العزة لهم وللإسلام[1].

وكان ذلك هو الطابع العام لتاريخنا -كما يقرر الدكتور حسين مؤنس؛ إذ يقول: (وكان المسلمون قبل أن يتبينوا حقيقة الحضارة الغربية يعيشون في الإسلام، ويرون أنه السبيل الوحيد للعز والرفعة والعظمة.. فلم تكن المصائب تنزل بهم حتى جرى إلى أذهانهم أن السبب الوحيد هو التفريط في شعائر الإسلام والانصراف إلى الدنيا والاسترسال مع الشهوات، وهذا النمط من التفكير نجده في تركيا اليوم وفي مصر وجزيرة العرب وفي كل بلد اسلامي تنكسر جيوشه أمام أوروبا ويحس بخطرها)[2].

حاشية: قرار مجلس الأمن بمطالبة إسرائيل بالرجوع عن كل إجراءاتها (نظام مدينة القدس ٤ يوليو ١٩٦٩):

مجلس الأمن:

إن مجلس الأمن بعد الاطلاع على قراره رقم ٢٤٣ الصادر في ٢١ مايو عام ١٩٦٨ وعلى القرارين السابقين والصادرين عن الجمعية العامة رقم ٢٢٥٣ و٣٢٥٤ بتاريخ ٤ و١٤ يونيو عام ١٩٦٧ على التوالي المتعلقين بالإجراءات والأفعال من جانب إسرائيل والمؤثرة على الوضع القانوني لمدينة القدس، وبعد أن استمع إلى بيانات الأطراف المعنية في المسالة..

وإذ يلاحظ أنه منذ إصدار القرارات السابق ذكرها اتخذت إسرائيل إجراءات أخرى ترمي إلى تغيير الوضع القانوني لمدينة القدس..

---

(١) كتابه (ملحمة السويس في حرب العاشر من رمضان: حقائق ووثائق للعبرة والتاريخ)، تأليف الشيخ حافظ سلامة سنة ٢٠٠١م (عرض عاطف مظهر) مجلة المنار الجديد سنة ٢٠٠٢م ص ١٤٢.

(٢) د/ حسين مؤنس (الشرق الإسلامي في العصر الحديث) ص ٢٤٢ ط مكتبة الثقافة الدينية بالظاهر ١٤١٣- ١٩٩٢م.

وإذ يؤكد المبدأ الوطيد القائل بأن اكتساب الأراضي بالعنف العسكري أمر لا يمكن الاعتراف به:

١- يؤكد من جديد قراره رقم ٢٥٣ ١٩٦٨.

٢- يأسف لعدم إبداء إسرائيل أي اعتبار لقرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن السابق ذكرها.

٣- يستنكر بأشد العبارات كل الإجراءات المتخذة لتغيير الوضع القانوني لمدينة القدس.

٤- يؤكد أن كل الإجراءات والأفعال التشريعية والإدارية التي تتخذها إسرائيل والرامية إلى تغيير الوضع القانوني للقدس، بما في ذلك مصادرة الأرض والممتلكات، غير مشروعة ولا يمكن أن تغيّر ذلك الوضع.

٥- يدعو إسرائيل مرة أخرى على وجه السرعة إلى الرجوع عن كل ما اتخذته من إجراءات يكون من شأنها تغيير الوضع القانوني لمدينة القدس، وأن تمتنع في المستقبل عن كل الأعمال التي من شأنها أن تؤدي إلى مثل هذه النتيجة.

٦- يطالب إسرائيل بإبلاغ مجلس الأمن دون مزيد من الإبطاء بنواياها فيما يتعلق بتنفيذ نصوص هذا القرار.

٧-يقرر أنه في حالة ورود رد سلبي أو عدم الرد من جانب إسرائيل يعود مجلس الأمن للانعقاد دون إبطاء للنظر فيما ينبغي اتخاذه من إجراء في هذا الموضوع.

٨- يطلب من السكرتير العام تقديم تقرير إلى مجلس الأمن عن تنفيذ هذا القرار.

٩- يأسف لعدم امتثال إسرائيل لقراري الجمعية العامة المشار إليهما.

١٠- يعتبر أن الإجراءات والأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها إسرائيل ومن بينها نزع ملكية الأراضي والممتلكات التي تهدف إلى تغيير الوضع القانوني في القدس، هي إجراءات وأعمال باطلة ولا يمكن أن تغير هذا الوضع.

١١- يدعو إسرائيل إلى أن تلغي بصورة عاجلة جميع الإجراءات التي اتخذتها فعلًا، والامتناع عن اتخاذ أي إجراء يهدف إلى تغيير الوضع في القدس.

١٢- يطلب من السكرتير العام تقديم تقرير عاجل إلى مجلس الأمن عن الإجراءات التي اتُخذت في هذا الشأن.

حاشية ٢: حريق المسجد الأقصى:

لقد تحوّل الحرم الشريف إلى مكان يتجمع فيه أوباش الإسرائيليين وشذّاذ الآفاق الصهاينة بأحذيتهم وملابسهم الفاضحة وفي أوضاع تصلح للمراقص وليست لزيارة مكان مقدس يجلّه أبناء ديانة أخرى، بينما يتجمّع الجنود الإسرائيليون دائمًا للتضييق على المصلين والزوّار لإجبارهم على الرحيل من المدينة إذا أمكن ذلك.

ومنذ قام الاحتلال الصهيوني للقدس بدأت عمليات الهدم والتدمير للمباني العربية الأثرية، بزعم تجميل القدس وإظهار معالمها، والحقيقة أن معالمها التاريخية والدينية هي ما يهدمونه ويحرقونه بلا مراعاة لأي قيمة أو مبدأ من مبادئ احترام العقائد الدينية على مرّ العصور.

ولن ينسى العالم الإسلامي يوم الخميس (٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩) حيث دبّر الصهاينة المتعصبون أعداء الثقافة وأعداء الحرية الدينية وأعداء الإنسان -حريق المسجد الأقصى، ويومها صاح المسلمون في كل مكان غضبًا «الله أكبر»، لقد أحرق اليهود المسجد الأقصى، ولم تنجح مقاومة النيران يومها إلا بعد استدعاء رجال المطافئ العرب من رام الله والخليل والناصرة.. وقال موشى ديان وقتها إن النار اشتعلت بفعل حرارة الشمس وتأثيرها في الخشب الجاف - وهذا الخشب كان في مكانه منذ أكثر من ألف عام ولم يشتعل ولم يعرف الناس خشبًا تشعله الشمس.. وقال الصهاينة أيضًا إنه ماسٌ كهربائي أو شرارة من آلات اللحام المستخدمة بالقرب من المسجد.. ولكن تمثيلية الشاب روهان التي اضطر إليها فيما بعد تفضح أكاذيبهم الواحدة بعد الأخرى. فلقد ألصقوا به -وهو الأسترالي المهاجر إلى إسرائيل- تهمة إحراق المسجد الأقصى، ثم راحوا يحاولون دمغه بالجنون حتى تنتهي آثار أساليبهم الملتوية للجريمة الصهيونية بدون أي عقاب لأي مسئول عنها.

واندلعت المظاهرات في جميع أنحاء العالم الإسلامي في غضب شديد على إحراق الصهاينة للمسجد الذي يقدسه سبعمائة مليون مسلم ويعد واحدًا من أهم معالم التراث الروحي للبشرية.

فالقدس لها مكانة خاصة في قلوب المسلمين، **وحادثة الإسراء والمعراج أثبتت إسلامية بيت المقدس روحيًا وعقائديًا**، فارتباط المسلمين بالقدس ارتباط عقائدي، ولقد رفع الله منزلة هذه البقعة الطيبة مخاطبًا بيت المقدس بالحديث القدسي: «أنت جنتي وقدسي وصفوتي من بلادي، فمن سكنك فبرحمة مني، ومن خرج منك فبسخط مني عليه».

ولقد ربط الإسلام بيت المقدس بمكة المكرمة وبالمدينة المنورة؛ لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى)**.

فلا تنازل عن مدينة القدس؛ لأن أي تنازل عنها -لا سمح الله- يؤدي إلى التنازل عن مكة المكرمة والمدينة المنورة، ومن أراد ببيت المقدس سوءًا أهلكه الله.

***

الفصل الأول

الأوضاع السياسية في مصر قبل حرب سنة ١٩٤٨

شعب مصر والقضية الفلسطينية:

شكّلت القضية الفلسطينية منذ بدء ظهورها الأطماع الصهيونية في أرض فلسطين إلى العلن في أواخر القرن التاسع عشر، ثم في تصريح وعد بلفور بإقامة وطن قومي لليهود فيها -منطلقًا لمشاعر عربية قوية تبلورت في التضامن مع الشعب الفلسطيني في مواجهة هجمة عالمية انطلقت أول ما انطلقت من بريطانيا، التي كانت تترجم وعودها ودعمها للحركة الصهيونية مشاعر غربية عامة، وخصوصًا بعد الحرب العالمية الأولى، ثم بتجديد أكبر بعد الحرب العالمية الثانية في أربعينيات القرن الماضي[١].

وقبل الحرب النظامية عام ١٩٤٨، كانت بريطانيا مسئولة عن صدور القانون والنظام في فلسطين حتى ينتهي انتدابها في ١٥ مايو ١٩٤٨-ولكنها تخلّت لليهود عن بعض المدن والمرافق العامة والمواقع الإستراتيجية فيها، وذلك قبل الموعد المحدد لانتهاء الانتداب، حتى تمكّنها من تنفيذ التقسيم ومنعه في حكم الواقع. ووقتئذ اعترض الرأي العام المصري موجة عارمة تطالب بالاشتراك في حرب فلسطين.. وعقد الطلبة مؤتمرًا بحرم الجامعة يطالبون فيه باستقالة الحكومة واستنكار موقف الحكومة من قضية فلسطين، وهو ما أيده شباب الأحرار الدستوريين واللجنة التنفيذية لاتحاد المدارس الثانوية والاتحاد العام لطلاب المدارس الثانوية الفنية.

ولم يقتصر دور الطلبة على صيحات الاستنكار والاحتجاج، بل وجدت القوى الشعبية المتحفزة أن التوجه إلى فلسطين هو خير وسيلة للتنفيس عن عدائها لبريطانيا، ولربط الكفاح المصري بالكفاح العربي، ومن ثم تدفقت جموع المتطوعين من شباب الضباط الأحرار والإخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة والعمال والطلبة، وذلك قبل الحرب النظامية لتقاتل بفلسطين، وقد استشهد بعض الطلبة هناك، فقام طلبة الجامعة وكلية أصول الدين بتأبين هؤلاء الشهداء[٢].

---

(١) عمرو موسى (كتابيه: سنوات الجامعة العربية) ص ١٢٣ ط دار الشروق ٢٠٢٠م.

(٢) لواء أ. ح د/ إبراهيم شكيب (حرب فلسطين ١٩٤٨: رؤية مصرية) ص، ١١٤، ١١٥ باختصار الزهراء للإعلام العربي ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

واستمر الطلبة في المطالبة بإنقاذ فلسطين، ثم تعاظمت المظاهرات تنادي بالاشتراك في الحرب، وكان أشهرها تلك المظاهرة التي توقفت عند فندق الكونتيننتال في ميدان الأوبرا وخطب فيها اللواء صالح حرب باشا، وكان في يده اليمنى مصحف شريف وفي يده الأخرى مسدس، وكان مما قاله مخاطبًا الجماهير: «**يجب تنفيذ ما جاء في هذا المصحف الشريف، وذلك باستخدام السلاح للدفاع عن المسلمين في فلسطين**، وكان اللواء صالح حرب بهذا القول معبرًا أيضًا عن حديث الرسول صلى الله عليه وسلم: (**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**)، والقاعدة الشرعية تحتم أنه إذا ديس شبر أرض من أرض المسلمين فيصبح الجهاد فرض عين[1] (والحديث متفق عليه). وقال تعالى ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ۝ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ الحج:٣٩-٤٠.

وعندما أظهر اللواء صالح حرب المسدس أمام الجماهير ازداد حماسهم، وتوالت المظاهرات حتى أصبحت إجماعًا جماهيريًا على وجوب اشتراك مصر في حرب فلسطين. وفي هذا الصدد عُيّن المقدم أ ح أحمد عبد العزيز قائدًا عامًّا لقوات المتطوعين المصريين والليبيين لإنقاذ فلسطين، وقام بالسفر إلى العريش، ثم واصل تحركه إلى غزة، وراقب المستعمرات التي أسسها اليهود، ولاحظ أنها تحشد قواتها، وأنها تتفوق على القوى العربية قليلة العدد والتسليح ودفاعاتها ضعيفة.. وختم أحمد عبد العزيز تقريره بخطط مقترحة لإحباط خطط العدو (ص١١٩).

ويرجح اللواء إبراهيم شكري أن السياسيين المصريين وجدوا أن الحكومات العربية الأخرى قررت الاشتراك في هذه الحرب، فعملوا على توجيه الشعب نحو التحمس للاشتراك فيها. وكان القرار بادئ ذي بدء يدعو للاشتراك فيها عن طريق التطوع، فنشط قادة الألوية لتشجيع الضباط والصف والجنود على التطوع، مع التوضيح بأنه سيسمح لهم بأخذ الأسلحة والذخائر اللازمة معهم، ومنحهم مرتبات مضاعفة من جامعة الدول العربية، واستمر هذا النشاط حتى ١٤ مايو عام ١٩٤٨[2].

---

(١) نفسه ص ١١٦ مصدر سابق.

(٢) حمدي حنبلي (الإنسان العقائدي) ص ٢١٠ ط٢ مكتبة الأمل بالكويت ١٣٨٨هـ-١٩٦٩م.

مناصرة الشعب المصري للشعب الفلسطيني:

إن الباحث عندما يدرس هذه الفترة في تاريخ مصر يكتشف أن الشعب المصري اتخذ من قضية فلسطين موقفه من قضية تحرره من الاستعمار البريطاني حينذاك..

ففي صيف عام ١٩٤٧ كانت هناك انتفاضة شعبية ضد الحكومة المصرية وضد الاستعمار عند عرض القضية على مجلس الأمن. وكان من شأن فشل المجلس في مناصرة الشعب في قضيته الوطنية أن تزيد الأزمة القائمة وأن تتصاعد الحركة الشعبية وتزداد اشتعالًا. ولكن ما حدث في واقع الأمر أن **تحوّل الانتباه الشعبي فجأة وفي سرعة بالغة إلى ما يجري في الجمعية العامة للأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين، وما إن تصاعدت الأزمة الفلسطينية إلى هذا المدى في أواخر سنة ١٩٤٧** حتى اجتاح الجماهير سخط عارم، وبدأت الاضطرابات والمظاهرات تتجه نحو قضية فلسطين-وكان أولها إضراب دعا إليه الحزب الوطني ومصر الفتاة والإخوان المسلمون لمدة ساعة في ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٧ بمناسبة عرض الموضوع على الجمعية العامة- كما أعلنت في مصر حالة الطوارئ، وعقد اجتماع لهيئات الشباب طالب بجلاء الإنجليز عن فلسطين وإلغاء الانتداب وأن توجه الجهود العربية ضد الصهيونية، ثم ألفت هيئة وادي النيل العليا لإنقاذ فلسطين وتنظيم حملات التبرع وتدعو لإنشاء كتائب التحرير[١]. **ونحن نرى أن ذلك التحوّل الشعبي السريع يؤكد تغليب الأخوة الإسلامية على الوطنية الضيقة،** قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَأَنَا۠ رَبُّكُمۡ فَٱتَّقُونِ ۝٥٢﴾ المؤمنون: ٥٢.

ولكن الواقع أن جذور القضية الفلسطينية لها تاريخ أسبق من هذا، ففي حرب ١٩٢٩ جرت حوادث حائط المبكى، الحائط الغربي للمسجد الأقصى، وظن اليهود أنه آخر آثار هيكل سليمان (عليه السلام)، وهو مصعد البراق عند المسلمين، كان الصراع بين الحركة الوطنية العربية في فلسطين وبين الصهيونية والانتداب الإنجليزي والهجرة اليهودية المتزايدة، أراد اليهود امتلاك الحائط، ووضعوا الستار عليه، وصارت مظاهراتهم تهتف: «الحائط حائطنا»، وهبّ العرب يهتفون أن الوطن لهم والحائط للمسلمين، وأُشهر السلاح وسالت الدماء[٢].

ومنذ ذلك الحين استفز حادث البراق -ومحنة فلسطين عامة لدى الشعب المصري- جماع المشاعر الإسلامية.

---

(١) طارق البشري (الحركة السياسية في مصر ١٩٤٥) ص ٢٣٥/ ٢٣٦ ط٢ دار الشروق ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٢) نفسه ص ٢٣٧.

وكان موقع حزب الوفد على رأس الحركة الوطنية المصرية وجهاده ضد الاستعمار يزيد مع الوقت قربًا من حركات التحرر في البلاد المختلفة وفي العالم العربي خاصة. وكان بشعبيته سريع الاستجابة لمشاعر الجماهير العاطفية على قضية فلسطين والمستفزة من حادث البراق، وقد حضر الوفد المؤتمر الإسلامي العام الذي انعقد بالقدس سنة ١٩٣١. وكان من أهم القرارات التي اتُخذت: الدعوة إلى توحيد البلاد العربية، واستنكار تجزئة فلسطين، وتأسيس موقف عربي لمنع بيع الأراضي لليهود، وإنشاء جامعة عربية بالقدس. مع العلم بأن اللجنة التي كوّنتها عصبة الأمم عام ١٩٣٠ قررت أن المسلمين وحدهم هم الذين يملكون حائط المبكى، أي الجدار الغربي للمسجد الأقصى؛ لأنه يكون جزءًا لا ينفصل عن الحرم الشريف، وهو ملك للأوقاف «ويُنظر ملحق الكتاب»[1].

وعُرف أيضًا مصر الفتاة باتجاه عربي واضح منذ تكوينه في الثلاثينيات، وتضمن أول أعداد صحيفة الحزب بعد الحرب تأكيدها على إيمان الحزب بالعروبة، كما كان الإخوان المسلمون يؤيدون العروبة كرابطة حضارية وليست قومية، واعتبارها خطوة نحو الوحدة الإسلامية[2].

وخلال ذات الفترة أيضًا نشطت جمعية الشبان المسلمين لجمع التبرعات لعرب فلسطين من ضحايا الثورة، وإرسال برقيات الاحتجاج لعصبة الأمم والحكومة البريطانية، وعقدت في القاهرة سنة ١٩٣٠ مؤتمرًا لجمعياتها بمصر وفلسطين بحث في وسائل دعم التضامن الإسلامي ومناهضة الإرساليات النصرانية ومدارسها، وإنشاء بنك إسلامي وجمعيات تعاونية محلية تحفظ أرض فلسطين ولشعبها، وأوصت بإنشاء عصبة أمم إسلامية، وسافر إلى القدس كل من محمد علي علوبة وأحمد زكي شيخ العروبة وعبد الحميد سعيد للدفاع عن ملكية العرب لحائط البراق أمام اللجنة التي شكّلتها عصبة الأمم لتحقيق النزاع[3].

حاشية: التعريف باللواء صالح حرب، وهو صاحب الموقف الحماسي بشأن فلسطين ورفع المصحف الشريف والسيف؟

ولد في جزيرة الحربيات، إحدى قرى مدينة دراو بمحافظة أسوان عام ١٨٨٩. كان نائبًا برلمانيًا في الفترة من ١٩٢٦ حتى ١٩٣٠، ثم وكيلًا لمصلحة السجون بين عامي ١٩٣٠

---

(١) نفسه ص ٢٤١ باختصار.

(٢) نفسه ص ٢٥٦.

(٣) نفسه ص ٢٤٢/ ٢٤٣ (وينظر ملحق الكتاب الذي تضمن قرار اللجنة الثلاثية التي كوّنتها عصبة الأمم المتحدة في هذه القضية).

و١٩٣٩، ومديرًا لخفر السواحل في يناير ١٩٣٩ حتى أغسطس سنة ١٩٣٩، ووزيرًا للدفاع في وزارة علي ماهر الثانية عام ١٩٣٩ إلى ١٩٤٠، ثم رئيسًا للمركز العام لجمعيات الشبان المسلمين من عام ١٩٤٠ حتى عام ١٩٦٧.

عمرو موسى، (كتابيه: سنوات الجامعة العربية ص ١٢٤)، والواقعة ذكرها هيكل بكتابه: (العروش والجيوش: كذلك انفجر الصراع في فلسطين)، ولكنه مع الأسف الشديد حرّفها، فاستبدل بالمصحف الشريف -القلم!!

***

الفصل الثاني

الموقف السياسي والعسكري للعرب قبل حرب سنة ١٩٤٨

ليس من منهجنا الاستغراق في الواقعات التاريخية حول قضية فلسطين، فإنها مهمة المؤرخين. ولكن هذا لا يمنع من إعطاء القراء ملامح عامة وتصورًا مجملًا لأحوال الطرفين العرب واليهود قبل حرب مايو سنة ١٩٤٨؛ مما يساعد على معرفة أسباب الهزيمة.

ومصدرنا كتاب الأستاذ محمد حسين هيكل بعنوان: (العروش والجيوش: كذلك انفجر الصراع في فلسطين/ قراءة في يوميات الحرب)[١].

عن أصحاب العروش، **لم يلتقوا على رأي واحد أو قرار متفق عليه، يقول الأستاذ هيكل: (وهكذا ومن طرق متشعبة ومختلفة وصلت العروش بإجمالها وأثقالها وبأحلامها وخططها إلى فلسطين، وتواجد الكل هناك. وكل لأسبابه)**[٢].

أما الموقف من الحرب، فقد جاءت سنة ١٩٤٨ بعد أسابيع من قرار التقسيم، واحتمال الحرب في فلسطين غير وارد على بال أحد في القاهرة[٣].

ولكن اليهود في فلسطين قد أعدوا حكومة وقوة بوليس وجيشًا لكي يتمكنوا من تسليم السلطة فور انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وأما العرب فلم يستعدوا بشيء، وهم في فلسطين غير قادرين على حكم أنفسهم وليست لديهم الوسائل لإنشاء جيش يدافع عنهم[٤].

ولم يكن عبد الرحمن عزام يعرف شيئًا عن الحرب، ويقول الجنرال «جلوب»: **(ولقد أدهشني أن قرارًا اتخذ بدخول الجيوش دون أن يُعنى أحد بسؤال كل جيش عما لديه من قوات، وعن مدى استعداد القوات للقتال. إن هناك ١٠ آلاف جندي مصري، وهناك ٦ آلاف جندي من**

---

(١) وينقسم إلى قسمين: الأول عرض مسهب لموقف الملوك العرب ومؤتمراتهم وتقديم صورة عن القدرات العسكرية للجانبين (حتى ص ١٠٨)، والثاني (سجلات الحرب) في شكل (يوميات) حتى نهاية الكتاب، مع شهادات الحاج أمين الحسيني مفتي فلسطين، وعبد الرحمن عزام أول أمين لجامعة الدول العربية، واللواء محمد علي المواوي، القائد العام للقوات المصرية في فلسطين) حتى ص ٤٥٨ ط دار الشروق ديسمبر سنة ١٩٩٨م.

(٢) نفسه ص ٢٨

(٣) ص ٣٧

(٤) ص ٤١.

سوريا والعراق، و٤٥٠٠ من المتطوعين معظمهم من الليبيين الذين أشرف على تجنيدهم عزام شخصيًّا كأمين عام لجامعة الدول العربية -سوف يدخلون، وهكذا يكون المجموع ٢٠٥٠٠ جندي عربي، بينما لدى اليهود ٦٠ ألف يهودي.

كذلك صرّح الجنرال جلوب عقب مقابلته لعزام بقوله: (ومن أغرب ما سمعت في حياتي أن عرض علي عزام باشا أن أكون القائد العام لجيوش الدول العربية، ولما أظهرت له دهشتي أكد لي أن جميع الدول العربية موافقة أو سوف توافق على هذا القرار! وقلت إنني ما زلت أستغرب أن يتولى ضابط بريطاني قيادة الجيوش العربية في ظروف يمكن أن تؤدي إلى حرب!)[1].

ولكنّ القوات اليهودية المحتلة ذلك الوقت في قوة الهجاناه (جيش الدفاع)، فقد برزت كقوة عسكرية محترفة، تملك الوسائل والخبرات اللازمة للقتال. ثم إن قيادتها السياسية الممثلة في اللجنة التنفيذية للوكالة اليهودية ورئيسها في ذلك الوقت «ديفيد بن جوريون» قد أعطت لهذه القوات توجيهًا محددًا بالأهداف الإستراتيجية المرغوب في تحقيقها!)[2].

هذا، وقد صوّر الملك عبد الله الموقف بين الجانبين بقوله: (إن التقسيم قد تم فعلًا بحكم الواقع، ففي المناطق اليهودية توجد قوات يهودية مسلحة وهيئات بلدية تباشر فعلًا سلطات الحكم التام، وفي الجزء العربي يقوم حكم شبه عرفي تتولاه هيئات من المقاومة العربية الموجودة هناك، أما الإنجليز فسوف ينسحبون من فلسطين في الموعد الذي حددوه لذلك، وعندما سيكون اليهود أحرارًا في منطقتهم سوف تفد عليهم السفن ملأى بالمهاجرين وبالأسلحة المختلفة من بنادق ومدافع وقنابل.. إلخ، فمن الذي سيعترض طريق هذه السفن ويحول دون وصول هذه الإمدادات من الرجال والسلاح؟

والدول العربية لا تكاد تشعر بهذه الحقيقة المؤلمة، ولم تتخذ أية خطوات عملية فعالة لمواجهة الموقف في فلسطين على ضوء الحقائق الواقعة والتطورات السريعة التي تجري هناك[3].

---

(١) نفسه ص ٩٣.

(٢) نفسه ص ٥٨.

(٣) نفسه ص ٥٥.

وقرار تعيين جلوب قائدًا عامًّا لجيوش الدول العربية دليل قاطع على تخبّط تلك الدول وانقسام رؤسائها فيما بينهم، وفقدان التخطيط السياسي الإستراتيجي لأهداف جيوشهم (بعكس اليهود) من حرب سنة ١٩٤٨! وقد سبق وعلّقنا على خيانة جلوب ودوره الجاسوسي، ونضيف هنا قيامه بتزييف الفتوحات الإسلامية؛ مما أثار اللواء أركان حرب د/ محمد بهاء الدين حنفي إلى دراسة نقدية لكتابه. يقول الدكتور محمد عمارة: (وكما خدم جلوب الاستعمار الإنجليزي من موقعه

وبعدُ، فتلك أحوال الملوك والمسئولين العرب، بينما كانت الشعوب العربية، في أعقاب قرار التقسيم في نوفمبر سنة ١٩٤٧ وحتى أهلّت السنة الحاسمة التي ينتهي فيها الانتداب البريطاني - وهي سنة ١٩٤٨- ١٥ مايو بالتحديد- **كانت الشعوب على مستوى الشارع تموج بالحركات الشعبية تهدر منادية ومستصرخة لإنقاذ فلسطين.**

كذلك قام أهالي فلسطين بمقاومة نبيلة باسلة، وقد كان لهذه المقاومة الفضل -كل الفضل- في أنها لفتت الأنظار إلى أن العرب كانوا جادين عندما قالوا إنهم لا يوافقون على التقسيم، وقد بذلوا أرواحهم وحياتهم لمقاومة هذا الضغط الصهيوني، وكانت المقاومة مستمرة ناجحة ونبيلة، فقد كالوا للصهيونيين الصاع صاعين، ولفتوا أنظار العالم[1].

هذا وبعد عرض تلك الأحوال المنغّصة المتدهورة، نشارك جلوب باشا دهشته -لتعيينه - وهو الإنجليزي الجنسية- قائدًا عامًّا للجيوش العربية!!

وبقي من جانبنا إثبات أنه قام بدور الخيانة خير قيام، والدليل أنه خلال شهري مارس وأبريل عام ١٩٤٨ كان الجنرال جلوب يتابع معارك الطرق المؤدية إلى القدس بين قوات الهاجاناه وبين قوات جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي باشا وقوات الجهاد المقدس بقيادة عبد القادر الحسيني، وعندما استطاعت قوات الهاجاناه أن تهزم جيش القاوقجي وأن تحاصر جيش الإنقاذ وتقتل قائده عبد القادر الحسيني، فإن جلوب باشا لم يحرك ساكنًا وراح يتابع وقائع المعارك وهي تفتح طريق القدس أمام القوات اليهودية، وعندئذ بعث برسالة مباشرة منه إلى قياده الهاجاناه مؤداها: (إن جلوب على استعداد لتأخير تقدم قوات الفيلق العربي إلى القدس القديمة لإعطاء الهاجاناه فرصة لتثبيت سيطرتها على القدس الجديدة، وحتى إذا اضطر تحت الضغوط لإبداع نوع من المقاومة، يتعهد بأن تلك المقاومة سوف تكون نوعًا من التمويه وليس أكثر)!![2].

إنه بهذا التصرف الخائن يعبِّر عن تعاطفه مع بني جلدته من الإنجليز، وهم أصحاب وعد (بلفور)، وقد أسهموا في توطين اليهود بفلسطين قبل الولايات المتحدة، وكانوا على عهدهم

العسكري في الأردن والعراق -فلقد خدم التوجيهات الاستعمارية الغربية (وكان مقلدًا للمستشرقين أيضًا) بالكتب التي ألّفها ومنها (الفتوحات الغربية الكبرى) مقدمة كتاب لواء بهاء الدين (الفتوحات العربية في ميزان الإسلام والتاريخ) هدية مجلة الأزهر ربيع الآخر ١٤٣٥هـ.

(١) نفسه ص ٣١ وص٧٩.

(٢) نفسه ص ٤٥.

بمساعده اليهود إلى آخر وقت الانتداب، وقد سلّمت القوات الإنجليزية الجزء المقرر لليهود بمقتضى قرار التقسيم لقوات الهاجاناه مبكرًا، ومنها مناطق الجليل ابتداء من شهر مارس وأوائل أبريل، وأما فيما يتعلق بالجزء المخصص للعرب، فإن القوات الإنجليزية صممت على التمسك بالأمر والنهي حتى الدقيقة الأخيرة من سريان عهد الانتداب!! ، **وقامت ببيع المهمات التي لا لزوم لها لليهود فقط، وكانت تشمل أيضًا أسلحة وذخائر وجرارات وعربات نقل ومهمات متعددة الأغراض**[1].

حاشية:

يقول لواء أح متقاعد بهاء الدين حنفي:

- اختير (جلوب باشا) «١٨٩٧ - ١٩٨٦» في عام ١٩٣٩ رئيسا لأركان حرب «الفيلق العربي» الجيش العربي الأردني ليشرف على تدريبه.

- ومن موقع الجنرال جلوب في قياده الجيش الأردني، قام إبان حرب فلسطين ١٩٤٨ بتشتيت وحدة الجيوش العربية، الأمر الذي أدى إلى كارثة تسليم «اللد» «والرملة» إلى العصابات الصهيونية!! وأقرّ بذلك عن خيانته العظمى!!

- ظل جلوب في موقعه بالجيش الأردني إلى ما بعد العدوان الثلاثي على مصر في أواخر ١٩٥٦، عندما اضطره الملك حسين (١٩٣٥ - ١٩٩٩) ملك الأردن إلى الاستغناء عن خدماته في ١٩٥٧، تحت ضغط الحركة الوطنية العربية.

- **وكما خدم جلوب الاستعمار الإنجليزي من موقعه العسكري في الأردن والعراق، فلقد خدم التوجهات الاستعمارية الغربية بكتبه الستة التي ألّفها!**

- وللجنرال جلوب موقف واضح وصريح يعلن فيه أن موقف الغرب -السياسي والديني- من الشرق الإسلامي ومشكلة هذا الغرب مع هذا الشرق -التي سميت **«مشكلة الشرق الأوسط»- إنما تعود جذورها إلى ظهور الإسلام، وليس كما يحسب البعض إلى قيام الكيان الصهيوني ١٩٤٨ أو «وعد بلفور»** سنة ١٩١٧ أو اتفاقية «سايكس- بيكو» ١٩١٦م، ولا حتى المسألة الشرقية عن العلاقات الأوروبية العثمانية، ويقول في كلماته التي توقظ النيام وتنبه الغافلين: (**إن تاريخ مشكلة الشرق الأوسط إنما يعود إلى القرن السابع الميلادي!**)[2].

---

(١) نفسه ص ٦١.

(٢) كتابه (الفتوحات العربية الكبرى في ميزان الإسلام والتاريخ: دراسة نقدية لآراء الجنرال جلوب) تقديم: د/ محمد عمارة - هدية مجلة الأزهر ربيع الآخر سنة ١٤٣٥هـ.

أي العداء السافر للرسول صلى الله عليه وسلم.

والواقع الذي لا يتداخله شك أن ذلك السلوك الشاذ يدل على أن الملك عبد الله لم يلقِ بالًا لنهي الله عز وجل عن تولي اليهود والنصارى بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ ۘ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٥١ وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ ۙ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ ۚ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَأَصْبَحُواْ خَٰسِرِينَ ۝٥٣ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ ۚ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ۝٥٢﴾ المائدة: ٥١، ٥٢.

وفي التفسير، يقول الإمام السعدي:

(يُرشد تعالى عباده المؤمنين، حين بيّن لهم أحوال اليهود والنصارى، وصفاتهم غير الحسنة، أن لا يتخذوهم أولياء، فإن بعضهم أولياء بعض، يتناصرون فيما بينهم، ويكونون يدًا على من سواهم، فأنتم لا تتخذوهم أولياء فإنهم هم الأعداء على الحقيقة، ولا يبالون بضركم، بل لا يدخرون من مجهودهم شيئًا على إضلالكم، فلا يتولّاهم إلا من هو مثلهم؛ ولهذا فإنه قال: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾؛ لأن التولي التام يوجب الانتقال إلى دينهم، والتولي القليل يدعو إلى الكثير، ثم يتدرج شيئًا فشيئًا حتى يكون العبد منهم)[1].

حاشية: ويمكن تعليل هذا الموقف الشاذ لصدقي باشا أنه كان بحكم ثقافته ونشأته يجهل انتماء الشعب المصري للإسلام وغيرته على دينه، تلك التي حفّزته للثورة على الاحتلال الفرنسي والحملة الصليبية بقيادة نابليون وطردوه شر طردة!

بينما كان الزعيم مصطفى كامل مدركًا لتلك السمة الغالبة، فشجعته للدعوة إلى اتحاد المسلمين تحت راية الإسلام، وكان يرى أن المسلمين أَوْلى بالاتحاد من المسيحيين الذين يتحدون سويًّا، فبالرغم من اختلاف مصالح الدول الأوروبية وتباين منافعها فإنها تنسى كل شقاق وكل افتراق وتتحد فيما بينها، فلماذا لا نتحد معاشر المسلمين؟! ويرى أن الواجب الديني يحتّم على

هذا، ولجلوب كتب أخرى، وهي: (الإمبراطورية العربية) و(جندت مع العرب) و(بريطانيا والعرب) و(الحرب في الصحراء) و(قصة الفيلق العربي) وقد علّق الدكتور/ عمارة على كتاب جلوب: (الفتوحات العربية الكبرى) بقول: لقد قام بحشر حجم ضخم من أفكار وآراء المستشرقين بين فقرات كتابه حتى أصبحت تمثل امتدادًا للاستشراق أكثر منها تأريخًا لعسكري محترف!! نفسه ص ٢٠.

(١) عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٢١٤ ط. مكتبة الصفا بميدان الأزهر ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

المسلمين أن يرجعوا إلى مبادئ الإسلام؛ لأنه جعل المسلمين أخوة بالرغم من اختلاف البلاد، وإذا أضفنا إلى الرابطة الدينية اتحاد المصالح السياسية واضطهاد أوروبا لنا ظهر ضرورة اجتماع كلمة المسلمين، وعرف الناس جميعًا لماذا ننادي بالاتحاد الاسلامي ويقول: **(ألسنا أشد من الأوروبيين حاجة إلى هذا الاجتماع وهذا الاتفاق)؟!** (معتز زاهر، ما أخفاه العلمانيون من تاريخ مصر الحديث) ص ٢٨٥ باختصار دار القمري سنة ٢٠١٤.

ما قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٨:

نشر الأستاذ هيكل الوثائق السرية في الصفحات التالية بكتابه، وهي تصف بجلاء الأحوال السياسية والعسكرية للجانبين العربي والإسرائيلي:

قال الأستاذ هيكل:

(كان ضغط الشعوب العربية على حكوماتها هائلًا، وقد بدا مما توقعه الأمين العام لجامعة الدول العربية «عبد الرحمن عزام باشا» على وشك أن يتحقق، ومؤداه أن «اليهود» سوف يضعون العرب والعالم أمام أمر واقع فيقيمون دولتهم في الأراضي المخصصة لهم بقرار التقسيم، ثم لا يتوقفون هناك.

كانت الوكالة اليهودية قد تحوّلت بالفعل إلى حكومة، وكان لهذه الوكالة جيش متمثل في قوات «الهاجاناه» (قوات الدفاع) ، وكان جيشها أكبر من كل توقعات العرب، وحتى خيالاتهم، ثم إن هذا الجيش قادر على الإمساك فورًا بالمناطق المخصصة للدولة اليهودية، **وهو بعدها جاهز للوصول إلى أرض الدولة العربية في فلسطين!!**

وفي مقابل ذلك، فإن شعب فلسطين مكشوف ينتظر المدد العربي، وقد وصلت إلى أرضه بالفعل مجموعات من قوات المتطوعين العرب: من سوريا والعراق في الشمال، ومن مصر في الجنوب، على الخط ما بين العوجة إلى بئر سبع وإلى بيت لحم، ولكن قوات المتطوعين -على بسالتها وخصوصًا القوات المصرية بقيادة الأميرالاي «أحمد عبد العزيز»- لم تكن في وضع يسمح لها بالوقوف أمام قوات الهاجاناه التي كانت على وشك أن تتحول إلى **«جيش الدفاع الإسرائيلي»**[1].

---

(١) المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل ص ٢٤٨.

ولم يكن أمام الدول العربية خيار سوى أن تتقدم نحو ساحات فلسطين بخطى متثاقلة، وكان الواضح أن الدول العربية كلها تقصر عملياتها على الأجزاء العربية من فلسطين، ولكي تؤمّنها وتحميها من إغارة القوات اليهودية عليها، وكان معنى ذلك واقعيًا -وإن لم يكن قانونيًا- أن الدول العربية اعترفت بقرار التقسيم وقررت العمل في حدوده[1].

كانت الدول العربية قد أنشأت قيادة عليا لجيوشها تنسق إستراتيجية عملها في فلسطين، وقد **رُئي أن يتولى الملك «عبد الله» ملك الأردن هذه القيادة العليا بنفسه، وكانت لذلك أسباب عملية أهمها ما يلي:**

١ - أن الأردن هو أقرب البلدان العربية إلى قلب فلسطين، وبالتالي فإن قواته قادرة على الوصول بسهولة إلى المناطق الحيوية في العمق الفلسطيني.

٢ - أن الملك «عبد الله» كان لديه واحد من أقوي الجيوش العربية المجهزة لنوع ما من القتال، فالفيلق العربي الذي أنشاه الإنجليز وتولوا كل المراكز الحسّاسة في قياداته، ووضعوا على رأسه قائده الشهير «جلوب» باشا، كان على مستوى عسكري يفضل حال بقية الجيوش العربية.

٣ - وساعد على هذا الوضع حقيقة أن مصر لم تكن حتى وقت متأخر قد حسمت رأيها على دخول الحرب، وبالتالي فإن جيشها، على فرض أنه كان مستعدًا، كانت بينه وبين ميادين القتال مسافات واسعة.

٤ - وربما أضيف إلى كل هذه الأسباب أن معظم الدول العربية كانت تشك في نوايا الملك «عبد الله»، وتتصور أن هدفه هو ضم فلسطين العربية إلى مملكته، وكان الظن أن تولي الملك لقيادة الجيوش العربية سوف يكبح جماح طموحه الشخصي بثقة عربية ظاهرة وصلت إلى حد اختياره قائدًا أعلى لكل الجيوش العربية.

وكانت تحت القيادة العليا التي يتولاها الملك قيادة عامة للجيوش العربية، وأسندت إلى اللواء العراقي «إسماعيل صفوت باشا»، وقد وضعت هذه القيادة خططًا طموحة على الورق، لكن الذين وضعوها كانوا يعرفون مسبقًا أنها مستحيلة التحقيق، فالقائد العام «صفوت» باشا

(١) يقول الأستاذ محمد علي علوبة: (ما قام في الأذهان من أن الدول العربية كانت في ثبات عميق، ولم تكن مستعدة لخوض غمار هذه الحرب والدفاع عن فلسطين) ص ١٤٣ كتابه: (فلسطين والضمير الإنساني) كتاب الهلال، شوال ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

لن تكون له في حقيقة الأمر أي سلطة على بقية الجيوش العربية؛ لأن هذه الجيوش سوف تكون باستمرار في يد حكوماتها التي كانت لكل منها حسابات خاصة[1] تختلف أكثر مما تتفق، وكان «إسماعيل صفوت» باشا ضابطًا لم يعش تجربة ميادين القتال، وقد ترقى إلى رتبته الرفيعة -كما هو الحال في معظم الجيوش العربية وقتها- بحكم الأقدمية وبتقدير أنه ضابط مأمون لا يتجاوز تفكيره حدود خرائطه.

والواقع أن «إسماعيل صفوت» باشا خسر قيادته قبل أن يمارسها، فقد حدث قبل أسبوع من بدء القتال أنه خرج من الفندق الذي يقيم فيه في القاهرة، وهو فندق «شبرد» القديم، ليتريض قبل أن يحضر اجتماع للجنة العسكرية لجامعة الدول العربية، وبجوار سور الأزبكية شاهد اللواء «صفوت» باشا مجموعة صغيرة من المارة يلتفون حول رجل يلعب معهم لعبة الثلاث ورقات، ووقف القائد العام للجيوش العربية يشاهد ما يجري، ويبدو أن اللعبة أثارته فشارك فيها، وفي عشر دقائق كان اللواء «صفوت» باشا قد خسر كل ما معه من نقود، وكان مبلغ ٢٨٦ جنيهًا، ولم يكتف «صفوت» باشا بخسارة أمواله، وإنما دخل في مشادة مع لاعب الثلاث ورقات وصلت إلى قسم بوليس الأزبكية، وتعطل القائد العام للجيوش العربية عن حضور اجتماع اللجنة العسكرية، **وحين وصل إليها متأخرًا كانت تفاصيل حادثة النصب التي وقع ضحيتها قد سبقته إلى هناك، وكانت دليل شؤم مبكر.**

ومن مجمل الأوضاع وحقائقها أن الملك «عبد الله» مارس دور القائد الأعلى دون أن يكون بجانبه قائد عام ميداني ينسّق العمليات بين الجبهات العربية المشتركة. وفي واقع الأمر فإن هذه المهمة انتهت بطريقة عملية إلى يد الجنرال «جلوب» باشا وإلى رئيس أركان حربه البريجادير «برود هيرست». **وكان مزعجًا أن تكون مقاليد العمل العربي العسكري في هذه اللحظات الحاسمة في يد مجموعة من الضباط الإنجليز.**

---

(١) نفس المصدر.

حاشية: تعليقًا على اختيار الملك عبد الله قائدًا أعلى للجيوش العربية، قال الأستاذ محمد علي علوبة: (واعتقادي أن هذا الاختيار كان أكبر نكبة على فلسطين، وكان خطأ جسيمًا لا يُغتفر وقعت فيه الحكومات العربية.. لا لأن الملك عبد الله أساء إلى الوكالة التي أُعطيت له، وإنما لأن الأردن كان محتلًا بالإنجليز، وكان قائد الجيش منهم «جلوب» الإنجليزي.. وما كان في مُكنة الملك عبد الله أن يعارض تصرفات هذا القائد وإنجلترا تحتل بلاده وتساعدها ماديًّا لتحتفظ بكيانها الاقتصادي.. وكل هذه الظروف كانت تحتم على الدول العربية ألا تجعل القيادة العليا للإنجليز باسم الأردن، وهي تعلم ما ينجم من مآسٍ وأضرار بإعطاء الإنجليز قيادة جيوش تحارب اليهود التي تحتضنهم هي وتدافع عنهم.. إن هذا هو أفظع ما يكون في تصرفات السياسة العربية في ذلك الحين)، كتابه: (فلسطين والضمير الإنساني) ص ١٤٤ مصدر سابق.

ويوم الأربعاء ١٢ مايو ١٩٤٨ كان «النقراشي» باشا يقف أمام جلسة سرية لمجلس النواب المصري مكاشفًا أعضاء المجلس بقرار من الحكومة بالاشتراك في معارك فلسطين. كان رئيس الوزراء المصري قد غيّر موقفه في دورة كاملة عن موقفه الأصلي، ففي البداية كان مترددًا لأسباب لديه معقولة (سبقت الإشارة إليها في سياق برقية من السفير الأمريكي في القاهرة إلى وزير خارجيته)، وبعدها بأيام -يوم ١٢ مايو- كان «النقراشي» باشا قد انقلب من معارض لاشتراك الجيش المصري في معارك فلسطين إلى مؤيد له. ومن الإنصاف للرجل أنه فعل ذلك دون أن تكون لديه فكرة واضحة عن القوة العسكرية للدولة اليهودية، وإلى جانب ذلك فإن الملك فاروق كان يمارس عليه ضغطًا شديدًا[1] كي لا تتخلف مصر عن بقية الدول العربية، وتفقد مكانتها في العالم العربي وخصوصًا مشرقه).

حاشية:

ونحن نعلّل تردد النقراشي بسبب هجره للقرآن الكريم وبخاصة الآيات ذات الصلة كقوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ الحج: ٣٩، و﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ﴾ الحج: ٤٠.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَـٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَـٰرِكُمْ وَظَـٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ الممتحنة: ٩.

فضلًا عن نسيانه التام لصلة الأخوة الإيمانية التي تربط بين الشعبين المصري والفلسطيني.

هذا بينما كان الوعي الإسلامي حاضرًا لدى محمد علي علوبة (زميل مصطفى كامل)، وكان من أقواله: (وليعلم كل إنسان منا أن كل كارثة تصيب إحدى الأمم الشرقية تصيبنا جميعًا، وأن ما يصيب فلسطين من استعمار الصهيونية لهو ظلم صارخ وكارثة كبيرة ينال شرورها مصر وسائر البلاد المحيطة بهذا البلد المنكود الحظ) ص ٣٠ من كتابه: «فلسطين والضمير الإنساني» دار **الهلال مارس ١٩٦٤م.**

وثيقة خاصة بموقف أمريكا وموقف ملك الأردن عبد الله:

في نفس اليوم -١٢ مايو ١٩٤٨- كان هناك اجتماع في البيت الأبيض برئاسة «هاري ترومان» رئيس الولايات المتحدة نفسه. وقد حضره مع الرئيس كل من وزير الخارجية (آتشيسون)

(١) نفس المصدر ص ٢٥٠.

ومساعد الوزير (لوفيت) و«كلارك كليفورد» و«ديفيد نايلز» و«ماثيو كونيللي» من مستشاري الرئيس في البيت الأبيض واثنان من خبراء وزارة الخارجية هما «فريزر ويلكنز» و«روبرت ماكلينتوك»..

وطبقًا للوثيقة رقم ١٢٤٨ -٥ ب ب فلسطين ٥٠١، فإن وقائع هذه الجلسة جرت على النحو التالي:

«بدأ الرئيس فقال إنه دعا إلى هذا الاجتماع لأنه أصبح شديد القلق على ما يمكن أن يحدث في فلسطين يوم ١٥ مايو. وبدا المستر لوفيت يقدم عرضًا واقعيًّا للحوادث، ثم ركّز كلامه على وقائع يوم السبت (٨ مايو) حين جاء المستر موشي شيرتوك مندوب الوكالة اليهودية. ففي ذلك اليوم (٨ مايو) جاء شرتوك ومعه الدكتور إيبشتين بمعلومات مهمة عرضها على الوزير. قال المستر شيرتوك: «إن وزير المستعمرات البريطانية السير آرثر كريتتش جونز أخبره رسميًّا بأن الملك عبد الله ملك الأردن سوف يدخل بجيشه يوم ١٥ مايو إلى الأجزاء العربية المخصصة للعرب في فلسطين. وفي رأي وزير المواصلات البريطاني أن هذا التعهد من الملك عبد الله يمكن الاطمئنان إليه بواقع أن الجيش الأردني يقوده ضباط بريطانيون وتموّله الحكومة البريطانية. **أضاف شيرتوك إلى ذلك أن رسالة وصلته من الوكالة اليهودية في فلسطين أخطرته أن الكلونيل جولدي من هيئة أركان حرب الفيلق العربي الأردني اتصل بالوكالة اليهودية ناقلًا رسالة مؤداها أن صفقة يمكن ترتيبها بين عبد الله والوكالة، وأن الملك سوف يدخل الأجزاء العربية من فلسطين تاركًا لليهود ملكية الباقي من هذا البلد[1].**

وثيقة عن الرؤى الإستراتيجية «ديفيد بن جوريون»:

من الوثائق السرية التي نشرها الأستاذ محمد حسنين هيكل وثيقة بهذا العنوان ونصها كما يلي:

قال: في الوقت الذي كانت فيه الجيوش العربية تتواجد في ميادين القتال المختلفة دون هدف إستراتيجي واضح، كتب «بن جوريون» في دفتر يومياته نص التوجيه الذي أصدره إلى هيئة أركان الحرب في الجيش الإسرائيلي، وكان النص كما يلي:

لا بد من سحق قوات لبنان وسوريا وشرق الأردن كذلك، وعلينا أن نصمد في النقب، وخطتنا العامة لهذا الأسبوع هي: أولًا- تحرير القدس والمنطقة المحيطة بها. ولتحقيق ذلك ينبغي حشد قوات إضافية وأسلحة ثقيلة؛ لأنه من المنطقي أن نتصور أن العرب (يقصد الفيلق

---

(١) نفس المصدر ص ٢٥١.

العربي) سوف يبعثون على عجل بتعزيزات للقدس. إن المعركة من أجل القدس حيوية من الناحية المعنوية والسياسية وإلى حد ما من الناحية العسكرية، ومع وصول المدافع (شحنات مدافع جديدة) لا بد من تدمير الرملة واللد، ونستعد لتوجيه ضربة إلى جنين، ومن ثم التقدم نحو وادي الأردن.

(البريجادير) كليف لا بد أن يحصل على كل التعزيزات اللازمة له حتى يدخل إلى جنوب لبنان، ولا بد من مساعدة قواته بغارات جوية على صور وصيدا وبيروت، ولا بد من ضرب بيروت من البحر أيضًا)(١).

وكان بن جوريون هو الذي وقف وراء إنشاء جيش إسرائيل في صورته الحالية؛ حيث بدأ في أكتوبر سنة ١٩٤٧ -أي قبل قرار التقسيم بشهر- في تكوين وتنظيم جيش مسلح قوي عن طريق دمج المنظمات والعصابات العسكرية التي كانت تعمل على أرض فلسطين قبل إقامة الدولة العبرية، وتخضع قوات الجيش البرية والبحرية والجوية لقيادة عامة واحدة.. وقد عملت الحكومات الإسرائيلية جاهدة في تطوير قواتها المسلحة وتزويدها بأحدث الأسلحة وطرق التدريب، ووضع نظام صارم للاحتياطي بسبب الافتقار إلى القوة البشرية الكافية لتكوين جيش نظامي دائم.. ويستقطع الجيش الإسرائيلي قرابة ربع إجمالي الموازنة العامة للدولة.. ومن هنا يمكن القول إن المؤسسة العسكرية في إسرائيل تمثل قوة ضغط تؤثر على أسلوب صناعة القرار السياسي.. وكان الجنرالات الذين قادوا العصابات من قبل أصبحوا منخرطين في السياسة أمثال: موشي ديان، إسحاق رابين، عيزر وايزمان، حييم بارليف، أرئيل شارون، ديفيد أليعازر، شيمون بيريز، وكثيرًا ما كان يُطلب منهم التخلي عن الدور السياسي والعودة إلى الجيش لممارسة دور عسكري ما(٢).

لقد تلقت أمتنا الإسلامية طعنة غادرة من الإنجليز، وما زلنا نعاني منها حتى عصرنا الحاضر، فقد تمثلت في حرب فلسطين عام ١٩٤٨، وكان الإنجليز هم الذين مكّنوا اليهود من دخول فلسطين، وأنشأوا لهم المستعمرات المحصّنة، وأمدوهم بالسلاح، ثم هم الذين ضغطوا على صنعائهم في بعض الحكومات العربية، فأرغموا مصر على قبول الهدنة عندما كان الجيش

---

(١) كتابه (العروش والجيوش) ص ١٣٥.

(٢) ضياء الجابري (إسرائيل من الداخل) ص ٢٥/ ٢٦ باختصار - مكتبة ابن سينا بالقاهرة ١٩٩٢م.

المصري على وشك القضاء على دولتهم التي تبنّوها.. فصارت مصر ألعوبة في يد الإنجليز وصنعائهم من رجال السياسة في بعض الحكومات العربية[1].

وكانت القيادة القديمة بالجيش قد تربت في أحضان الاستعمار، ونشأوا في ظل الاحتلال، وعملوا مع الإنجليز، فخضعوا لهم وباعوا كرامة وطنهم لحسابهم..[2].

تعليل الدكتور محمد حسين لأسباب هزائم الجيوش العربية في عام ١٩٤٨:

لا مجال لهذا البحث المختصر الإفاضة في عرض حرب عام ١٩٤٨، ولكن نتحدث فقط في فقرات موجزة عن أبرز وقائعها[3].

يذكر الدكتور محمد حسين هيكل أن أنباء القتال كما تصفها البلاغات الرسمية مطمئنة إلى حد يشعر معه من يقرؤها أو يسمعها أن الدول العربية توشك بالفعل أن تدخل تل أبيب. من أجل هذا لم يتحمس الرأي العام لفكرة وقف القتال أو إعلان الهدنة، بل كان الناس جميعًا، على اختلاف طبقاتهم، يميلون إلى مواصلة القتال حتى ينهزم اليهود وتدخل الجيوش العربية بالفعل عاصمة إسرائيل.

ولكن قبلت الدول العربية المجتمعة بعمان قبول الهدنة لمدة ثلاثة أسابيع، بدءًا من صباح يوم الجمعة ١١ يونيو سنة ١٩٤٨، ثم بعدها استأنف القتال وتدخل **الكونت برنادوت**[4] وسيط الأمم المتحدة ووضع مشروعًا مبدئيًا للصلح، وعرض مد الهدنة ثلاثة أيام، ولكن الدول العربية رفضت هذا العرض وأصدرت الأوامر إلى جيوشها بالعودة إلى القتال.

ولكن ظهرت بوادر الخيانة؛ إذ إن جناح الجيش الأردني المتصل بالجيش المصري والمرابط في بلدتي اللد والرملة، قد تخلى عنهما، فاستولى عليهما اليهود!! وبدأ الناس يسمعون بعد ذلك عن تخلي بعض الجيوش العربية عن البعض الآخر، وعن تجسس بعض العرب الفلسطينيين لحساب اليهود؛ لذا بدأ التفاؤل الأولي يزوي شيئًا فشيئًا، وكانت الجيوش المصرية قد بدأت تنسحب من

---

(١) د/ محمد عمارة (العلمانية ونهضتنا الحديثة) ص ١٦٢ ط دار الشروق ١٤٠٥هـ - ١٩٨٦م.

(٢) نفسه ص ١٤٢، وكان من كبار الضباط السيد طه الذي كان يرقص في السفارة البريطانية والإنجليز ينعمون بقناة السويس، والرحماني الذي هرب وترك بطاقة شخصيته فطبع منها اليهود منشورًا ألقوه على الجنود، ص ١٤٣.

(٣) ومصدرنا كتاب الدكتور محمد حسين هيكل (من ص ٤٨ إلى ص ٥٥) باختصار شديد.

(٤) واغتاله اليهود هو ومساعده الفرنسي بيرو (د/ مصطفى محمود، إسرائيل: البداية والنهاية) ص ١٤ ط٤ –كتاب أخبار اليوم سنة ١٩٩٧م.

مواقع احتلتها، وفي مقدمتها بئر سبع، وقد حوصرت قوات مصرية في الفالوجا، وقد قيل إن الجيوش اليهودية تتقدم إلى الحدود المصرية!

وعندما أغضب (برنادوت) اليهود لأن نصيبهم في التقسيم لم يعجبهم، اغتالوه[1] ولم يهتموا بالآثار الناجمة عن اغتياله؛ إذ أثار هذا الحادث الوحشي ثائرة العالم كله، فلم يعرف في التاريخ أن الرسل تُقتل!

ويعلّق الدكتور هيكل بعد سرده للأحداث فيقول: (لقد ضعف تضامن الجيوش العربية ضعفًا ظاهرًا منذ انسحب جيش الأردن أو -الجيش العربي- على ما كان يسميه الملك عبد الله من اللد والرملة، وقد نشرت الأنباء منذ بدأت مفاوضات الهدنة بواسطة وسيط الأمم المتحدة الذي حلّ محل الكونت برنادوت السويدي، المستر رالف يانسن الأمريكي، وأن هناك اتصالات مباشرة بين إسرائيل وشرق الأردن، وأن العراق فوّض شرق الأردن في التحدث باسمه. وقد انسحبت قوات لبنان بعد قليل من بدء الحرب ووقفت عند حدود بلادها، واستطاعت إسرائيل واستطاعت السياسة الدولية أن تفرق بين الدول العربية، وأن تصل بين كل واحدة منها وبين إسرائيل لعقد صلح منفرد!)[2].

حاشية: وكانت الأنباء تواترت أن الملك عبد الله ذهب إلى «العقبة» في شهر فبراير سنة ١٩٥٠ واجتمع هناك ببن جوريون رئيس وزراء إسرائيل، على ظهر مدمرة إنجليزية اسمها «ماك فاي»، وأنهما وقعا معاهدة صلح بالأحرف الأولى من اسميهما.. فكانت الجامعة العربية قد قررت فصل أية حكومة عربية تعقد صلحًا منفردًا مع إسرائيل -محمد علوبة (فلسطين والضمير الإنساني) ص ١٥٠.

ومما كشف عنه الدكتور هيكل الستار هي الملابسات المتصلة بقرار الحكومة المصرية دخول القوات المصرية إلى فلسطين.. وكان رئيسها حينذاك النقراشي باشا.

وعندما انعقدت جلسة سرية لمجلس الشيوخ رأى الأعضاء بالإجماع الموافقة على قرار مجلس الوزراء، ولكن اعترض إسماعيل صدقي باشا على القرار بمفرده، وكانت حجته أنه يعلم -وقد كان رئيس وزارة إلى أواخر سنة ١٩٤٦- أن الجيش المصري تنقصه أسلحة كثيرة وينقصه العتاد

---

(١) وهذه طبيعة الغدر عند الصهاينة حتى مع حلفائهم، وقتلهم الكونت برنادوت سكرتير الأمم المتحدة بعد التقرير الذي قدمه في ١٦/ ٩/ ١٩٤٨ عن جرائمهم في فلسطين المحتلة، د/ مصطفى محمود (إسرائيل: البداية والنهاية) ص ١٤.

(٢) د/ محمد حسين هيكل (مذكرات في السياسة المصرية) ج٣ ص ٥٥ دار المعارف سنة ١٩٩٠م.

اللازم والكثير من الأسلحة إذا خاض الحرب، وكان يخشى فضلًا عن ذلك أن تعتبر الأمم المتحدة دخول الجيوش العربية فلسطين تحديًا لقرار التقسيم، فتفرض على الأمم العربية، ومنها مصر عقوبات لا طاقة لها بها، أو تمدّ اليهود بالأسلحة والعتاد وتمنعها من مصر والأمم العربية، فتدور الدائرة عليها، وأن مصر لا مصلحة لها على أية حال في خوض معركة لا شأن لها بها ولا ناقة لها فيها ولا جمل) [1].

هذا، وقد حرصنا على تدوين موقف الدكتور هيكل في قضية فلسطين؛ لأنه كان محيطًا بها بصورة تامة؛ إذ كان ممثلًا لمصر في اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة، وزودته وزارة الخارجية بوثائق خاصة بالقضية، وعاصر تصريح ترومان عن تقسيم فلسطين، وعلم بالرعاية التي قام بها اليهود بأمريكا باعتبارهم أصحاب الصحف الكبرى ومحطات الإذاعة ودور السينما، وهم أصحاب نفوذ ضخم في الانتخابات الرئاسية الجمهورية الأمريكية، معللًا انحياز ترومان لليهود في قرار تقسيم فلسطين سعيًا لكسب أصواتهم [2].

أما موقف صدقي باشا فقد كان شاذًا ومخالفًا للرأي العام الذي أجمع على أن قضية فلسطين قضية إسلامية؛ لأن مصير بيت المقدس والأرض المقدسة مرتبط بمصير الإسلام ووحدة دوله.. ولأن العدوان الصهيوني على فلسطين عدوان على العالم الإسلامي باعتبار أن فلسطين هي الخط الأمامي له، وتشتمل على قبلة المسلمين الأولى وعلى مسرى ومعراج الرسول صلى الله عليه وسلم، وأن اقتطاع فلسطين من الجسم الإسلامي نذير خطر محدق بالأقطار الإسلامية [3].

وكان صدقي باشا قد ألّف حزبًا سمّاه (حزب الشعب) كهيئة سياسية يخوض بها الانتخابات طبقًا للدستور.

ويرى الدكتور هيكل أن هذا الحزب لا يجتمع حول برنامج سياسي ولا يقيد نفسه أمام الأمة بخطة أو بغاية معينة، ويعلل ذلك بأن الحزب اقترح إنشاءه الإنجليز ليخدموا به التجربة التي رأوا في ذلك الظرف إجراءها!!

(١) نفسه ص ١٤٣.

(٢) نفسه ص ٢٨.

(٣) محمد دياب (الإسلام والمواجهة الشاملة) ص ٧٠ ط المجلس الأعلى للشئون الإسلامية العدد ١٤٩ سنة ١٣٩٣هـ سبتمبر سنة ١٩٧٣م.

كما أنشأ صدقي بجانب حزب الشعب جريدة الشعب أيضًا، (كان رأي هيكل أن الحزب والجريدة من صنع الحكومة!)[1].

***

(١) د/ عبد العزيز شرف (محمد حسين هيكل في ذكراه) ص ١٤١ سلسلة (اقرأ) دار المعارف سنة ١٩٨٦م.

الفصل الرابع

الهزيمة الكارثة عام ٦٧ (أو: النّكبة العظيمة)[١]

إن قوام هذا الفصل هو إظهار الحقيقة، من خلال الشهود الحقيقيين لهذه الحرب، الضباط الذين حاربوا فعلًا وواجهوا المأساة وجهًا لوجه.

لقد كشفوا الحقائق التي تعمد الإعلام الكاذب اختلاقها، والمثال على ذلك هو قصة الحفل ليلة حرب ٥ يونيو، هذا الحفل الذي قيل وروّج عنه الإعلام وادّعى أنه من أسباب الهزيمة؛ لأن طياري مصر قضوا الليلة في أحضان الراقصات وهم سكارى!! وقد ثبت بالتحقيقات الرسمية أنه لم يكن هناك حفل من هذا النوع أصلًا، والقصة كلها تم اختراعها لصرف النظر عن توريط مصر في حرب لم يكن جيشها جاهزًا لها، وكان مرهقًا بسبب حرب اليمن لمدة خمس سنوات، حارب فيها الجيش المصري دفاعًا عن الثورة اليمنية، لقد كانت لتلك الحرب نتائج خطيرة على قدرات الجيش المصري كله، والأهم أنها حرمته من مهمته الرئيسة.. وليس أكذوبة الحفل الساهر[٢].

ويقول أحد الضباط منذ حرب اليمن: (كنت أشعر أنهم يشترون الولاء بالنفوذ والامتيازات، شعرنا بذلك في حرب اليمن، كانت القيادة السياسية والعسكرية تريد جيلًا من العسكريين ينتمي لهم شخصيًّا وليس للوطن؛ لهذا نجحوا في شراء الولاء من أجل الأشخاص ومن أجل النظام، وكان ذلك على حساب ولاء الجيش للوطن، وهذا ما كشفته حرب ٦٧؛ لهذا خرج الجيش بعد حرب ٦٧ يرفض هذه الرشوة ومستعدًّا للتضحية من أجل بلده، وكانت التضحيات كبيرة في حرب الاستنزاف وحرب أكتوبر نموذجًا، كذلك ضباط كثيرون سُجنوا بعد حرب ٦٧.. لأنهم بدأوا يكتشفون الحقيقة)[٣].

---

(١) حاشية: وصف الإمام أبو الحسن الندوي تلك الهزيمة بأنها النكبة العظيمة، التي انتكس لها رأس كل عربي ومسلم في الشرق والغرب، والتصق بالعرب كلهم العار الذي لا يغسله إلا انتصار أعظم من هذا الانحدار، وكرّة تتغلب على هذه المعرّة وتنسيها!! كتابه: (الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية) ص ١١٨ ط دار البشير بالقاهرة سنة ١٩٩٧م.

(٢) هيئة تحرير مجلة (المنار الجديد): دراسة بعنوان: «ضباط النكبة يروون شهاداتهم للتاريخ: هزيمة يونيو.. شهادات حية) ص ١٢٥ العدد رقم ٤٤ خريف ٢٠٠٨م ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.

(٣) نفسه ص ١٣٨.

ويقول أحدهم: شاهدت بروفة لهزيمة يونيو ٦٧، لقد شاهدت نموذجًا للهزيمة عام ١٩٦٣ في اليمن، شاهدت قواتنا تدخل للعمليات الحربية بالدبابات والعربات كأنها في طابور استعراض في القاهرة.

لا توجد عمليات استطلاع.. ولا قوات للحماية. ولا تغطية جوية (بالضبط كما حدث في تحرك سيناء)، وكان هناك أفراد قلائل من اليمنيين، ولكن يتمكنون من إيقاف تقدم وحدة بأكملها بما فيها من أسلحة وعتاد وأن يحدثوا فينا خسائر كبيرة.

باختصار: لم نواجه في اليمن قوات مدربة ولكن واجهنا أفرادًا قلائل مدربين تدريبًا عاليًا، وعندهم سرعة حركة ودقة في التنشين وخبرة بطبيعة الأرض ممتازة، في مواجهة جيش معنوياته منخفضة وقياداته متخبطة.

(أريد أن أقول، إن مشاعر ٦٧ عشتها عقب تأثير هذا الحدث والانهيار المعنوي لأفراد الكتيبة بعد أن تركوا أسلحتهم الخفيفة والثقيلة، كان معهم صواريخ ومدفعية وهاونات، وكانت صدمة لهم، وصدمة لنا.. وصدمة لي شخصيًّا، لقد سقط الوهم بأننا قوة لا تُهزم، وبدأت الأمور تنكشف بالتدريج)[١].

وفي سياق وصف حرب اليمن أيضًا، قيل لنا في هذا الوقت إن حرب اليمن هي بروفة لتحرير فلسطين، وأنا كمقاتل عاش هذه الأحداث أقول: العكس تمامًا.. كان مستوى التدريب منخفضًا والقيادات فاشلة.. وحدث انهيار كبير في كفاءة الوحدات التي حاربت في اليمن[٢].

ويقول أيضًا: وعندما انتقل إلى وصف أجواء حرب ٦٧ بدا بعدة تساؤلات، منها: هل علم أحد في مصر أو العالم العربي والإسلامي كيف تمت الضربة الجوية الإسرائيلية وكيف واجهها الطيارون المصريون؟

وهل علم أحد في مصر والعالم العربي والإسلامي أنه كانت هناك قوة صاعقة مصرية داخل إسرائيل لتدمير القواعد الجوية الإسرائيلية، ولكن بعد الضربة الإسرائيلية صباح ٥ يونيو صدرت الأوامر لهذه القوة بالعودة.

وأخيرًا لماذا لم يعلم أحد بمعركة اللواء ١٤ مدرع بقيادة اللواء عبد المنعم واصل، أعظم قادة المدرعات في مصر، وكيف هزم القدرة المدرعة الإسرائيلية ليحسم المعركة لصالحها؟

---

(١) مجلة المنار الجديد ص ١٣٥.

(٢) نفسه ص ١٣٦.

ثم فسر أخيرًا العلة في إخفاء تلك الحقائق، ونسبها إلى من يعمل لمصلحة إسرائيل، مع التوجيه الخاطئ للإعلام إلى الطريق الخاطئ؛ لصرف الأنظار عن المسئول الحقيقي الذي ورّط وطنه في حرب لم يكن جيشه جاهزًا لها، مع اتخاذه زمام المبادرة بعد إغلاق مضايق تيران أمام الملاحة الإسرائيلية، على الرغم من أنه هو نفسه الذي أعطاهم هذا الحق من قبل سرًا في عام ١٩٥٦!!!(١)

وهناك وقائع أخرى -من أهمها أن الجيش فوجئ بأوامر التحرك -في ظرف ٢٤ ساعة- كان ذلك في مايو ٦٧، وتم حشد القوات بطريقة ارتجالية وسريعة.. ولم تكن القوات على استعداد للتحرك، ورغم ذلك تحركت في شبه مهرجان دون أي إحساس لتحرك عسكري سليم إلى الجبهة ويقول: (إن عملية الشحن المعنوي والإعلامي غطت تمامًا على الحقيقة، وعاش أفراد الجيش وهمًا كبيرًا -وهم بعيدون عن الواقع والحقيقة- حتى أعلى المستويات القيادية، والكل تصور أن الحرب مضمونة.. وقد أثّر على الجيش عدم وضوح القرار العسكري: هل نحن في حالة هجوم أم دفاع؟ وهذا ما أثّر على قرارات قيادة الفرقة. لم يكن هناك هدف واضح؛ لهذا كانت مواقعنا كلها مواقع مؤقتة)!!

وظللنا ننتظر أوامر التحرك.. وفي اليوم التالي (٦ يونيو) فوجئنا باللواء الثاني المدرع يعود.. وقرب مغرب يوم ٦ يونيو اجتمع بنا القائد اللواء وقال: إن هناك أوامر بالانسحاب إلى القناة، كان الكلام مفاجأة تامة.. فقد كنا ننتظر الهجوم لدرجة أن الضباط قبل أن يذهبوا للقاء القائد شحنوا جنودهم شحنة معنوية هائلة استعدادًا للهجوم.. في الحقيقة كانت صدمة مروعة.. **وكان الأصعب هو كيف أنقل هذا الكلام إلى جنودي؟ وكيف أواجههم وهم مستعدون للهجوم؟**(٢).

المهم بدأنا التحرك والجنود لا يعلمون إلى أين نحن ذاهبون، وظللنا نتحرك معظم ساعات الليل، وفجأة نظر سائق العربة إلى الأمام فشاهد القناة فوجدته يصرخ: إحنا انسحبنا.. إحنا انسحبنا؟ يبكي في ذهول وهلع.. **لقد ظن الجندي أنه اقترب من العدو وأنه يهجم عليه، ولكنه فوجئ بالقناة، وأنه كان ينسحب.**

---

(١) نفسه ص ٣٤/ ٣٥ باختصار.

(٢) مجلة المنار الجديدة ص ١٣٦.

حدث انهيار كامل للضباط والجنود، ولم أكن أتخيل أبدًا حتى هذه اللحظة **أنها هزيمة شاملة للجيش، كنت أعتقد أننا سنذهب إلى موقع آخر للقيام بمهمة أخرى.. المهم تفرّقت القوات ونزل بعضها إلى القاهرة...**[1].

وصلت ضمن وحدتي إلى معسكر الهاكستب، وبعد ساعات قليلة من وصولي وجدت أوامر جديدة بالتحرك والعودة مرة أخرى إلى سيناء... لأن قوات الفرقة المدرعة سوف تقوم بهجوم مضاد لاحتلال المضايق. كيف نعود مرة أخرى دون غطاء جوي وبعد هذا الانهيار التام؟ كيف ننسحب من مواقعنا ثم نعود مرة أخرى؟

سمعنا أن هناك غطاء جويًا من الجزائر.. حيث وصلت طائرات جزائرية للاشتراك في الهجوم المضاد. نفذت الأوامر وعدت بوحدتي مرة أخرى إلى القناة، وعبرت القناة مرة أخرى إلى سيناء، واتجهت إلى الطريق المؤدي إلى المضايق، سرت في وضح النهار، **كان المشهد مروعًا.. حطام الجيش على الرمال.. دبابات محترقة.. سيارات مدمرة.. جثث متفحمة، شكلها أخذ شكل التماثيل بعد أن احترقت.. كانت الغارات الجوية ما زالت مستمرة**، وفوجئت بسيارة جيب من سيارات القادة تعترضني، وكان بها كبار الضباط.. وطلبوا مني العودة مرة أخرى.. ولكنني أصررت على التقدم بناء على التعليمات التي صدرت إلي.. ولكنهم قالوا: (إن كل شيء قد انتهى.. وسمعت بعض كلمات التشجيع منهم.. وأخبروني أنه لا توجد أي قوات لنا بالداخل.. كنت أظن أن قوات اللواء السادس قد سبقتنا إلى المضايق، ولكنني اكتشفت من كلام كبار الضباط أنني الوحيد الذي تقدم وكل الجيش انسحب.. عدت مرة أخرى.

لقد أصيب رجال القوات المسلحة بحالة من الألم الشديد.. وانهارت المعنويات.. وفقدنا الثقة بالنفس.. وشعرنا بالعار.. وتعرضنا جميعًا للسخرية والاستهزاء والنكت.. كل هذه الأشياء دمرت معنويات القوات المسلحة[2].

---

(١) ذكر الدكتور فهمي الشناوي أنه من جرّاء تلك الهزيمة، ففي يوم ٩ يونيو كانت مصر قد فقدت ١٥ ألف قتيل، (وكان عشرات الألوف مذعورين على رمال الصحراء، حفاة أقدامهم، تحتها الرمال المحرقة، وفوقهم الطيران الأسود يقذف النابالم..)، مقال بعنوان: (هذا الرجل هو الذي أسقط القدس) ص ٤٤ مجلة المختار الإسلامي، ١٥ شعبان سنة ١٤٢١هـ - ١١ نوفمبر سنة ٢٠٠٠م.

(٢) نفسه ص ١٣٨ باختصار شديد

فقرات مختارة من وثائق أمريكية عن أسرار هزيمة ١٩٦٧:

نشر الأستاذ توحيد مجدي مستندات ووثائق كانت محفوظة في أرشيف الإدارة الأمريكية (**السري للغاية**)، سنعرض لبعضٍ منها؛ حيث نشرها في كتاب بعنوان: (أسرار السادات -من واقع ملفات «منتهى السرية» في المخابرات المركزية الأمريكية)- أي المتصلة فقط بهزيمة سنة ١٩٦٧.

وكان أهمها: ملف تقرير سوفيتي (سري للغاية) حصلت عليه وكالة المخابرات المركزية الأمريكية، أرسله نيكسون إلى السادات في أول مايو سنة ١٩٧١ الذي كشف له سر المعلومات السوفيتية المزورة التي سلمت لعبد الناصر **وتسببت في هزيمة سنة ١٩٦٧**[١].

وفي الزيارة التي قام بها السادات في نهاية صيف ١٩٧١ لنيكسون على هامش زيارته لأوروبا، استخدم نيكسون في الحوار بينهما الطريقة الأكيدة للتقرب من السادات، وكان قد بدأ حواره قائلًا: (سأبدأ معك من ذكريات جسيمة غير سعيدة وقعت لبلدك مصر بلا داع)[٢].

ثم بدأ يحكي له بالتفصيل ستة أخطاء سياسية خطيرة معروفة في علوم إستراتيجيات المواجهات العسكرية، عرّضت مصر للضربة الإجهاضية التي بدأت بها إسرائيل هجوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وهي:

أولًا: في ١٦ مايو سنة ١٩٦٧ بثت إذاعة صوت العرب من القاهرة تصريحًا لعبد الناصر رحّب فيه بالحرب التي أكد أنها ستدمر إسرائيل، وكانت الجملة الأخيرة من أخطر الجمل التي تستخدم في إستراتيجيات الحروب.

ثانيًا: في ١٨ مايو سنة ١٩٦٧ طلب من القوات الدولية إخلاء شبه جزيرة سيناء وقطاع غزة، فنفذ السكرتير العام للأمم المتحدة يومها -يوثانت- الطلب دون تمريره على الهيئة الدولية.

---

(١) توحيد مجدي(أسرار السادات-من واقع ملفات-منتهى السرية. في المخابرات المركزية الأمريكية. ص ٨١ ط قطاع الثقافة -أخبار اليوم سنة ٢٠١٢م

(٢) نفسه ص ١٥٦.

وعن تعليل الهزيمة قال الفريق أول فوزي إن القوة القتالية للجيش المصري يوم ٥ يونيو لم تكن تتعدى ٣٠٪ ولم يكن هناك نظام للاحتياط، ثم أردف قائلًا: ومن سوء حظنا أننا خسرنا في حرب يونيو نحو (١٣ ألف عربة عادية ونصف جنزير)، كما تسببت الهزيمة في خسائر للاقتصاد القومي (وردت التفاصيل ضمن مذكرة وكيل وزارة المالية من صفحة رقم ٣٢٨ إلى رقم ٣٣١ من كتاب محمد الطويل= محمد الطويل (لعبة الأمم وعبد الناصر) ص ٣٢٥ ط المكتب المصري الحديث سنة ١٩٨٦م.

ثالثًا: في ٢٠ مايو سنة ١٩٦٧ أمر بنقل ٩٠ ألف جندي مصري إلى داخل سيناء مع ٩٠٠ دبابة مصرية.

رابعًا: في ٢٣ مايو سنة ١٩٦٧ أعلن عن غلق مضايق التيران التي تسيطر عليها مصر في وجه السفن الإسرائيلية في البحر الأحمر.

خامسًا: في ٢٧ مايو سنة ١٩٦٧ أعلن في إذاعة صوت العرب والتلفزيون المصري أن الحرب مع إسرائيل ستكون شاملة، وهدفها هو تدمير إسرائيل، وكان هذا التصريح الثاني الذي شمل جمله (تدمير)[١].

سادسًا: في ٣٠ مايو سنة ١٩٦٧ وقع مع الملك الحسين بن طلال ملك الأردن اتفاقية الدفاع المشترك، وضعت القوات الأردنية من صباح ذلك اليوم تحت قيادة رئيس الأركان المصري.

ثم فاجأ نيكسون السادات بأسرار أخرى حجبها عنه عبد الناصر، عن قصة بدأت منذ عام ١٩٥٤؛ إذ كان بينه وبين إسرائيل محادثات غير مباشرة أشرفت عليها الولايات المتحدة في سرية تامة قبل فتره نيكسون!!

وعندما استأذن السادات الرئيس الأمريكي إذا كان لديه أي مستند عن تلك المفاوضات، فقدم له نيكسون الوثائق المؤيدة لكلامه... ثم أكد نيكسون أيضًا أن الرئيس جونسون الذي تولى الرئاسة الأمريكية من ٢٢ نوفمبر سنة ١٩٦٣ وحتى يناير سنة ١٩٦٩ كان على علم بتلك المفاوضات السرية!![٢].

حاشية: يكتنف هذه الوثيقة الكثير من الغموض.. وإذا رجعنا إلى مصادر أخرى ربما تلقي مزيدًا من الضوء عليها؛ حيث علّق الأستاذ محمد الطويل على إجابة عبد الناصر عن سؤال لوكالة (يونايتد برس) لمخاوف إسرائيل وتهديدها، فقال: (إن أطماعنا تنصرف إلى الدفاع وليس العدوان.. ومن أعظم ما نهتم به من أهداف إقرار السلام وتوفير الرخاء في المنطقة، ومن الجلي أن العرب سيواصلون دعم مشروعاتهم الدفاعية بغض النظر عن إسرائيل)[٣]، وفي الفصل الثاني عشر من الكتاب (هزيمة يونيو والطريق إلى السلام) يقول محمد الطويل (إن الهدف الرئيس غير المعلن

---

(١) نفسه ص١٥٦/ ١٥٧ باختصار.

(٢) نفسه ص ١٥٨ باختصار.. وهناك مفاوضات أخرى في يناير عام ١٩٥٥ بشأن جواسيس فضيحة لافون الشهيرة أمام سينما (ريو) بالإسكندرية استبعدناها. ص ١٦٠/ ١٦١.

(٣) محمد الطويل (لعبة الأمم وعبد الناصر) ص ٢٦٥ المكتب المصري الحديث ١٩٨٦م.

لسياسة ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ -كما تبين من خلال هذه الدراسة- هو اتفاق صلح وسلام مع إسرائيل)!![١].

حاشية: تدعيم الولايات المتحدة الدائم لإسرائيل:

هذا ولم تكن مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل أمرًا طارئًا بمناسبة حرب (طوفان الأقصى)، بل هو ما دأبت عليه الولايات المتحدة منذ مولد إسرائيل عام ١٩٤٨.

يقول الفريق سعد الشاذلي رحمه الله تعالى: (فمن المعروف أنها تساعد وتدعم إسرائيل سياسيًا واقتصاديًا وعسكريًا، فهي تقوم بإمداد إسرائيل بجميع الأسلحة المتطورة بحيث تضمن لها باستمرار التفوق على عدة دول عربية وليست بالنسبة لدولة عربية واحدة. وبحيث يكون لها التفوق النوعي بصفة خاصة في القوات الجوية، وفي مجال الحرب الإلكترونية. وفي المجال الاقتصادي تقوم أمريكا بإمداد إسرائيل سنويًا بمعونات مالية قيمتها ٣ ملايين دولار، وفي هذا العام رفعتها إلى ٤٠٠٠ مليون دولار؛ من أجل مساعدتها في توطين اليهود السوفييت الذين هاجروا إليها، وفي المجال السياسي تقوم أمريكا بتأييد إسرائيل في المحافل الدولية، وتستخدم حق الفيتو لكي تجهض أي مشروع قرار يتبناه مجلس الأمن الدولي يدين إسرائيل)[٢].

ويرى الفريق الشاذلي أن الحرب العالمية الأولى وما تبعها من احتلال بريطاني وفرنسي للدول العربية لا توصف على أنها حرب صليبية، فهذه الحروب كانت حربًا إمبريالية اشترك فيها دول صليبية ضد دول صليبية، **وذلك بعكس هذه الحرب الصليبية الثامنة التي تتعرض لها اليوم، فهناك إجماع بين الدول المسيحية لا يقابله للأسف الشديد إجماع إسلامي**![٣].

---

(١) ص ٣٥٦ (ويُنظر الفصل العاشر من الكتاب بعنوان -أسرار الاتصالات السرية الإسرائيلية لعبد الناصر حتى وفاته.. من ص ٢٣٤ إلى ص ٢٦٨.

(٢) الفريق سعد الدين الشاذلي (الحرب الصليبية الثامنة -العدوان على العراق، جـ١ ص ٣٠٠/ ٣٠١ ط٢ الدار البيضاء ١٩٩١م.

أما دور أمريكا في مساعدة إسرائيل في حرب (طوفان الأقصى) في ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣ فقد كان موضع استهجان؛ حيث تضاعفت المعونات، يقول الأستاذ فاروق جويدة: (كان للدور الأمريكي هزيمة حقيقية، فقد وقفت أمريكا تتلقى اللعنات من شعبها أمام الملايين الذين خرجوا في كل الولايات يلعنون إسرائيل ووحشية حكامها.. وقد دفعت أمريكا ١٤ مليار دولار دعمًا للحرب على غزة!!). مقال بعنوان «طوفان الأقصى».. تكتب تاريخًا جديدًا- الأهرام في ١٠/ ١١/ ٢٠٢٣م.

(٣) نفس المصدر ص ٥٣

ويقول الفريق سعد الدين الشاذلي أيضًا: (يجب أن نعرف أين تقع مشكلتنا من الخريطة الإستراتيجية العالمية، وبداية المعرفة يجب أن نعرف من هو العدو؟ وما هي أهدافه؟ لأننا إذا لم نعرف العدو بدقة ونعرف أهدافه بالتفصيل، فإننا سنكون كمن يسبح في البحر بغير بوصلة لا يعلم في أي اتجاه يسبح. وإذا سألنا أنفسنا: من هو العدو؟ سنقول: إسرائيل. فهناك اتفاق كامل على أن إسرائيل هي العدو الأول للعرب وللمسلمين.. وكل الشواهد تؤكد ذلك، فقد أخرجتنا إسرائيل من ديارنا، وحاليًا أكثر من مليون فلسطيني يعيشون في الشتات. وفي كل يوم تغير إسرائيل على أبنائنا، سواء في الأرض المحتلة أم في لبنان.. ومن وقت لآخر تقوم بعمليات إغارة بعيدة المدى، كما قامت بتدمير المفاعل النووي العراقي في يونيو سنة ١٩٨١، وكما قامت بالإغارة على قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في تونس في أكتوبر سنة ١٩٨٥.

هي في الحقيقة تذكرنا باستمرار.. **تذكّر من يريد أن ينسى بأن إسرائيل هي العدو الرئيس للعرب وللمسلمين.**

نأتي بعد ذلك إلى أمريكا. ما من شك في أن أمريكا هي عدو رئيس لنا، وإن كان هناك خلاف حول تقييم هذا العدو، فيرى البعض أنها العدو الأول قبل إسرائيل، ويرى البعض الآخر أنها في نفس مستوى إسرائيل، بينما يرى البعض أن تكون هي العدو رقم ٢ بعد إسرائيل، ولكن أي محلل سياسي وإستراتيجي لا بد أن يضع أمريكا في عداد الأعداء الدينيين للعرب والمسلمين، فمن المعروف أنها تساعد وتدعم إسرائيل سياسيًا وعسكريًا واقتصاديًا. فهي تقوم بإمداد إسرائيل بجميع الأسلحة المتطورة، بحيث تضمن باستمرار التفوق على عدة دول عربية وليس بالنسبة لدولة عربية واحدة، وبحيث يكون لها التفوق النوعي بصفة خاصة في القوات الجوية، وفي مجال الحرب الإلكترونية.. وفي المجال السياسي استخدمت حق الفيتو لكي تجهض أي قرار دولي يدين إسرائيل.. وقد تسببت في عدم عرض ٩٠ مشروعًا بالإدانة. إذًا الذي يقول إن أمريكا ليست هي العدو للعرب والمسلمين فهو إما جاهل أو منافق أو خائن)[1].

وفي تعليل أهداف أمريكا من غزو العراق يرى الفريق الشاذلي أن هناك أهدافًا معلنة، وهي البترول وسلامة إسرائيل، ويقرر أن هناك هدفين آخرين غير معلنين، وهما؛ الأول: تجزئة العالم العربي والعمل على استمرار هذه التجزئة. والثاني: **هو ضرب الصحوة الإسلامية التي بدأت تعم**

---

(١) الفريق سعد الدين الشاذلي (الحرب الصليبية الثامنة –العدوان على العراق) ص ٣٠/ ٣١ ط٢، عيون المقالات – الدار البيضاء سنة ١٩٩١م.

العالم الإسلامي، فقد بدأت هذه الصحوة في مصر وفي الشرق العربي بعد الهزيمة المهينة التي أصابت مصر وسوريا والأردن عام ١٩٦٧، فقد بدأ الناس يشعرون بأنهم نسوا الله فنسيهم، فاتجهوا إلى الله، وبدأت الصحوة الإسلامية تستيقظ من سباتها، وفي أكتوبر ١٩٧٣ نجحت القوات المسلحة المصرية في عبور قناة السويس تحت صيحة الله أكبر، فأعطى ذلك قوة دفع للصحوة الإسلامية[1].

هذا وقد كان الرئيس الأسبق نيكسون صاحب قرار الجسر الجوي الأمريكي الرهيب، الذي حمل لإسرائيل المواد والمعدات العسكرية التي أنقذت أداءها العسكري في أكتوبر سنة ١٩٧٣.

ومن أقواله: (إن هناك التزامًا أمريكيًا ببقاء وأمن إسرائيل).. ويصنف قواتها المسلحة من أفضل جيوش العالم[2].

الاغتراب بسبب وقوع هزيمة ١٩٦٧:

إن مصطلح الغربة عند الدكتور جلال أمين له معنى خاص، فهو لا يعني الشعور الذي يكتنف المرء عندما يكون في بلد غريب لا يعرف فيها أحدًا، ولكنه يعني الإحساس بالغربة وهو باق في وطنه لا يتركه.

ثم يعلل بدء الشعور بالغربة أو الاغتراب التي طرأت على حياة المصريين السياسية والاجتماعية والثقافية إلى بداية عهد الثورة في ١٩٥٢.. وإن كان الاغتراب طوال تلك السنين قد اختلف سببه وتفاوتت حدته، واختلفت أيضًا الشرائح الاجتماعية الأكثر معاناة بين مرحلة وأخرى منذ ذلك الوقت[3]، وبخاصة اعتبار أن ما حدث ليس مرحلة جديدة من مراحل تاريخ المصري الحديث، **بل على أنه انقطاع شبه تام عما سبق وبداية بتاريخ جديد، ويرى أن شخصية السادات كانت تلائم تمامًا الاتجاه المفاجئ نحو تغريب مصر، كان منذ نعومة أظفاره شخصًا مفتونًا بالسلع الاستهلاكية الغربية وبالسينما الأمريكية وبكل ما يبدعه الغرب من تكنولوجيا حديثة**[4].

---

(١) نفسه ص ٣٠٢ وص ٣٠٥.

(٢) المشير محمد عبد الحليم أبو غزالة (مقدمة كتاب ريتشارد نيكسون (نصر بلا حرب) ص ١٨ ط٢ مركز الأهرام للترجمة والنشر ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

(٣) جلال أمين (مصر والمصريين في عهد مبارك) ص ٢٠٦ ط دار الشروق سنة ٢٠١١.

(٤) نفسه ص ٢١١.

هذا وقد اشتدت حركه الاقتباس من الغرب في عهده، وأسهم في تقوية الشعور بالاغتراب الناتج عن دخول أنماط غير مألوفة من الاستهلاك والعلاقات الاجتماعية، بسبب الانفتاح، وفيما أصبح يذيع التلفزيون من برامج وإعلانات لم تكن مألوفة في الستينات[1].

ولم تنجح حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ في انتشال المصريين من حالة الإحباط إلا لفترة قصيرة للغاية؛ إذ سرعان ما يتبين العجز من استشعار الإنجاز العسكري في تحقيق مكاسب سياسية، **وسرعان ما أعقب هذا الإنجاز تنازلات متواصلة لصالح إسرائيل والولايات المتحدة على حساب مصالح مصر والفلسطينيين**[2].

ويعلل الاغتراب الذي عمّ الجميع بوقوع هزيمة سنة ١٩٦٧، فلم يعد مقصورًا على شريحة من المثقفين، بل شمل الشعب المصري كله: المثقفين وغير المثقفين، الأجيال الكبيرة والشابة، الرجال والنساء، المسيسين وغير المسيسين، وصحا المصريون كلهم فجأة على أسئلة ملحة على أذهانهم: **كيف كان (بناء الجيش)؟ وأين الصاروخان المسميان (القاهر) و(الظافر)؟ وما معنى (تحرير فلسطين)؟**

ثم ظهرت شعارات جديدة تتكرر على الأسماع بشكل شديد الوطأة.. هذه الشعارات زادت من الشعور بالاغتراب[3].

ويعلل الدكتور جلال أمين فشل نظام السادات الذريع في القضاء على اغتراب المصريين، **هو في الأساس التناقض الواضح بين الإنجاز العسكري الذي تم في أكتوبر سنة ١٩٧٣ والاستسلام السياسي الذي حدث بعده مباشرة**[4].

وتشارك الكاتبة الصحفية عايدة الشريف الدكتور جلال الشعور بالصدمة بسبب هزيمة ٦٧ فتقول تحت عنوان: (**أطول يوم في التاريخ**): (كنت أردد التعبير الذي أسمعه عن أطول يوم في التاريخ، ولكن لم أدرك معناه وقد فهمت كنهه وأبعاده يوم معاناتي النفسية.. وكان يوم الخامس من يونيو من عام ١٩٦٧).

---

(١) نفسه ص ٢١٢.

(٢) نفسه ص ٢٦٥.

(٣) نفسه ص ٢٠٧،٢٠٦.

(٤) نفسه ص ٢٠٩.

ووصفت حالة الانهيار للزملاء من حولها.. قال أحدهم: (انتهى سلاح الطيران المصري وتوقفت الحرب قبل أن تبدأ!)، وتساءل آخر: (ألا نلاحظ أننا لم نسمع في البيانات العسكرية المتتالية شيئًا دقيقًا عن أعمال سلاح الطيران المصري؟ أين سلاح الطيران المصري؟!).

وحاول آخر إدخال الطمأنينة إلى النفوس فقال: (إن سلاح الطيران المصري موجود في يوغسلافيا وسيظهر في الوقت المناسب!).

ومن تعليقات عايدة الشريف على كل ما حدث قولها: «وكنت غاية في الانفعال الهستيري حتى تصورت العائلة أنني جننت، أو أن في بيتهم جاسوسة، وذلك لعدم إدراكهم للواقع الأليم الذي حلّ بالوطن العزيز مصر»، ووصفت حالتها وهي واقفة في شرفة الدور التاسع بأن رأسها تكاد تنفجر وكادت ترمي نفسها من علٍ.

ثم استطردت تصور الأيام الثقال؛ إذ كانت مصر قد صارت جثة هامدة، وأحست بكابوس ثقيل يجثم على صدرها.. وتصورت أنه لن تقام أية أفراح في بيوت مصر، وأن عملية الزواج والإنجاب قد انتهت.

وزاد إحساسها بشعور الأسى إذ لم تعد تعرف أحدًا تتكلم معه أو تستمع منه، فقد كان الدكتور محمد مندور قد غاب عنها وقبع في منزله سجين جدرانه وفاجعته[1].

فضلًا عن قيامه بقطع صلاته بكل أصدقائه، ورغم صداقته الوطيدة والبعيدة بالمؤلفة فقد رفض قراءة كتابها الأخير: (الإنسان الطائر)؛ بدعوى أنها وقعت في براثن الميتافيزيقا والغيبيات[2].

أما الأستاذ فهمي هويدي فقد عبّر عن أثر هزيمة يونيو سنة ٦٧ بقوله: (يظل شهر يونيو حزيران بالنسبة لنا هو شهر الاكتئاب العظيم الذي يتنابني فيه شعور دائم بالحزن والانكسار، وأحسب أنني لست حالة فريدة في ذلك، فالعرب الذين يعيشون همَّ أمتهم، والذين فاقوا على

---

(١) عايدة الشريف (شاهدة ربع قرن) ص ١٣٥، ١٣٦ وكانت تصف الدكتور محمد مندور بأنه المعلم الأب ص ٥٩، وقد عرضت لمادة (أطول يوم في التاريخ) باختصار شديد؛ إذ استغرق في الكتاب نحو عشر صفحات ط الهيئة المصرية العامة للكتاب – مكتبة الأسرة سنة ٢٠١٣.

(٢) نفسه ص ١٤٠.

مرارة ومهانة الهزيمة في عام ١٩٦٧، يتملكهم الشعور ذاته على الأقل، فذلك هو انطباعي عما نعرفهم منهم)(١).

ثم يذكرنا بمقال للدكتور إدوارد سعيد، تحدث فيه بدوره عن الهزيمة، مبديًا دهشته بسبب أن الأوضاع العربية التي أدت إلى الهزيمة ما زالت باقية كما هي برغم الهزات الكبرى المتتالية، سواء ما تعلق منها بحرب ١٩٧٣ أم بالحرب الأهلية اللبنانية، أم بغزو إسرائيل للبنان، أم بالثورة الإيرانية، مرورًا بانهيار الاتحاد السوفيتي وعقد اتفاقيات السلام الملوث بالمنطقة.

وعلّق في النهاية بقوله: «لا نريد أن نصل إلى درجة اليأس من التغيير، وأحسب أن هناك من يريد أن يوصلنا إلى تلك النقطة، غير أننا ونحن نتشوق إلى واقع ومستقبل أفضل، لا بد أن نتذكر دائمًا ذلك القانون الإلهي الذي يقرر أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم»(٢).

وقريبًا من هذا الرأي ما قال به د. حسان حتحوت؛ إذ كانت الهزيمة خطبًا جليلًا وأقوى من القدرة على الاحتمال.

وصف أولًا الهزيمة بقوله: (وربما كانت هزيمة ١٩٦٧ ذات أثر كبير في فرار الأمة إلى ربها بعد أن اتبعت السبل فتفرقت بها، وبعد أن أفاقت على الواقع الأليم، فبعد أن كانت تتصور أنها أكبر قوة ضاربة في الشرق الأوسط تصنع الإبرة والصاروخ وتسيطر على البر والبحر والجو وتتنمر لإسرائيل وتستأسد في وجه أمريكا.. رأت الأمة أن تلك القوة الضاربة أصبحت مضروبة خلال ساعات ومهزومة خلال أيام (ص١٣٣).. واستطرد بعد ذلك قائلًا: وأصابت الأمة صدمة أنكى من الصدمة الكهربائية، وبين تلاطم اليأس واللوعة والغضب راحت الأمة بضميرها تبحث عن مخرج مأمول وطريق مفتوح، فلم تجد إلا الطريق إلى الله تعالى(٣)، **ويمكن تفسير الصحوة الإسلامية كما رأى الدكتور زكي نجيب محمود أو يصف، بأن تلك الهزيمة الكارثية أيقظت الجماهير من سباتها طوال عصر التضليل الإعلامي الكذوب!**

هزيمة ٦٧ وفقدان الأحلام:

أورد الدكتور زكي نجيب محمود بضعة أسطر من خطاب قارئة قالت فيه: (إنني واحدة ممن يوصفون بأنهم «جيل الثورة»، صحوت من أحلامي الجميلة الرومانسية على هزيمة ١٩٦٧؛

---

(١) فهمي هويدي (المقالات المحظورة) ص ٢٩٢، ط دار الشروق ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

(٢) نفسه ص ٢٩٨، ٢٩٧.

(٣) د/ حسان حتحوت (ص١٣٥).. كتابه: (رسالة إلى العقل العربي المسلم) ط دار المعارف بمصر ١٩٩٨.

لأجد أن كل ما عشت فيه وآمنت به، إنما كان سرابًا وأوهامًا؛ لأجد حقيقة فاجعة تنتظرني بواقعها الأليم، وذلك أني رأيت أمة ممزقة بالهزيمة[1].

وقد شاركها الرأي؛ حيث وصف هزيمة ١٩٦٧ بأنها زعزعت فينا الثقة في النفس، وعلّل الصحوة الإسلامية بأنها استمدت قوتها من تلك الهزيمة، وقال إنه لا مراء في أن **إحياء الروح الديني وقيم الأسلاف ضرورة لا غنى عنها في ترسيخ الشعور القوي وتثبيت الهوية الخاصة**[2].

كذلك عبّر الدكتور أحمد هيكل الوزير الأسبق للثقافة فقال: (فاهتزّ في داخلي ومن حولي كل شيء، وتحطمت أحلام كبار، وتهاوت رموز عظام، واستشعرت مرارة لا أبالغ إذا قلت بأن آثارها ما زالت في حلقي إلى اليوم (سنة ١٩٩٧)! **وأصاب بصري مرض غابت معه عيني اليمنى، وعرفت فيما بعد أن التهاب بعصب الإبصار في هذه العين خلّف بها ضعفًا شديدًا ما زال يلازمني حتى اليوم**. وفي اعتقادي أن هذا الذي أصابني كان من آثار صدمتي الرهيبة بما حدث لمصر من نكسة، فلم يثبت طبيًّا أنني كنت أعاني من أي مرض عضوي يمكن أن يفضي إلى الالتهاب الخطير لعصب الإبصار)[3].

وأنا أفهم مما حدث للدكتور هيكل -معبرًا عنه بأسلوبه الأدبي البليغ- أنه كاد يفقد بصره بسبب حزنه الشديد للهزيمة الكارثية في عام ١٩٦٧، وهو يذكرنا بما حدث للنبي يعقوب عليه السلام كما أخبرنا عنه القرآن الكريم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف: ٨٤.

والمعنى: تولى يعقوب عليه الصلاة والسلام عن أولاده بعد أن أخبروه هذا الخبر، واشتد به الأسف والأسى، وابيضت عيناه من الحزن الذي في قلبه، والكمد الذي أوجبت له كثرة البكاء؛ حيث ابيضت عيناه من ذلك فهو كظيم، أي ممتلئ القلب من الحزن الشديد)[4].

ومع معاناة الدكتور هيكل بسبب ضعف إبصاره فقد جاءت كلماته معبرة في حجمها عن أحاسيس شعب مصر بالإجمال كقوله مثلًا: تحطمت أحلام كبار، وتهاوت رموز عظام.. وصُدم

---

(١) د/ زكي نجيب محمود (رؤية إسلامية) مكتبة الأسرة بمصر سنة ١٩٩٥ ص ١٣٧.

(٢) نفسه ص ١١٩.

(٣) د/ أحمد هيكل (سنوات وذكريات ذاتية) ص ١١٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧م.

(٤) عبد الرحمن بن ناصر السعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ٣٨٢ مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

صدمة رهيبة بما حدث لمصر من نكسة: (واهتز في داخلي ومن حولي كل شيء)، ورأينا أيضًا الدكتور جلال أمين يذكر أن الصدمة شملت الشعب كله!! بل يقول الأستاذ فهمي هويدي إن العرب جميعًا ذاقوا مرارة ومهانة الهزيمة!!

وقال الأستاذ هيكل رئيس تحرير الأهرام في مقاله الأسبوعي بعدد الأهرام الصادر في ٢/ ٢/ ١٩٦٨:

(وبعد أن كان هدفنا القومي استرجاع الوطن السليب وإعادة الحق المسروق، أصبح مطلبنا الوطني إزالة آثار العدوان.. في كل يوم لنا خطة وإستراتيجية وهدف.. وفي كل ما حدث لنا حدث! ودأبنا نقرن الغفلة بالارتجال والجهل بالافتعال، وليس في الدنيا أشأم من هذا الضياع! والعدو إزاء هذا الواقع المحزن مدة تسعة عشر عامًا طوالًا، يمشي وئيدًا حينًا حثيثًا حينًا حسب الظروف، في تنفيذ مخططاته التي لم تتغير ولم تتبدل منذ سبعين سنة! هو يتحين الفرص، ونحن نمهّد له الفرص.. هو يرقب المبرر، ونحن نقدم له المبرر، هو يواجهنا بالتجمع والاقتحام، ونحن نواجهه بالتبعثر والانهزام! ولو صدق العرب النية وأخلصوا العمل عشر سنين... فقط عشر سنين لما كان هناك مأساة، ولما كانت هناك إسرائيل)[1].

آثار هزيمة ٦٧ على الاقتصاد:

نال الاقتصاد أيضًا نصيبه من هزيمة ٦٧.. ولا يسمح المجال بعرض مستفيض للنظريات الاقتصادية ومصطلحاتها الخاصة، إلا أنني سأقتصر على بعض فقرات من مقال لأحد علماء الاقتصاد في مصر؛ لنعرف آثار هزيمة ٦٧ على الاقتصاد.

يقرر الدكتور حازم الببلاوي أنه عقب الثورة عام ١٩٥٢ ارتبطت جهود التنمية الاقتصادية بطابع خاص، وهو الهيمنة والسيطرة الساحقة للسلطة السياسية على المفاهيم والتطورات الاقتصادية. وقام النظام الجديد لفترة طويلة -بسبب الأمن والخوف من أعداء النظام- غلب عليه فكرة قوة الدولة، وبدأت مصر في الستينيات العودة إلى عادة قديمة مارستها قبل ذلك لقرن من الزمان، وهي عدد الاقتراض من الخارج، ففي عام ١٩٥٨ بدأت مصر في الاعتماد على القروض الأمريكية.. وفي نفس الوقت تقريبًا بدأت الاقتراض من دول الكتلة الشرقية فضلًا عن صفقات السلاح.

---

(١) سعد جمعة -رئيس الوزارة الأردنية- ووزير الدفاع أيام الهزيمة، كتاب: (المؤامرة ومعركة المصير -كيف ولماذا وقعت مأساة يونيو سنة ١٩٦٧م؟) ص ٢١٢ كتاب: (المختار) بدون تاريخ.

وفي بداية تنفيذ الخطة الخمسينية الأولى لجأت الدولة إلى الإجراءات الاشتراكية المعروفة في ١٩٦١.. وهذا هو الوقت الذي طرح فيه شعار: (من الإبرة إلى الصاروخ)، وهو شعار يتضمن من حسن النية والمقصد بقدر ما يخفي من السذاجة وقصر النظر.. وعرفت مصر عجزًا في محصول القطن في ٦٢/ ٦٣، وفي نفس الوقت تقريبًا بدأ الانغماس في حرب اليمن، فقررت الولايات المتحدة وقف المعونات في ٦٤؛ مما أدى إلى انهيار الخطة في سنتها الأخيرة.

ثم وجهت هزيمة ١٩٦٧ ضربة قاصمة لتجربة الستينيات بكل ما فيها من إنجاز أو قصور، وبدأت السلطة السياسية في التخلي عن مسؤولياتها في التنمية الاقتصادية، وتمت إدارة الاقتصاد على أساس مواجهة الاحتياجات اليومية للشعب وبما يحقق أكبر قدر من الاستقرار والأمن، مع استرضاء الجماهير، فخفت القيود المفروضة وتوفرت سلع الاستهلاك، وبدأ التهاون في الانضباط، وانتشرت مظاهر التسيب، وكان الثمن الذي دُفع لكل ذلك هو تردي معدل الاستثمار وإهمال صيانة المرافق وعناصر البنية الأساسية، ودخلت مصر في عصر من الأفول.. على أن أكبر خسائر هذه الفترة هي فقد الثقة الذي عانى منه الشعب المصري، ثقته في نفسه، وثقته في حكامه، وثقته في مثله، ومن هنا فقد بدأت مصر تدخل مرحلة نفسية جديدة من الانكفاء على الذات، ومن الأنانية الفردية، وغير ذلك من سلبيات المجتمعات المهزومة.. وقال الدكتور الببلاوي بعد هذه الفقرة: (على أنه من الضروري قبل أن ننتقل إلى مرحلة السبعينيات، أن نشير إلى أهم أمراض مرحلة الستينيات والتي لا تزال تعيش معنا حتى الآن)[1].

حاشية: أي بعبارة موجزة: توقفت تمامًا عملية النمو، ودارت عجلة الحروب، فخربت البلاد، وأهلكت العباد!! كتاب الأستاذ إبراهيم سعدة بعنوان: (سنوات الهوان)[2] العديد من التزويرات التاريخية، سنكتفي بعرض موجز لبعضها فيما يلي:

١- من التفسيرات أن كاتبًا أراد أن يهوّن من فداحة الكارثة فقال إن الولايات المتحدة أرسلت قواتها وطائراتها لمساعدة إسرائيل وضرب مصر من قاعدة هويلس في ليبيا، ثم عاد نفس هذا الكاتب يزعم أن المأساة تكمن في أن القيادة المصرية توقعت أن تأتي الضربة الاسرائيلية من الشرق، ففوجئت بأنها تنقض عليها من المغرب ص ١٩٦/ ١٩٧).

---

(١) د/ حازم الببلاوي، بعنوان: (محنة الاقتصاد والاقتصاديين مرة أخرى) ص ١٩٤ «مجلة الهلال» يناير ١٩٨٦م، (والمقال يقع في ١٣ صفحة).

(٢) إبراهيم سعدة (سنوات الهوان) ط المكتب المصري الحديث سنة ١٩٧٥م ويحتوي على ٢٧٠ صفحة من القطع المتوسط.

٢ - أن سكان القناة هم وحدهم الذين دفعوا ثمن المناورة العسكرية الفاشلة في يونيو سنة ١٩٦٧.. واستغلت إسرائيل الفرصة أسوأ استغلال وقتل عشرات الآلاف من ضباطنا وجنودنا الأبرياء، ودمر مدننا وقرانا، وأغلق قناتنا، وحوّل سكان منطقة القناة إلى جوعى ومشرّدين؛ إذ أُخرج من بلاده، وشُتّت في أقاصي الصعيد، ووزعوه على وسط الدلتا.. وكانوا يعيشون معيشة تنفر منها الحيوانات، والأمثلة كثيرة وصارخة (ص ١٩٢/ ١٩٣).

٣- وفي سنة ١٩٦٣ تورطنا في حرب اليمن التي استمرت خمس سنوات، وقالت بعض المصادر إن مصر صرفت على هذه الحرب نحو مليون جنيه إسترليني يوميًّا (ص ١٢٩).

كذلك تكلفت أرواح عشرات الآلاف من شبابنا، ومئات الملايين من ثروتنا، وعشرات السنوات من التأخر والتخلف تعود بنا إلى القاع.. كان الهدف مجرد المجد الشخصي.. وحتى هذا الهدف لم يتحقق (ص٧٠).

٤- تم تمويل صحف لبنانية ومجلات للتهليل والتمجيد في القيادة المصرية.. الهزائم التي لحقت بسياساتنا العربية والعالمية، صوّرها أذكياء بيروت في صحفهم كانتصارات أشبه بمعجزات الرسل والأنبياء (ص١٨٦).

***

الفصل الخامس

التقويم السياسي لحرب أكتوبر ١٩٧٣

يقول الدكتور حامد ربيع، أستاذ السياسة المخضرم: (إن حرب أكتوبر كانت نجاحًا حقيقيًا للقيادة العسكرية الميدانية، ومعنى ذلك أن النجاح مصدره ثلاثة عناصر: الجندي أولًا، والقائد الميداني ثانيًا، والمخطط المتكامل المحدود، أي معركة العبور ثالثًا)[١].

ونرجئ نقده لنهاية البحث لحاجته إلى تحليل خاص.

وكانت أبرز كلمات الفريق الشاذلي عن حرب أكتوبر ٧٣ هي: (لا أخشى الموت الآن.. فإنني أتعجب في الحقيقة كيف عشت طوال هذه السنين على الرغم من المخاطر الكثيرة التي تعرضت لها.. ولو أنني مت اليوم فإنني سوف أموت سعيدًا.. فقد أعطيت بلدي كل ما أستطيع أن أعطيه، وقد رأيت ثمرة كفاحي، رأيت جنود مصر بعد أن هزمتهم إسرائيل في ثلاث حروب سابقة.. رأيتهم وهم يعبرون قناة السويس ويحطمون خط بارليف ويهتفون الله أكبر[٢].

أما أثر حرب ١٩٧٣ على إسرائيل بالداخل، فقد كانت الزلزال الذي هزها، وأكد زيف الادعاءات الخاصة بضرورة الاحتفاظ بمناطق واسعة لضمان الأمن الإسرائيلي، كما قضت على أسطورة الجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر. ومع ضخامة الخسائر البشرية والمادية والمعنوية كان رد المثقفين الإسرائيليين قويًا وسريعًا، خاصة أن ثبت صحة تحذيراتهم السابقة من أن حرب ١٩٦٧ لن تكون آخر الحروب في المنطقة إذا استمر الصلف الإسرائيلي والتنكر لحقوق العرب والفلسطينيين).

---

(١) د/ حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية -إدارة الصراع العربي الإسرائيلي) ص ١٢٢ دار الوفاء بالمنصورة ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

(٢) محمود فوزي (الفريق الشاذلي وأسرار الصدام مع السادات) ص ١٣٨، وكانت مراحل خدمته كضابط صاعقة ومظلات ورئيس أركان ص ١٦٦ط، دار الوطن للنشر سنة ١٩٩٣م.

وفي دراسة عن حرب سنة ١٩٧٣ أكّد المفكر الإسرائيلي «يشعب هولا يبوفيتش» -الذي سبق وحذّر من اندلاع تلك الحرب قبل وقوعها بسنوات- أن حرب ١٩٧٣ قد عمّقت داخل الجمهور الإسرائيلي مشاعر الكآبة وخيبة الأمل والشعور بالإحباط والفشل) (١).

الوجه الآخر لحرب ٧٣ في رأي دكتور حامد ربيع:

مع إشادته بالنصر الذي حققته مصر في تلك الحرب، وأنها كانت نجاحًا حقيقيًا للقيادة العسكرية الميدانية.. إلا أنها كانت فشلًا حقيقيًا أولًا للقيادة الإستراتيجية، التي لم تعرف كيف تتعامل مع النصر، ثم فشلًا للقيادة السياسية التي سمحت لنفسها بأن تتدخل فيما هو ليس من اختصاصها. وأن اختصاصها فقط هو الإجابة عن السؤال: متى يجب القتال؟

وربما يقصد بذلك الصدام بين الفريق سعد الدين الشاذلي والرئيس السادات، الذي يعود إلى بعد قيام حرب أكتوبر بأيام، حين فوجئ الفريق الشاذلي بالمشير أحمد إسماعيل، وزير الحربية في ذلك الوقت، يبلغه بأن السادات يأمر بتطوير القتال ورفع قوات الاحتياطي الإستراتيجي الموجود غرب القناة إلى شرقها.. وأن هذا القرار سياسي بالدرجة الأولى ويهدف إلى تخفيف العبء عن الجبهة السورية.. وحينما رفضه الشاذلي لاعتبارات عسكرية من وجهة نظره وأن إخلاء غرب القناة من قوات الدفاع الاحتياطي سيؤثر في حماية غرب القناة من مخاطر اختراقها.. أصرّ السادات على موقفه! وتم التنفيذ في ١٤ أكتوبر ١٩٧٣.

ومن وجهة نظر الفريق الشاذلي أن القوات الإسرائيلية قد استغلّت الموقف، ونجحت في إحداث الثغرة التي نفذت منها إلى منطقة الدفرسوار، وأسرع السادات وطلب من الشاذلي حل المشكلة.

وعلى أثر ذلك وضع الشاذلي خطة للثغرة، تعتمد أساسًا على سحب فرقتي دبابات من شرق القناة للغرب.. ولكن السادات رفض بحجة أن ذلك سيصيب القوات في الجبهة بالإحباط، وأن هذا الأمر من شأنه تذكير الجنود بانسحاب النكسة في ١٩٦٧!!

وانتهى الأمر بعد قرار وقف إطلاق النار(٢).

---

(١) محمد محمود أبو غدير، مقال بعنوان: (فلسطين: خمسون عامًا في الأسر -المثقفون والسلطة في إسرائيل) ص ٤٣ مجلة (إبداع) العدد السابع -يوليو ١٩٩٨م.

(٢) محمود فوزي (الفريق الشاذلي وأسرار الصدام مع السادات) ص ١٣٠/ ١٣١ مصدر سابق.

واختصارًا للبحث، لا نريد المضي إلى نهاية الصدام، ولكن نكتفي بواقعة حديث صحفي للسادات حمّل الشاذلي فيه مسؤولية الثغرة، وأنه عاد من الجبهة منهارًا؛ مما اضطر السادات معه إلى وقف إطلاق النار!!

وكان رد الشاذلي على ذلك هو إعلانه في حفل عام أمام عدد من سفراء دول العالم في بريطانيا: (أن السادات هو المسئول عن الثغرة)!! **وهو القول الصادق؛ إذ يتبيّن من سلوكه أنه رجل عسكري شجاع، ولم تفتنه دهاليز السياسة أو الرئاسة!!**

ونعود إلى رأي الدكتور حامد ربيع؛ حيث سرد وقائع كثيرة حول الحرب، أبرزها أنها كانت نجاحًا عسكريًّا حقيقيًّا، ولكن في أبعاد معينة. هذا النجاح أقلق جميع القيادات غير العربية المتعاملة مع المنطقة، وبصفة خاصة القيادة الأمريكية؛ ولذلك كلفت (كسينجر) بالتدخل، وكانت خطته تتلخص في أن يتغلغل في عناصر هذا النجاح بحثًا عن مواقف الضعف ليوسّع منها، وليضغط عليها بكل ثقة، فتشلّ النجاح -إن لم تحيله- إلى فشل.

ويعلّق على ذلك الدكتور حامد ربيع بقوله: (وهنا تبرز حقيقة المأساة عندما ترك الرئيس السادات كسينجر يتلاعب به، وينتهي بأن يصفّي النصر من كل معانيه!!)[1].

وكانت مهمة كيسنجر توظيف الدبلوماسية الأمريكية في خدمة أهدافها الكلية في المنطقة، على أساس واقعها الإستراتيجي؛ حيث تحتل في قلبه إسرائيل الموقع المتميز.. ولم تكن اتفاقية السلام إلا النتيجة المباشرة لنجاح كيسنجر، وهنا تبرز حقيقة المأساة[2].

حاشية: الآثار النفسية للحروب ومنها حرب عام ١٩٦٧ مع إسرائيل:

تقرر الدكتورة حورية مجاهد أستاذ العلوم السياسية أنه من الملاحظ أن كلًّا من الحروب الكاسبة والخاسرة على حد سواء، تخلف آثارًا نفسية قد تزكي عجلة الاستعمار. فالأولى قد تؤدي إلى حماس الشعوب وراء حكوماتها بهدف دفع الانتصار إلى أقصاه وضم أراضٍ جديدة في شكل أسلاب وتعويضات، والثانية قد تؤدي إلى هزة نفسية وشحنة عاطفية تزكي من الرغبة في التخلص من الهزيمة وتحقيق انتصار، ومحاولة دفعه إلى أقصاه بحيث ينقلب ما أمكن إلى مكاسب استعمارية.

---

(١) د/ حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية -إدارة الصراع العربي الإسرائيلي) ص١٢٣.

(٢) نفسه ص ١٢٤ باختصار.

ومن الأمثلة الواضحة على الحالة الأولى: إسرائيل وانتصارها في حرب سنة ١٩٦٧، الذي فتح لها المجال أمام التوسّع في ضم الأراضي، ومحاولة التشبث بها، وتحقيق أكبر مكاسب من ورائها. حقيقة أنها في النهاية قبلت التخلي عن توسعها في سيناء وإعادتها لمصر، ولكن بشرط وثمن أساس كان هو الصلح مع مصر، وهي أهم وأقوى الدول العربية المعادية لها، وهي ما زالت متمسكة ببقية الأراضي التي ضمتها، ولا يكون تخليها عنها إذا تم إلا بحساب للمكاسب والخسائر. الأمر الذي تتحكم فيه في النهاية(١).

معارضة اتفاقية كامب ديفيد [بيان نقابة المحامين نموذجًا](٢):

في مثل هذا اليوم منذ عام مضى رُفع في سماء القاهرة -قلب العروبة النابض- علم إسرائيل.. إيذانًا ببدء العلاقات الدبلوماسية مع العدو الصهيوني.. في نفس الوقت الذي كان فيه ذات العلم يرفرف في سماء سيناء والقدس والضفة الغربية والجولان تجسيدًا للاحتلال والغصب والعدوان.

واليوم.. بعد مرور زهاء ثلاثة أعوام على اتفاقية كامب ديفيد.. وما استتبعته من تطبيع للعلاقات مع إسرائيل، تؤكد نقابة المحامين موقفها القومي والوطني المتمثل في رفض هذه الاتفاقيات، ورفض كافة صور التطبيع.. والدعوة لمقاطعة أي شكل من أشكال التعامل مع إسرائيل حتى يتم جلاء آخر جندي إسرائيلي عن سيناء والأرض العربية المحتلة بما فيها القدس، ورفض أية محاولة لتوصيل مياه النيل إلى إسرائيل.

إن محصلة مسيرة «كامب ديفيد» في ثلاث سنوات تؤكد لكل ذي عينين أن التفاوض المباشر في ظل الاحتلال والغصب.. والحل المنفرد مع المحتل الغاصب لا يمكن أن يكون طريقًا إلى سلام عادل وحقيقي يوفر الأمن والطمأنينة في المنطقة، وإنما من شأنه على العكس أن يفتح الشهية لمزيد من التوسّع والعدوان.

فَتَحْتَ مظلة كامب ديفيد والتطبيع.. لا زالت إسرائيل بجيوشها ومستوطناتها قابعة في سيناء.. تلوح بين الحين والآخر بعدم استكمال الجلاء إذا ما تراخى أو تباطأ التطبيع الكامل للعلاقات بين مصر وإسرائيل.

---

(١) د/ حورية مجاهد – أستاذ العلوم السياسية – كلية الاقتصاد والعلوم السياسية – جامعة القاهرة (الاستعمار كظاهرة عالمية) ص ١٧١/ ١٧٢ عالم الكتب بالقاهرة ١٩٨٥م.

(٢) المصدر: كتاب «الموقف العربي» ١٤٠١هـ - ١٩٨٤م (عام على التطبيع).

وفي ظل كامب ديفيد.. وشعارات السلام يتفاقم الصلف الإسرائيلي، ويواصل العدو الصهيوني بثبات تنفيذ مخططاته العدوانية والتوسعية، فيصدر قانونًا باعتبار القدس الشريفة الموحدة عاصمة أبدية لإسرائيل.. وينتهك حرمة المقدسات الإسلامية والمسيحية، ويوالي إقامة المزيد والمزيد من المستوطنات في الأراضي المحتلة.. ويعربد في جنوب لبنان، ويوالي اعتداءاته العسكرية على مخيمات الشعب الفلسطيني، وينسف بيوتهم ويعذبهم حتى الموت في سجون الاحتلال.

ورغم نصوص كامب ديفيد.. تتعثر حتى مباحثات الحكم الذاتي التي كان مقررًا لها أن تبحث وتقرر مصير شعب في غيبته.. وتصل هذه المباحثات إلى طريق مسدود.

وفي إطار اتفاقية كامب ديفيد.. تُقام في بلادنا محطات الإنذار الأمريكية والقواعد العسكرية تحت مسمى التسهيلات.. وتقدم هذه التسهيلات للولايات المتحدة الأمريكية صانعة إسرائيل وحاميتها.. وممولتها بالسلاح والمال.. الأمر الذي يهدد أمن وسيادة مصر، كما يهدد بإقحام مصر في حلبة الصراعات الدولية.

ومن أجل حماية كامب ديفيد والتطبيع تتوالى التشريعات المقيدة للحرية والإجراءات المنافية للديمقراطية.

وتحت ستار تطبيع العلاقات.. تتعرض بلادنا لغزوة صهيونية ثقافية واقتصادية شاملة، تهدد ثروتنا القومية وتراثنا الإسلامي وحضارتنا العربية.. وتمتد أطماع التسلل الصهيوني من بترول سيناء إلى مياه النيل.. إلى محاولة السيطرة على اقتصادنا الوطني بأكمله، مستغلة التفوق التكنولوجي لإسرائيل.

وبسبب اتفاقيات كامب ديفيد وتطبيع العلاقات مع إسرائيل عدو الأمة العربية، عُزلت مصر عن الأمة العربية والعالم الإسلامي ودول عدم الانحياز ودول صديقة أخرى عديدة.

إن نقابة المحامين.. انطلاقًا من مسؤوليتها القومية والوطنية تعاود التأكيد على رفضها لاتفاقيات كامب ديفيد، التي أدانها المجتمع الدولي السياسي والقانوني بأسره، ممثلًا في الجمعية العامة للأمم المتحدة والجمعيات الحقوقية الدولية.

كما تؤكد نقابة المحامين رفضها تطبيع العلاقات مع إسرائيل قبل الجلاء الكامل عن الأراضي العربية المحتلة، بما فيها القدس العربية، واسترداد الشعب الفلسطيني لحقوقه المشروعة في تقرير مصيره، والعودة إلى أراضيه، وإقامة دولته على أرضه.

إن تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل طبقًا لنصوص اتفاقيات كامب ديفيد، من شأنه إقامة علاقات خاصة بينهما، وتعطي لإسرائيل التي لا تزال تحتل الأرض العربية والمصرية مركزًا خاصًا متميزًا لم تحلم به الدول صاحبة الامتيازات في عهد الامتيازات الأجنبية.

وتؤكد نقابة المحامين دعمها الكامل للشعب الفلسطيني وللثورة الفلسطينية ونضالها المشروع بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني، وترفض أية محاولات لإنكار هذا التمثيل، أو التشكيك فيه، أو تمييعه، أو تقديم البدائل المشبوهة عنه.

وتؤكد نقابة المحامين دعوتها لوقف أي اتصال أو تعامل مع العدو الصهيوني، سواء في المجال السياسي أو الثقافي أو الاقتصادي أو المهني أو الرياضي، أو غير ذلك من المجالات.

وتناشد نقابة المحامين كافة القوى القومية الشريفة على مستوى الوطن العربي تجاوز خلافاتها، والعمل على تعبئة قوة الأمة العربية، وتلاحم صفوف الثورة الفلسطينية على أرضية العداء للاستعمار والصهيونية، والنضال ضد مخططاتهما.. ومن أجل تحرير الأرض العربية المحتلة وانتصار الثورة الفلسطينية.

«نقابة المحامين»

٢٦/ ٣/ ١٩٨١

حاشية:

وكان على رأس المعارضين الفريق الشاذلي أيضًا، وقد قال في بيانه: (طالبنا الشعب بالتعبير عن رأيه في معارضة «كامب ديفيد»، والمطالبة بالديمقراطية، كما طالبنا الجيش والشرطة بألا يتعرضوا للجماهير بالضرب) ص١٣٧/ ١٣٨. كتاب (الفريق الشاذلي وأسرار الصدام مع السادات، بقلم محمود فوزي، ط. الوطن للنشر سنة ١٩٩٣. ومن المثير للدهشة أن السادات كان يسمي نفسه آخر الفراعنة ص٣٤.

بيان الشعب المعبّر عن معارضة «كامب ديفيد»:

يقول محرّر (جريدة الشعب): توالت علينا طوال هذا الأسبوع رسائل الأصدقاء التي تتضمن احتجاجًا على السماح للمطبوعات الإسرائيلية بالاشتراك في معرض القاهرة الدولي للكتاب، الذي بدأ منذ ١٠ أيام وانتهى أمس؛ حيث أتاح ذلك الاشتراك فرصة للثقافة الصهيونية لغزو عقول أهلنا.

وأكدت كل رسائل الأصدقاء أن عواطف ومشاعر شعبنا ما زالت مع الشعب الفلسطيني المطرود من أرضه، وبقية الشعوب العربية الشقيقة التي تحتل القوات الإسرائيلية جزءًا من أراضيها، فلقد استنكرت كل الرسائل مضي الحكومة في مسيرة التطبيع الثقافي مع إسرائيل، في الوقت الذي ما زالت فيه إسرائيل تراوغ وترفض الانسحاب من الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني.

«جريدة الشعب»

العدد ٩٤ -١٠- ٢- ١٩٨١

ويقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور (المعارض للاتفاقية):

(ومما لا شك فيه أيضًا أنهم شعب مخطط، لا يتورع عن سلوك أحط الوسائل وأقذر السبل لتحقيق مخططاته اللئيمة وبروتوكولاته الرهيبة.. وما الصهيونية والماسونية والروتارية والشيوعية الماركسية والاشتراكية الدولية إلا وسائله الجهنمية لتنفيذ مآربه وأهدافه!! ولنعلم جيدًا أن **السلام في مفهومهم يعني اغتصاب الأراضي العربية وتدعيم الوجود الصهيوني فيها إلى الأبد..** وهذا ما أكدته «يديعوت أحرونوت»، الصحيفة الإسرائيلية الواسعة الانتشار، حيث قالت ما نصه:

«بعد توقيع السلام مع مصر سيتغير مركزنا الدولي من أساسه، ليس فقط في أمريكا وأوروبا ولكن في إفريقيا وآسيا.. وستزول الأسباب التي كانت تحدّ من هجرة اليهود إلى أرض إسرائيل (فلسطين)، وبدلًا من المقاطعة العربية، سنحظى بالمتاجرة مباشرة مع العرب، فنظفر ببلايينهم (أي ألوف الملايين من دولارات بترولهم) التي يهدرونها في أمريكا وأوروبا.

***

الباب الثامن

قطوف من تفاسير القرآن الكريم عن علو بني إسرائيل مرّتين

الفصل الأول: تفسير آيات سورة الإسراء عن علو بني إسرائيل.

الفصل الثاني: توقعات بعض الدراسات المعنية بالقضية الفلسطينية ومصير إسرائيل.

الفصل الأول

آيات سورة الإسراء وإفساد بني إسرائيل في الأرض

تحت هذا العنوان ذكر الدكتور أحمد شلبي تلك الآيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء: ٣ – ٨.

وعندما وقعت الهزيمة ضد مصر والأردن واحتل اليهود بيت المقدس سنة ١٩٦٧ قام جماعة من المسلمين بتوجيه آيات القرآن الكريم لتكون ملائمة لهذا الحادث الأليم[١].

ولا يوافق الدكتور شلبي على هذا الاتجاه، مرجّحًا ما أجمع عليه كل المفسرين القدامى أن مرات الإفساد التي قام بها اليهود كانت كثيرة. وأن سحقهم وتدميرهم نتيجة لذلك حصل عدة مرات.. ولكن القرآن الكريم يبرز مرتين من مرات الإفساد كما يبرز العقوبة عليهما..

ويستطرد قائلًا إن هناك نصًا مهمًا في هذه الآيات الكريمات وهو قوله تعالى: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، وتفيد هذه الآية احتمال طغيان بني إسرائيل مرات أخرى، ووعيدًا بأن ينزل الله بهم ما يستحقون من عقاب. وما فعله اليهود في العصر الحاضر في فلسطين وفي بيت المقدس عود منهم إلى الظلم والطغيان، وندعو الله أن يساعدنا على طردهم والثأر منهم تحقيقًا لوعوده؛ حتى نزيل عن أرضنا الطيبة ما نزل بها من طغيان وظلم)[٢].

(١) د/ أحمد شلبي (اليهودية) ص ٩١ ط ٤ مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤م.

(٢) نفسه ص ٩٢.

مختصر كتاب (زوال إسرائيل حتمية قرآنية):

في مقدمة كتاب: (زوال إسرائيل حتمية قرآنية) للشيخ أسعد التميمي، إمام المسجد الأقصى ومديره سابقًا، يلخّص نجاح اليهود بعد هدمهم للخلافة العثمانية وتسللهم إلى الأرض المباركة، الجزء الجنوبي الغربي من ديار الشام (فلسطين)، وإقامة دولة اليهود، وقد تم أخذ كل فلسطين وسيناء والجولان. وهذه الدولة مصيرها إلى الزوال، وأقام أدلته بالاستناد إلى القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة.

وقال في نهاية المقدمة: (ومنذ سنوات وأنا أبشر الناس بالنصر المرتقب الذي بشّرت به الآيات والأحاديث. وكانت العلامة عندي هي تحوّل الشباب في بلاد المسلمين إلى الإسلام فجأة.. وكان كثير من الناس يستغرب من تفاؤلي (المسرف)، ولكني كنت أقول -ولا أزال- واثقًا من نصر الله.

وبإيجاز شديد خصص الشيخ التميمي كتابه ليبرهن على أن العلو الأول كان لليهود بالمدينة حيث أبرم الرسول صلى الله عليه وسلم معهم المعاهدة السياسية.. وعندما نقضوا العهد كعادتهم سلّط الله عليهم المسلمين وأجلوهم عن المدينة[1]. أما العلو الثاني فهو هذه المرة في عصرنا.

والكتاب يقع في ١٥٠ صفحة. وسنعرض مضمونه باختصار في الصفحات التالية.

بدأ الشيخ التميمي بتفسير الآيات الواردة بسورة (الإسراء):

قال تعالى تعالى:﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴾. واللام في التفسيرين لام الاستقبال، والتوكيد واللام في (وَلَتَعْلُنَّ) كذلك لام الاستقبال والتوكيد.

---

(١) وكان الدكتور سيد طنطاوي شيخ الأزهر السابق قد سرد خلال فصلين من كتابه لحياة نبي الإسلام صلى الله عليه وسلم في أخصب فترات جهاده ذات الثمر المأمول، ولا يستغرب ذلك لأن مواقف اليهود قد اختلطت بأعظم وقائع هذه الأحداث، فكانوا في الداخل عوْن المنافقين وساعدهم الأيمن، وكانوا في الخارج من أكبر الداعين إلى الغزوات في حروب أحد والخندق وكثير من السرايا، وإذًا لهم القاسم المشترك في جهود المنافقين والمشركين معًا.. كذلك مؤمراتهم المتعددة لاغتيال رسول الله صلى الله عليه وسلم، بإلقاء الحجر عليه تارة، وبأكل الطعام المسموم تارة أخرى من يدي ماكرة.. وبذلك جاءت فظائع الأمس مطابقة لأهوال اليوم، وكان «حيي بن أخطب وكعب بن أسد» وغيرهما قد عادوا اليوم في صور «وايزمان وابن جوريون وديان وشارون» وغيرهم (الهلال مارس ١٩٩٨ ص ٤٠-٤٢، مقال د/ رجب البيومي عن كتاب (د/ سيد طنطاوي) (مصدر سابق).

والملاحظ أنه عبّر عن فسادين، ولكنه وصف أحد العلوين بأنه (كبير). و«إذا» أداة ظرفية تدل على أن الأمر سيقع في المستقبل ولا علاقة له لما بعدها بما قبلها، فوجود كلمة «إذا» في الآية تدل على أن الفساد والعلو ثم التدمير الأول آت وأنه لم يمر. كما أن استعمال إذا -للمرة الثانية- يدل على أنها آتية لم تمر كذلك. ثم يقول الله تعالى في (آية ٥): ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَالَ الدِّيَارِ﴾ أي أن الذين سيتولون تدمير اليهود هم المؤمنون؛ إذ إن الله سبحانه وتعالى حين يصف كلمة «العباد» لذاته تكون في موضع التشريف ويخص بها المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الزمر: ٥٣، و﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ الإسراء: ١.

وأعظم منزلة للنبي صلى الله عليه وسلم أنه عبد الله ورسوله، وفي التحيات نقول: (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين)[1].

وهذا التشريف والتكريم الإيماني لا ينطبق على البابليين ولا على الرومان؛ لأنهم جميعًا وثنيين، وينطبق هذا الوصف على رسول الله وأصحابه، الذين جاؤوا إلى المدينة ولليهود نفوذ سياسي واقتصادي، وكان من أول أعماله صلى الله عليه وسلم في المدينة إبرام المعاهدة السياسية بينه وبين اليهود، والتي نصت على أن اليهود جماعة مستقلة، وأن المسلمين جماعة مستقلة، **فلما غدر اليهود ونقضوا العهد كعادتهم ودأبهم، سلّط الله عليهم المسلمين فجاسوا خلال الديار اليهودية، وتغلغلوا عليها، وأزالوهم عن المدينة وحنين وتيماء**، فزال سلطانهم، وتم تدمير علوهم، من خلال معارك بني قريظة وبني النضير ومعارك خيبر المشهورة.

وتأتي سورة الحشر تذكر هذا المعنى، في قوله تعالى في وصف معارك المسلمين مع اليهود في المدينة: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ الحشر: ٢.

الإفساد الثاني:

التدمير الأول كان إخراج اليهود من الحجاز، فخرج قسم منهم إلى أذرعات من أرض الشام، حتى تبدأ المرة الثانية في علوهم وفسادهم، ويقول الله تعالى: (وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا)،

---

(١) الشيخ أسعد التميمي (إمام المسجد الأقصى ومديره سابقًا) [زوال إسرائيل حتمية قرآنية] ص ١٨ ط المختار الإسلامي، بدون تاريخ.

يعني تدمير العلو الأول في عهد النبي صلى الله عليه وسلم والوحي ينزل، وأتمه أصحابه من بعده.

وتبدأ الآيات بعد ذلك تتحدث عن المرة الثانية في العلو والفساد، فتخبر الآيات بأن الله سبحانه وتعالى سيجعل لليهود الكرّة عليهم، على الذين جاسوا خلال الديار أول مرة، «والكرة» الدولة والسلطة. وحين أراد الله لليهود أن يكرروا استعمال كلمة «ثم»، وثم كما هو معروف معناها العطف مع التراخي والمهلة. فهل كرّ اليهود في التاريخ على البابليين وكانت لهم دولة وسلطة عليهم؟ لم يحدث ذلك في التاريخ ولن يحدث الآن ولا في المستقبل؛ حيث إن البابليين قد انقرضوا من الدنيا كافة، وليس لهم مكان يُعرفون به أو دولة يعيشون فيها.. إذًا لا بد أن تكون الكرّة على أبناء من جاسوا خلال الديار وهم المسلمون أو العرب المسلمون، فقد كر اليهود على بلاد الشام، وفلسطين[1] منها، وهذا هو الذي قد حدث.

والأقصى عند الله عظيم، ودنسوا مسجد الخليل عليه السلام، والخليل عند الله هو الجليل، وارتكبوا جريمة الجرائم في مسجد الخليل يوم أن عمدوا إلى كتاب الله فمزقوه وداسوه بالأقدام.

وهنا تأتي عقوبة الله لهم على ما اقترفوه من الإثم والجرائم، بتفسير من الآيات أن دولتهم لن يطول فسادها ولا علوها. فيقول الله (في الآية ٧ الإسراء): ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾. وهنا، حين يخبر الله عن زوال دولتهم استعمل كلمة «الفاء» للعطف ولم يستعمل «ثم»، والفاء للعطف مع التعقيب. والتعقيب لكل شيء بحسبه وما يناسبه. وهو يدل على السرعة في حصول المقصود: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣳٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟﴾، أي لذهاب علوهم الثاني، تصبح وجوه بني إسرائيل سيئة، ويبشرنا ربنا جلّت قدرته أننا سندخل المسجد الأقصى كما دخلناه أول مرة، وفي هذه الآية إشارة لطيفة على دخولنا المسجد مرتين. والمرتان حدثتا بعد نزول الآية المرة الأولى: الفتح العمري للمسجد حين دخله بسم الله والإسلام، والمرة الثانية هي هذه التي نحن على أبوابها؛ حيث سيدخل المسلمون فاتحين للمرة الثانية. ثم يقرر أننا سنتبّر، أي ندمر ونهلك علو اليهود المادي والمعنوي[2].

ومما تجدر الإشارة إليه هنا أن فلسطين لم تعرف العمارات ذات الطوابق التي تصل إلى عشرين طابقًا أو أقل أو أكثر، إلا في ظل اغتصاب اليهود لها. ولذلك فإن هذه العمارات الشاهقة التي

(١) نفسه ص١٩.

(٢) نفسه ص٢١.

يقيمونها في الأرض المباركة سيلحقها التدمير والخراب، ثم تمضي الآيات فتحذر اليهود من محاولة العودة للفساد والتعالي، فيقول الله (الآية ٨: الإسراء): ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، وقد تأتينا البشرى من الله بعد أن يفهمنا ربنا أن القرآن يهدي إلى الطريق السوي والحياة الصحيحة[١]، تأتينا ونعيشه الآن ويعاني منه المسلمين. واقرءوا معي بقية الآيات التي تمضي فتصف الواقع الذي نعيشه وتعيشه دولة اليهود: أي بعد أن جعل الله الكَرّة لليهود علينا، يقول الله تعالى لليهود: ﴿وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

وهنا نسأل مرة أخرى: هل أمدّ الله اليهود بأموال وبنين غير هذه المرة؟ لم نعرف أن ذلك قد حدث، واليهود منذ أن غضب الله عليهم وهم في بلاء متصل وعذاب مستمر. فقبل الإسلام كان عذاب البابليين والرومان. وبعد الإسلام أخرجهم المسلمون من الجزيرة، ثم بدأت أوروبا تعذبهم في إسبانيا وفي بقية أقطارها حتى جاء المسلمون فأنقذوهم من الإسبان، واستمر العذاب لهم حتى هذا القرن.

ولقد عاش اليهود في ظل دولة الإسلام عبر القرون آمنين مطمئنين، تحفظ لهم دماءهم وأموالهم، ولكنهم لم يحفظوا الجميل.

وحتى نرى مبلغ صدق الآية، ونرى إعجازها بأعيننا، نجد دولة اليهود اليوم تعيش على البنين الذين يأتونها من أطراف الأرض ليمدوها بالجند، وفي هذه الفترة من روسيا بالذات، ونرى الأموال من دول الغرب تأتيها بمساعدات مذهلة، حتى تستمر في عدوانها وطغيانها وجبروتها. ثم يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾، ولذلك فإن أكبر قوة عسكرية في الأرض تساند دولة اليهود في حال نفرتها وحربها[٢].

إذًا هذه هي المرة الثانية من العلو. فما بال الإفساد!؟[٣].

---

(١) نفسه ص ٥٢.

(٢) نفسه ١٩/ ٢٠.

(٣) تحدث الدكتور طنطاوي عن فظائع اليهود المتكررة وأساليبهم الدنيئة في القتل والاحتيال والتجسس وإثارة الفتن والحروب والثورات، وإشاعة الرذيلة، وتأليف الجمعيات السرية، والتستر خلف الأديان. وفي خاتمة كتابه قال إنه يقصد ذكر الواقع المعاصر للمساهمة في كشف المؤامرات الإجرامية التي قامت بها اليهودية العالمية في مختلف الأزمنة، هذا وقد علّق الدكتور البيومي قائلًا أيضًا: وهو تاريخ يجب أن يغيب عن أذهان الشبيبة الناشئة؛ حيث إننا نحن الكبار قد رأينا أكبر مأساة، وابتلينا بجحيم الواقع؛ مما أحرق القلوب وأدمى الأكباد.

وحتى يتحقق الفساد سنرى اليهود في دولتهم يرتكبون أفزع الجرائم؛ ولذلك يحذرهم الله فيقول لهم: (الآية٧: الإسراء): ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، وهذا الإحسان دنيوي يجازون عليه في الدنيا، كما جاء في قوله تعالى: (البقرة:٢٠٠): ﴿فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ البقرة: ٢٠٠.

واليهود أساءوا، فقتلوا النفس الإنسانية وعذبوها، ويتموا الأطفال، وسجنوا النساء، وهدموا البيوت، واغتصبوا الأرض، وأقاموا المستعمرات، وحرقوا الأقصى في ٢١ أغسطس سنة ١٩٦٩.

وحول البشرى بالنصر يقول (الآية ٩: الإسراء): ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.

وفي آخر سورة الإسراء آية أخرى تتعلق بهذا الأمر: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾.

(ولفيفا) أي جماعات ملتفة، (وهكذا يأتي اليهود مهاجرين إلى فلسطين)، وفي هذه الآية إنذار لليهود وبشرى لنا. فيقول الله في سورة الإسراء (الآية ١٠٥): ﴿ وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، فإذا ربطنا هذه الآيات وتفسيرها بالحديث الذي يدلنا على صدق النبوة، ومعجزة الرسول صلى الله عليه وسلم، حين أخبرنا عن قتال اليهود فيما رواه الشيخان البخاري ومسلم، وهو قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ولا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم، يا عبد الله، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود»، والغرقد شجيرة صغيرة كثيفة الأغصان تُزرع الآن في كل أنحاء فلسطين، ولا يزال أهل النقب بفلسطين يسمونها الغرقد، ولها أسماء أخرى في بقية أنحاء فلسطين، ويزرعها اليهود بأيديهم[١].

وهذا هو السبب في أنه لم تنجح المحاولات لتثبيت دولة اليهود، وذلك أنه منذ سنة ١٩٤٨، وكل محاولة للصلح وتثبيت دولة اليهود يفشلها اليهود أنفسهم، وذلك لأن اليهود لا يعالجون الأمر إلا بالحقد والتآمر والخديعة.

مقال د/ رجب البيومي (تحليل علمي لكتاب بنو إسرائيل في الكتاب والسنة) ص ٤٠/ ٤٣، مجلة الهلال، مارس سنة ١٩٩٨.

(١) نفسه ص ٢٢.

ويقرر الله أنه لا عقل عندهم، فيقول في سورة الحشر: (الآية ١٤): ﴿لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾. وذلك كله يجري حتى يأتي اليوم الموعود، يوم تتخلص المعركة من الأيديولوجيات المنافية للإسلام، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر في حديث فقال إن الحجر والشجر سينطق ويقول: «يا مسلم! يا عبد الله خلفي يهودي فتعال فاقتله»، إذًا لن يكون قتال النصر في فلسطين قتالًا يمينيًا ولا يساريًا، وإنما سيكون قتالًا إسلاميًا في سبيل الله كما كان دائمًا قتال النصر للمسلمين. ولذلك لا عجب أن لا ننتصر على اليهود حتى الآن؛ لأننا لم نقاتل بالإسلام.. ولأن النظم العربية تحكم بالربا وتبيح الزنى والخمر والميسر ولا تستعد لقتال عدوها، وقد ألغت الجهاد من حياتها وبرامجها، ويعيش الحكام جميعًا حياة غير إسلامية، وكان من المستحيل أن تنتصر الثورة الفلسطينية بوصفها الذي عليها؛ لأنها لم تتخذ الإسلام طريقًا وأسلوبًا ومنهجًا، والله يقول: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾، فما نصروا الله حتى يُنصروا؟!(١).

عوامل النصر التي تملكها الأمة:

قال الشيخ أسعد التميمي: (بيّنت الآيات والأحاديث التي شرحناها أن دولة إسرائيل لن تدوم، وأن زوالها حتمي، مهما حاول الكفر أن يطيل من عمرها أو يعطيها أدوية مصطنعة ليستمر بقاؤها، ولكن هل تزول إسرائيل بالدعاء وحده؟).

إن ذلك لا يقول به الإسلام؛ إذ لم يكتف رسول الله صلى الله عليه وسلم بالدعاء على الكافرين، وإنما جهز الجيوش وخاض المعارك وانتصر حينما كان أصحابه يتقيدون بالأمر الرباني، وكان ينهزم أصحابه حينما يخالفون الأمر كما حدث في (أحد)، حينما خالف الرماة أمر النبي صلى الله عليه وسلم، مما فتح الثغرة وانكشف ظهر المسلمين، فتسبب ذلك في هزيمتهم، أو حينما ينسون التوكل على ربهم ويعتمدون على قوتهم وحدها، كما حدث يوم (حنين) إذ أصاب الجيش الإسلامي الغرور بكثرة عدده واعتبر أن النصر للكثير ونسي أن النصر للكيف لا للكم، والكيف هنا (الإيمان)، والإيمان هو التوكل على الله وطلب النصر منه بعد إعداد العدة؛ لأن المسلمين في تاريخهم الطويل(٢) ومعاركهم الحاسمة لم ينتصروا بكثرة عددهم ولا العدة؛ ففي (بدر) و(الخندق) و(فتح إفريقية) و(فتح الأندلس) وفتح (الهند).. كان الجيش الإسلامي

---

(١) نفسه ص ٥٣.

(٢) نفسه ص ١٣٦/ ١٣٧.

دائمًا دون جيوش الكفار عددًا وعدة، وكانت جيوش الكفار تتفوق عليه بأعداد متضاعفة، ولكن النصر دائمًا كان حليفهم؛ لأنهم كانوا مع الله.

واليوم الأمة في معركة البقاء، طاقة لها مقومات متميزة وحضارة واضحة ورسالة هي المنقذة للبشرية، جاء عدوها لها بأعدائها اليهود فغرسهم في قلبها، في فترة غياب الإسلام عن المجتمع وعن الحكم، في فترة التفرقة وتعدد الرايات والدويلات.. في فترة سيادة الفكر العلماني.. وفجأة إذا بالإسلام يحرك النفوس من جديد، وإذا الشباب يصحون من غفوتهم ويستيقظون من سباتهم، وإذا هم متجهون إلى الله، يملأون المساجد ويتدارسون القرآن ويطلقون اللحى ويتفقهون في الدين!

وهكذا ستسير الأمة الدرب إلى النصر، وهي في طريقها تملك الأمانات الضخمة للنصر والغلبة وللتخلص من دولة اليهود.. وأسباب النصر هذه أوجز بعضها كما يلي[1]:

أولًا: تملك الأمة عقيدة راسخة وهي الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره، هذه العقيدة تربى عليها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم جنود الإسلام عبر التاريخ، فانتصروا بها، هذه العقيدة التي تجعل النصر من الله: ﴿وَمَا ٱلنَّصۡرُ إِلَّا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ الأنفال: ١٠، هذه العقيدة التي تقرر أن الأجل محدود، فلا يموت الإنسان إلا بانتهاء أجله، ولا تميته الحرب ولا المرض ولا تبقيه الصحة والنشاط: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ﴾ الأعراف: ٣٤، فكم من مريض عاش سنوات طويلة حتى ملّ الحياة من مرضه وملّه أهله، وكم من صحيح معافى مات ولا يملك الأطباء إلا أن يقولوا إنها السكتة القلبية. وهي في الحقيقة انتهاء الأجل.

وهذه العقيدة تجعل الشهادة في سبيل الله أسمى ما يطمح إليه المسلم؛ لما أخبرت به الآيات والأحاديث عن النعيم الذي يلقاه الشهيد في الجنة والحياة الكريمة التي يحياها بعد الموت: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَيَسۡتَبۡشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمۡ يَلۡحَقُواْ بِهِم مِّنۡ خَلۡفِهِمۡ أَلَّا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ آل عمران: -١٦٩-١٧٠.

والجهاد هو حياة الأمة، إن تركته ذلّت وغُزيت في عقر دارها، والشهادة نعيم لا يعدله نعيم.

---

(١) نفسه ص ١٣٨.

فأمة تملك هذه العقيدة لا تحرص على حياة الذل والهوان والمسكنة والاستسلام، أو الرضا بالأمر الواقع والخنوع للعدو الكافر.

ثانيًا: تملك الأمة الطاقة التي تحرك الآلة والأرض، فإذا صرفت هذه الطاقة عن العدو ركع بين يديها يطلب رحمتها![1].

ثالثًا: تملك الأمة وسائل التحكم في النقد العالمي، فلو كان حكامها على مستوى المسؤولية لأسقطوا الدولار، العملة المهيمنة في العالم بقرار يتخذ ألا يقبل ثمن البترول بالدولار، وأن يكون هناك دينار إسلامي يُدفع به ثمن البترول؛ إذ البترول في آسيا وإفريقيا ويملك المسلمون معظمه.

رابعًا: الأمة تملك العدد الوفير، فهي تملك أكثر من المليار من المسلمين، منهم ١٥٠ مليونًا من العرب. .. لكنها الكثرة التي عبّر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم: «.. بل أنتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل».

ولكن هذا الغثاء بدأ يرسب إلى القاع، وبدأ الجوهر يبرز على وجه المياه في الأمة في هذا الشباب المؤمن المتفتح القوي، الذي بدأ يستهين بالموت، وبدأت رياح الخير تهب، وستعصف بكل الفساد والفرقة والانحلال والضعف والهوان والوهن: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ ۖ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا﴾ الإسراء: ٥١.

خامسًا: تملك الأمة الأراضي الواسعة، التي تمتد عبر ثلاث قارات، ولكنها أرض مجزأة، فلو توحّدت لأعطت عمقًا إستراتيجيًّا يقصر العدو عن بلوغ مداه.

هذه الأمة بإمكانياتها هذه هل يعجزها اليهود؟ وما اليهود؟ لولا أن حدودهم محمية، فوالله لو دخلنا عليهم بأيدينا ما بقى منهم أحد. إننا سنقتلهم، بقدرهم جاءوا فظلموا وبطشوا حتى يبرر الله لنا قتلهم: ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ﴾ البقرة: ١٩١[2].

قال تعالى: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ

(١) نفسه ص ١٣٩/ ١٤٠.

(٢) نفسه ص ١٤٢.

وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴾ الإسراء الآيات: (٤-٨).

حاشية:

كتب الأستاذ نور الدين عبد الله يعني الشيخ التميمي قائلًا: (وفي الليلة الظلماء يفتقد البدر)، منذ زمن قريب رحل عنا المجاهد الكبير أسعد التميمي، إمام المسجد الأقصى ومديره سابقًا وصاحب كتاب (زوال اسرائيل حتمية قرآنية)، وهو أعظم مؤلف في هذا الموضوع.. رحل عنا الحبيب وقد قلّت الأحبة، رحل عنا الحكيم وقد ندر الحكماء، رحل عنا العالم المخلص وما أقل العلماء المخلصين، رحل عنا من عبد الله دون الطاغوت وما أكثر العلماء الذين يعبدون الطاغوت مع الله!! رحل عنا صاحب كلمة الحق الجهوري وما أكثر أصحاب كلمة الضلال الجهوري أيضًا! رحل عنا البدر ونحن في الليلة الظلماء نفتقده والعالم الإسلامي يعيش مرحلة من أدق مراحله، وقد ساد العالم تحالف اليهود والنصارى والكفار والمنافقين ضد أمة الإسلام، أمة محمد صلى الله عليه وسلم، ونحن في أشد الحاجة لمثل هذا العالم الجليل، المجاهد الداعي الصادق المخلص القوي الحكيم المبارك، وإحساسنا بالخسارة كبير، لكنه قضاء الله تعالى قد قضى، فاللهم اخلفنا خيرًا في مصيبتنا هذه، واللّهم أسكنا وإياه الفردوس الأعلى من الجنة مع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم). مجلة المختار الإسلامي ٦/ ١٠/ ١٩٩٨م.

مختصر تفسير «في نور القرآن الكريم»:

يقول زميلنا العزيز الدكتور محمد نبيل غنايم، أستاذ الشريعة الإسلامية بكلية دار العلوم، في تفسيره: (المعنى العام في هذه الآيات بيان الإنذار لله تعالى لبني إسرائيل، بعد أن حذرهم ألا يتخذوا من دونه وكيلًا، وألا يشركوا به، أوحى إليهم في التوراة وبيّن لهم أنهم سيخالفونها ويتركون هدايتها، يفسدون في فلسطين وبيت المقدس مرتين، ويطغون طغيانًا كبيرًا، أما المرة الأولى فحين يتركون شرع الله والتوراة ويقتلون أشعياء، وحينئذ يعاقبهم الله تعالى ويرسل عليهم بختنصرًا وجنوده الذين يقتلون بني إسرائيل ويفسدون كل شيء، ويمرون خلال الديار بحثًا عن أي هارب ليقتلوه، ثم يتوب بنو إسرائيل ويرجعون إلى الله فيحسن إليهم ويرزقهم أموالًا كثيرة وأبناء فتكون لهم الغلبة على بختنصر وجنوده، وتعود لهم الدولة، فإن ظلوا محسنين تائبين رحمهم الله، وإن أساءوا عاقبهم كما حدث، وقد أساءوا بعد حين وقت المرة الثانية، وقتلوا يحيى بن زكريا، وفكروا في قتل عيسى، فأرسل عليهم جنودًا آخرين أساءوا إليهم، ودخلوا المسجد الأقصى، ودمّروا وأهلكوا كل ما سيطروا عليه، فإن تابوا تاب الله عليهم، وإن عادوا إلى

الإساءة والإفساد مرة ثالثة عاد الله عليهم بالعقاب وإرسال الجنود، وفي الآخرة تحاصرهم جهنم بعذابها الأليم لكفرهم وطغيانهم، ثم إنهم عادوا فكذّبوا بمحمد صلى الله عليه وسلم، وأفسدوا بينه وبين قومه، فسلطه الله عليهم، فجرى عليهم القتل والأسر والجلاء وضرب الجزية وضرب الذلة والمسكنة، وهاهم يعودون إلى الإفساد في فلسطين، ووعد الله قائم، وسيسلطنا عليهم حتى نقضي عليهم كما قال تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾، وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: (بعث الله عليهم في الأولى جالوت، وبعث عليهم في الثانية بختنصر، فعادوا فسلّط الله عليهم المؤمنين). وعن قتاده في قوله: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ قال: فعادوا فبعث الله تعالى عليهم محمدًا صلى الله عليه وسلم، فهم يعطون الجزية وهم صاغرون)[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ ۖ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الأعراف: ١٦٧.

والمعنى (تأذن) تفعل من الآذان، أي أعلَمَ، قال مجاهد وقال غيره: أمَرَ. وفي قوة الكلام ما يفيد معنى القسم من هذه اللفظة؛ ولهذا أُتبعت باللام في قوله: (لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ)، أي على اليهود (إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ ۗ)، أي بسبب عصيانهم ومخالفاتهم أوامر الله وشرعه، واحتيالهم على المحارم، ويقال إن موسى -عليه السلام- ضرب عليهم الخراج سبع سنين، وقيل: ثلاث عشرة سنة، وكان أول من ضرب الخراج. ثم كانوا على قهر الملوك والكشدانيين والكلدانيين، ثم صاروا إلى قهر النصارى وإذلالهم إياهم، وأخذهم منهم الجزية والخراج، ثم جاء الإسلام ومحمد صلى الله عليه وسلم، فكانوا تحت قهره وذمته يؤدون الخراج والجزية، وقال ابن عباس: (هي الجزية والذين يسومونهم العذاب **محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته إلى يوم القيامة**). وكذا قال سعيد بن جبير وابن جريج وقتادة[2].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ الإسراء: ٤- ٥.

بعض كتب التفسير:

ويمنهج انتقائي سنعرض لبعض تفسيرات أخرى:

---

(١) أ. د/ محمد نبيل غنايم (في نور القرآن الكريم) جـ٢ ص ١٠٣/ ٠١٤ ط دار الهداية ١٤٤٤هـ٢٠٢٢م.

(٢) مختصر تفسير القرآن الكريم، المسمى عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد محمد شاكر -أتمه: أنور الباز - جـ٢ ص ٦١، دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

يقول ابن تيمية: (فكان ظهور بني إسرائيل على عدوهم تارة من دلائل نبوة موسى عليه السلام، وكذلك ظهور أمة محمد صلى الله عليه وسلم على عدوهم تارة، وظهور عدوهم عليهم تارة، هو من دلائل رسالة محمد صلى الله عليه وسلم وأعلام نبوته.

وفي قوله تعالى: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾.

المعنى عند الإمام ابن عاشور: (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم، أننا نرد لكم الكرة لأجل التوبة وتجدد الجيل وقد أصبحتم في حالة نعمة، فإن أحسنتم كان جزاؤكم حسنًا، وإن أسأتم أسأتم لأنفسكم، فكما أهلكنا مَنْ قبلكم بذنوبهم فقد أحسنّا إليكم بتوبتكم، فاحذروا الإساءة كيلا تصيروا إلى مصير مَنْ قبلكم) الإسراء: ٨.

وفي تفسير قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾، وتفسيرها عند الإمام السعدي: (في هذه الآيات التحذير بهذه الأمة من العمل بالمعاصي لئلا يصيبهم ما أصاب بني إسرائيل، فسنّة الله واحدة لا تُبدّل ولا تُغيّر، ومن نظر إلى تسليط الكفرة على المسلمين والظلمة عرف أن ذلك من أجل ذنوبهم عقوبة لهم، وأنهم إذا أقاموا كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مكّن لهم في الأرض ونصرهم على أعدائهم)[1].

هذا، ونحن نعلم أن أولئك المفسّرين لم يشاهدوا قيام دولة إسرائيل في عصرنا.

تفسير الأستاذ مجدي أحمد حسين:

يذكر الأستاذ مجدي أحمد حسين في تفسيره أن آيات سورة الإسراء لم تحدد أي مواعيد ولا ذكر للكيان الإسرائيلي الذي لم يكن موجودًا في فلسطين ساعة نزول الآيات. ولكن الآيات تذكر أن علو وفساد بني إسرائيل مصيره إلى البوار والانسحاق، وهذه سنة عامّة من سنن الله تعالى في خلقه. والمفسرون القدامى لم ينشغلوا بموضوع إسرائيل لأنها لم تكن موجودة، وأجمعوا تقريبًا أن الإفساد والعلو مرتين مذكور في التوراة، أي أنه إنباء عن أمور حدثت في الماضي قبل نزول القرآن الكريم. وأيضًا ينضم إلى ذلك كثير من المفسرين المعاصرين، ولكن البعض انشغل ليثبت أن العلو والإفساد الثاني هو الذي تمثله إسرائيل الآن؛ ليكون بذلك حكمًا قرآنيًا بزوال إسرائيل[2].

---

(١) (القرآن تدبر وعمل) ص٢٨٣ مركز المنهاج للإشراف والتدريب التربوي، الطبعة العاشرة ربيع ثان ١٤٤٢هـ - الرياض.

(٢) وأشار في المقدمة إلى دراسة للمؤرخ الفلسطيني الكبير وليد الخالدي، أن العلو الأول كان في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة. وأننا نعيش الآن العلو الثاني لليهود في فلسطين مع الوعد الإلهي بالنصر عليهم. والمقال الآخر كان في دراسة للشيخ أسعد بيوض التميمي، الإمام السابق للمسجد الأقصى، بعنوان: (زوال إسرائيل حتمية قرآنية).

بعد انتهاء الحديث عن العلو الثاني وتدمير الكيان الإسرائيلي، جاءت فورًا الآية ٨ التي تبدأ بـ: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، ومعنى هذا أن إفساد بني إسرائيل لن يقتصر على هاتين المرتين التي كتبهما الله في التوراة؛ ولذلك جاء هذا التهديد: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، وهو واضح ونموذج على يسر القرآن الكريم وقدرة الجميع على فهمه؛ ولذلك قال الشيخ الشعراوي في إحدى إشراقاته وما أكثرها: **(هل أفسد اليهود مرتين فحسب عبر التاريخ، بل أفسدوا مرارًا، وإنها دائرة ستظل تدور حتى نهاية العالم)**، القضاء التام على اليهود وخطرهم معناه نهاية العالم، وهذا صحيح، ولكن القرآن لم يقل بذلك.. وعندما يقول القرآن الكريم ليظهره على الدين كله لا يعني إنهاء باقي الأديان، ولكن أن يصبح الإسلام هو الأعلى ماديًّا وعمليًّا وروحيًّا، وهذا يحدث الآن رغم هوان كثير من المسلمين، والقرآن قال أيضًا: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾، أي على عكس نظريات الغرب الفارغة عن نهاية التاريخ، وأن القرآن لا يقول بذلك، بل بحالة دائرية صاعدة هابطة ولكنها دائرية، وكأنها تماثل الأفلاك في السماوات العُلا. وعد الله المؤمنين بالنصر على التجبر الإسرائيلي صريح تمامًا في الآية ٨: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا)، وقد عادوا بالفعل مرات عديدة، وهو ما يتحدث عنه المفسرون القدامى والمعاصرون، ولكن الآية ٨ لا تتحدث عن مواعيد، ولكن عن حتمية إزالة التجبر اليهودي عن طريق عباد الله.. ورغم أن هذا القانون العام يؤكد عليه القرآن الكريم مع كل طغيان واستكبار، إلا أنه خصَّ بني إسرائيل بهذه الآيات وبكل هذا الاهتمام في القرآن الكريم **(قصة موسى وفرعون وبني إسرائيل تمثل واحدًا على ١٤ جزءًا من القرآن. إحصاء قمت به شخصيًّا).**

ورغم أن اليهود يشكلون ١٪ من عدد البشر، ولكننا نرى مدى خطرهم في مجريات أحداث العالم. وقد حذر القرآن المؤمنين منهم خاصة: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾

وهذا صراع مستمر إلى يوم الدين، وسوف نزيل إسرائيل بإذن الله، وهذا يقين. ثم يجمع اليهود أنفسهم من جديد بعد قرن أو قرنين من الزمان وهكذا، وحتى وهُمْ مشتتون فقد آذوا البشرية جميعًا؛ ولذلك انصبّت عليهم كراهية البلاد الأوروبية ولم يتحملهم ويستوعبهم سوى العرب والمسلمين!

أخيرًا الآية ٨، والذي تنتهي بعذاب الآخرة، نؤكد في البداية أن أي تجبر إسرائيلي جديد سيُزال بعباد الله وبتأييد منه سبحانه وتعالى. وهذا يكفي لنطمئن بنهاية إسرائيل، لكن بالجهاد حتى نتمكن من أن نجوس خلال الديار ونقضي على ظلمهم... **وأكرر أن معركتنا مع اليهود**

وسائر أعداء الإسلام مستمرة إلى يوم الدين. وعندما تناول الحديث عن بني إسرائيل في القرآن لا بد من جمع كل الآيات الخاصة ببني إسرائيل وقراءتها وتحليلها معًا، وهذا ما يسمى التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، حتى لقد نسي الجميع تقريبًا هذه الآية التي تؤكد ما نقول، وأنه لا توجد معركة واحدة مع اليهود وتنتهي القصة؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الأعراف: ١٦٧.

والواضح أنهم اليوم يقعون تحت القانون الإلهي المتمثل في قوله تعالى: (وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا) الإسراء ٨، وها هم قد عادوا إلى الإفساد والعلو والطغيان وسنة الله تعالى أن يعود عليهم بالعقوبة التي تردعهم وتؤدبهم وتعرفهم قدر أنفسهم، كما قال الشاعر: (إن عادت العقرب عدنا لها... بالنعل والنعال لها حاضرة)، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ الأعراف: ١٦٧[1].

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة: ٦١.

ومعنى الذلّة والمسكنة في تفسير الإمام ابن كثير: (يقول تعالى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، أي وضعت عليهم وأُلزموا بها شرعًا وقدرًا، أي لا يزالون مستذلين، من وجدهم استذلهم، وأهانهم، وضرب عليهم الصغار، وهم مع ذلك في أنفسهم أذلاء مستكينون، قال الحسن: أذلهم الله فلا منعة لهم، وجعلهم تحت أقدام المسلمين، ولقد أدركتهم هذه الآية وإن المجوس لتجبيهم الجزية.

وقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾، قال الضحاك: استحقوا الغضب من الله، وقال ابن جرير، يعني بقوله: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ﴾ انصرفوا ورجعوا ولا يقال «باء» إلا موصولة. إما بخير وإما بشر، يقال منه باء فلان يبوء به بوءًا يبوء به بوءًا وبواء، ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي﴾ المائدة: ٢٩.

---

(١) مجدي أحمد حسين –باحث إسلامي وكاتب صحفي– دراسة جديدة لمجدي حسين. تفسير الآيات الأولى من سورة الإسراء: هل حقًا نحن نعيش في مرحلة العلو والإفساد الثاني؟ اترك تعليقًا/ كتب بواسطة Magdy Hassan ١٠ يوليو ٢٠٢٣ (باختصار شديد).

يعني تنصرف متحمّلها وترجع بها، قد صار عليك دوني. فمعنى الكلام إذًا: فرجعوا منصرفين محمّلين غضب الله، قد صار عليهم من الله غضب ووجب عليهم سخط الله.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ البقرة: ٦١.

يقول تعالى هذا الذي جازيناهم به من الذلة والمسكنة وإحلال الغضب بهم، بسبب استكبارهم عن اتباع الحق وكفرهم بآيات الله وإهانتهم حملة الشرع -وهم الأنبياء وأتباعهم- فانتقصوهم حتى أفضى بهم الحال إلى أن قتلوهم، فلا كفر أعظم من هذا، إنهم كفروا بآيات الله وقتلوا الأنبياء بغير حق.

ولما ارتكب بنو إسرائيل ما ارتكبوه من الكفر بآيات الله وقتل أنبيائهم أحلّ الله بهم بأسه الذي لا يُرد، وكساهم ذلًّا في الدنيا موصولًا بذلّ الآخرة جزاء وفاقًا... وقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾، وهذه علّةٌ أخرى في مجازاتهم بما جوزوا به، أنهم كانوا يعصون ويعتدون، فالعصيان فعل المناهي، والاعتداء المجاوزة في حد المأذون به أمر المأمور به. والله أعلم)[1].

وقول تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ﴾ المائدة: ٦٤، يعني أنه لا تجتمع قلوبهم، بل العداوة والبغضاء واقعة بين فرقهم بعضهم في بعض دائمًا؛ لأنهم لا يجتمعون على الحق، وقد خالفوك وكذبوك، وقال إبراهيم النخعي: (وألقينا بينهم العداوة والبغضاء)، قال: الخصومات والجدال في الدين.

وقوله: ﴿كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ﴾، أي: كلما عقدوا أسبابًا يكيدونك بها، وكلما أبرموا أمورًا يحاربونك بها يبطلها الله، ويرد كيدهم عليهم، ويحيق مكرهم السيئ بهم؛ ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ﴾، أي من سجيتهم أنهم يسعون في الإفساد في الأرض، والله لا يحب من هذه صفته[2].

---

(١) (مختصر تفسير القرآن العظيم) المسمى عمدة التفسير عن الحافظ بن كثير، اختصار وتحقيق: أحمد شاكر- دار الوفاء بالمنصورة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

(٢) نفسه ص ٦٢٢.

من تفسير (المنار):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾ من الآية ٦١ البقرة، والمعنى -في تفسير المنار-: (الذلة، والذلّ خلق خبيث من أخلاق نفس الإنسان يضاد الإباء والعزة.. فضرب الذلة والمسكنة على اليهود، هو جعل الذل وضعف العزيمة محيطين بهم كما تحيط القبة المضروبة بمن فيها. أو إلصاقها بطباعهم كما تطبع الطغرى على السكة؛ ﴿وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ أي رجعوا به، كما يقال رجع أو عاد بصفقة المغبون، إذا كان ذلك آخر صوته ومنتهى سعيه، وكذلك كان آخر أطوار اليهود في بغيهم أيام ملكهم، والمراد به فقْدُ الملك وما يتبعه. وقال شيخنا استحقوا غضبه، ومن استحق فقد غضب الله عليهم، ونكير الغضب عليهم دلالة على أنهم نوع عظيم من سخطه جل شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ﴾ (أقول): أي ذلك العقاب بضرب الذلة والمسكنة وبالغضب الإلهي بسبب ما جبلوا عليه من الكفر بآيات الله إلخ -فإنهم بإخراجهم لموسى عليه السلام وإعناتهم له في المطالب، مع كثرة ما شاهدوا من العجائب، وما أظهر الله لهم من الغرائب، قد دلوا على أن لا أثر للآيات في نفوسهم، فهم كافرون بها في الحقيقة ونسيان الآيات وعدّها كأن لم تكن، يعده الكتاب العزيز كفرًا كما قال شيخنا: (ويقتلون النبيين بغير الحق)، مع أن الكتاب يحرم عليهم قتل غير الأنبياء، فضلًا عنهم إلا بحقه المبين فيه، كل ذلك دلّ فيهم على طباع بعيدة عن الكرم. وقلوب غلف دون الفهم، ومن كان هذا شأنه لأجدر به أن يكون ذليلًا مقهورًا، ثم هو مهبط غضب الله ومحطّ نقمه؛ لأنه أشد الناس كفرًا لنعمه. وقوله: (بغير الحق)، مع أن قتل النبيين لا يكون إلا كذلك، يزيد في شناعة حالهم، ويصرح بأنهم لم يكونوا مخطئين في الفهم، ولا متأولين للحكم، بل ارتكبوا هذا الجرم العظيم عامدين، وهم يعلمون أنهم بارتكابهم مخالفون لما شرع الله تعالى لهم في كتاب دينهم[1].

﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾، قال الأستاذ:[2] (ذلك الذلّ وتلك الخلافة بالغضب إنما لزمهم لأنهم عصوا الله فيما أمرهم أن يأخذوا به من الأحكام، لأنهم اعتدوا تلك الحدود التي حدّها الله لهم في شرائع أنبيائهم، وقد كانت تلك الأحكام والحدود هي الوسيلة لإخراجهم من الذلّ وتمكين العز والسلطان لهم في الأرض الموعودة؛ لأنها كانت الكافلة لنظامهم، الحافظة لبناء

---

(١) تفسير القرآن الحكيم ط٤ سنة ١٣٧٣هـ جـ٦ ٣٣٢/ ٣٣٣، أصدرتها دار المنار.

(٢) نفسه ص٣٣٣.

جماعتهم، فإذا أهملوها فسدت ألفتهم وانهدم بناؤهم، وأسرعت إليهم الذلة التي لم تكن فارقتهم، إلا منهزمة من يدي سلطان الشريعة. ولم يكن يصيّرها عنهم إلا معاقل النظام تحت رعايته، ولزمتهم الذلّة والمسكنة بعد هذا لزوم الطابع للمطبوع)[1].

وفي تفسير قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ ۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾ البقرة: ٤٩.

ينسب الشيخ رشيد رضا إلى الإمام محمد عبده تفسيره لتلك الآية؛ إذ قال: (وأنواع البلاء التي ذكرتها اليهود في القرآن كانت لشعب إسرائيل من حيث هو شعب إسرائيل؛ لأن الجرائم التي كان البلاء عقوبة عليها إنما كانت من مجموع الشعب، من حيث هو شعب إسرائيل. ثم إن الله تعالى كان يتوب على الشعب بعد كل بلاء ويفيض عليه النعم، فتكون العقوبة تربية وتعليماً تفيد المعتبرين بها نعمة وسعادة).

ثم تأتي العبارة التالية لتعليق -يبدو أنه للشيخ رضا- فيستطرد: (لا أقول إن هذا الخطاب إيماء أو إشارة للمخاطبين بأن يستحضروا تاريخ أمتهم الماضي ليتذكروا صنع الله تعالى فيهم فيعتبروا بما أصابهم من نعماء وضراء، وسعادة وشقاء، ويتفكروا فيما حلَّ بهم من بعدهم، وما ينتظر أن يحلَّ بهم، ويرى أن الآية مقصودها أمتنا أيضًا للدرس والعبرة).

وحدة المسلمين وعزة ماضيهم وذلة حاضرهم وما يجب عليهم (التفسير ج ١):

وبقوله لنا الله تعالى، هذا بما قضى علينا من أخبار الأمم، وأنعم على أمتنا التي لا تختص بشعب ولا جنس-بهذا القرآن الكريم، فكان لهم به نعم لا تُحصى، تُعرف من الكتاب والسنة، منها أنهم كانوا أعداء فألف بين قلوبهم فأصبحوا بنعمته إخوانًا، ومنها أنهم كانوا مستضعفين فمكّن لهم في الأرض، وأورثهم أرض الشعوب القوية وديارهم، وجعل لهم السلطان عليهم، ومنها أنه جعلهم أمة وسطًا لا تفريط عندها ولا إفراط، ليكونوا شهداء على الناس الذين غلوا وأفرطوا، والذين قصروا وفرطوا. ثم لما كفرت بأنعم الله أنزل بها ألوانًا من البلاء والنقم بعنوان الأمة. فإن التتار إنما نكّلوا بها وتبّروا ما علوا تدبيرًا؛ لأنها الأمة الإسلامية، ثم زحف عليها الغربيون أيام حروب الصليب وجاسوا خلال الديار؛ لأنها الأمة الإسلامية، ثم إن الفتن لا تزال تحلّ بديارها وتنقصها من أطرافها، وسوْط عذاب الله **يصبّ عليها بعنوان الأمة**

---

(١) نفسه ص٣٣٣.

الإسلامية، وقد مرت عليها قرون وهي لا تعتبر بما مضى، ولا تتربى بما حضر، بل جهلت الماضي فحارت في الحاضر، لا تعرف سببه ولا المخرج منه[1].

تفسير المؤمنين [2]:

قال تعالى: ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ تصلون إلى مجد عظيم تستعملونه للإفساد؛ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا﴾، إذا جاء تحقيق الوعد الأول وبلغتم المجد العظيم ثم فسدتم، فسوف يدمركم الله بعباد له أقوياء أشداء يأتون دياركم ويمتلكونها ويذهبون ويأتوكم فيها دون خوف منكم. ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ﴾، عدتم وتغلّبتم على أعدائكم بعد أن استقمتم على دينكم؛ ﴿نَفِيرًا﴾: جنودًا وأتباعًا. ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْآخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ عدتم إلى بغيكم أعاد الله عليكم الوبال والهزائم واستباحة الديار؛ ﴿حَصِيرًا﴾: مكانًا محصورًا حبسًا وسجنًا؛ ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: أن القرآن ما جاء إلا ليبين للناس أعدل طريق وأصوبه؛ ليزيل عن ظهور الناس كل بغي، ويحقق فيهم العدل المطلق، فأين العاقلون الذين يهتدون بهديه ويخرجون بتطبيقه من الشقاء الذي يعم الناس إلى الخير الذي يمكن أن يملأ حياة الناس أمنًا وسلامًا وريًّا؟!

وفي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ آل عمران: ١١٨.

ومعنى الآية: (وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ): يتمنون لكم أشد الضرر والمشقة وعداوتهم تظهرعلى أفواههم، لكن صدورهم تخفي أكبر بكثير مما يفلت من ألسنتهم، وأن تصابوا بمصيبة أو انكسار يفرحوا ويرقصوا، كما فعل الغرب كله حين خرج الناس يرقصون في شوارع العواصم كلها عندما انهزمنا عام ١٩٦٧، ووقف ابن تشرشل يقول: (وافرحتاه، لقد سقطت القدس ولن تعود إلى المسلمين أبدًا)، واجتمع اليهود والنصارى لأول مرة في التاريخ في صلاة واحدة في ألمانيا الغربية فرحًا بهزيمتنا!![3].

***

(١) تفسير المنار جـ١ ص ٣٠٩/ ٣١٠.

(٢) تفسير المؤمنين، عبد الودود يوسف ص ٢٢٥ ط المؤسسة العلمية – دمشق ١٣٩٠هـ – ١٩٧٥م.

(٣) نفسه ص ٥١/ ٥٢.

الفصل الثاني

توقعات بعض الدراسات المعنية بالقضية الفلسطينية ومصير إسرائيل

سنعرض لآراء بعض العلماء والمحللين عن مصير إسرائيل بناء على دراسة المجتمع الإسرائيلي من الداخل، وصلتها بالدول العربية وغيرها من العوامل التي ترجح -في مجموعها- عوامل الزوال عن عوامل البقاء والاستمرار.

وهم عند إبداء توقعاتهم عن المصير يفرقون بين إسرائيل، كدولة استعمارية استيطانية حسب واقعها الحالي، وبين (المجتمع اليهودي) الذي يمكن قبوله كجزء من أجزاء المجتمعات الأخرى التي تجمعه ضمن رعاياها الآخرين، فإن التاريخ الإسلامي يشهد بأنهم كانوا يعيشون في حماية الخلافة الإسلامية في كافة أدوارها وحتى الخلافة العثمانية الأخيرة؛ إذ إن (العدل) هو القيمة العليا للحضارة الإسلامية باعتراف كل الدارسين من المسلمين وغير المسلمين على سواء!!

يقول الأستاذ محمود محمد شاكر: (فقدر رحمناهم يوم اضطهدوا، وآويناهم أيام شرّدوا، وأفسحنا لهم بلادنا وقد طردتهم الأمم المسيحية القديمة طرد الكلاب الجربى، ولكنهم أنكروا ذلك ونسوه، وعضوا اليد التي مسحت آلامهم وجروحهم على مر العصور. ونعم ما فعلت يهود، فإنها أيقظتنا من غفلتنا)!![1].

ويقتضي الإنصاف إبراز ما امتازت به الخلافة العثمانية من التسامح الديني؛ حيث شملت جميع رعاياها من اليهود والنصارى[2]، وفق مبدأ العدل، فإن حضارة الإسلام استطاعت خلال أقل من قرن أن تسيطر على جميع الشعوب الممتدة من وسط آسيا حتى نهاية غرب البحر المتوسط. ويقول الدكتور حامد ربيع: (أن إيديولوجيتها واضحة ومحددة: نشر الدعوة، وفرض السلام الإسلامي حيث استطاعت وكفل لها الاستمرارية التاريخية)[3].

---

(١) جمهرة مقالات الأستاذ محمود شاكر، مكتبة الخانجي بالقاهرة ٢٠٠٣م.

(٢) د/ زغلول النجار (الإسلام والغرب في كتابات الغربيين) ص ٧٨ نهضة مصر سنة ٢٠٠٧م.

(٣) د/ حامد ربيع (سلوك المالك في تدبير الممالك) جـ١ ص ١١٩، دار الشعب بالقاهرة ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

حاشية: تحت عنوان (برقيا) كتبت مجلة المختار الإسلامي في ٦/ ١٠/ ١٩٩٨، تقول: (توقع الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس الفلسطينية أن يكون زوال إسرائيل في الربع الأول من القرن القادم، ودعا الشيخ ياسين إلى مواصلة الكفاح المسلح ضد إسرائيل لتحرير كامل التراب الفلسطيني) ص ١٣.

١- الدكتور حامد ربيع:

ويحدد الدكتور حامد ربيع الهدف من حروب الاستنزاف بطريقة دورية ومتتابعة، هذا الهدف يتمثل بأننا لا نريد أن نقضي على المجتمع اليهودي، بل على الدولة الإسرائيلية، وأن المجتمع الإسرائيلي مستقبله مقيد استيعابه في المجتمع العربي ليصير جزءًا من أجزاء ذلك المجتمع -كما هو حادث- سواء في المجتمع الأمريكي أو المجتمع الروسي، وهو يصف المجتمع الإسرائيلي بأنه مجتمع صالح لعمليه الإذابة والتآكل الذاتي بسبب الظواهر التالية:

أولًا: الخلاف العميق بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين.

ثانيًا: الصدام بين اليهود والأقليات الأخرى العربية من مسلمين وغير مسلمين.

ثالثًا: الصراع رغم ضعفه بين الصهيونيين وغير الصهيونيين.

رابعًا: التنافس الحادّ بين الحركة الصهيونية الاشتراكية العلمانية والصهيونية الدينية اليمينية المحافظة[١].

إن حرب التحرير الشعبية، أو ما يمكن أن يسمى حركة الرفض في داخل أرض فلسطين، هي حق مشروع. بعض المحللين يطرح التساؤل: هل حركة الرفض في فلسطين هي أقدم حركات الرفض في العالم المعاصر؟

ولنتذكر أن الانتفاضة لا تسمح بالقبول بأنصاف الحلول، إن معناها امتداد الحق الفلسطيني على الأرض المحتلة، وعلى كل أرض «فلسطين»، التي تستوعب في تلك اللحظة كل ما يمكن أن يسمى بالأرض الإسرائيلية[٢].

٢- الأستاذ عباس محمود العقاد:

يقول الأستاذ العقاد: (إن الحقيقة التي تبدو لأول نظرة، ثم تبدو مؤكدة ومرددة بعد مئة نظرة أن إسرائيل لا تحتمل البقاء مع مقاطعة العرب لها، فإذا قاطعها العرب وثابروا على مقاطعتها،

---

(١) د/ حامد ربيع (قراءة في فكر علماء الإستراتيجية: إدارة الصراع العربي الإسرائيلي) ص ١٤٤.

(٢) نفسه ص ١٣٧/ ١٣٨ باختصار.

فليس في الأرض قوة تنصرها عليهم، وليس بالعرب من حاجة إلى سلاح يدفعون به خطرها أمضى من هذا السلاح[1].

ولا تحتاج عبارته إلى شرح فيما يتصل بالمقاطعة العربية، التي من شأنها الانتصار على الكيان الصهيوني.

أما داخل إسرائيل، فإن الأستاذ العقاد يُعْنَى ببيان ضعف الحماس الذي دفع الأجيال الأولى لإنشاء الدولة كباعث نفسي كان يسوق اليهود إلى فلسطين عقب الحرب العالمية الأولى من جهة، ويغذّيه الاضطهاد من جهة أخرى، فلما فتر الأمل وزال اضطهاد النازية والفاشية ضعف الباعث النفساني الذي كان يومًا من الأيام كرأس مال الحركة كلها، وأصبح الصهيونيون يستغيثون بأبناء ملتهم ليعودوا إلى تلك الحماسة فلا يسمعون لهذه الاستغاثة صداها الذي تعوّدوا؛ لأن الحماسة المصطنعة لن تغني غناء الحماسة المطبوعة بغير كلفة أو تدبير[2].

ويعود الأستاذ العقاد ليؤكد -بطريقة أخرى- عامل مقاطعة ومقاومة الدول العربية، ذلك لأن الاستعداد الحربي في إسرائيل أقوى من كل استعداد في الأمم الأخرى، بالنسبة إلى عدد سكانها، وهذه ضرورة لا محيد عنها، وعبء فادح لا يتأتى لها أن تخفف منه ما دامت البلاد العربية تقاومها وتقاطعها، فإن حدودها البرية تزيد على ست مائة ميل لا بد لها من الحراسة الدائمة وخطوط الدفاع المستمرة. ولكن مهما تصنع من دروب الحيطة فالأعباء أكبر من الطاقة؛ إذ يكلفها الكثير، ويلجئها إلى نظام من التجنيد ثقيل الوطأة على مواردها البشرية والاقتصادية.. فمن الرابعة عشرة ينتظم الذكور في فرقة الشباب إلى الثامنة عشرة، ثم يدعى الذكور والإناث في الثامنة عشرة إلى التجنيد للخدمة العامة، ومنها الخدمة في الطيران، ويظل النساء بعد انتهاء الخدمة العامة أربع عشرة سنة رديفًا تحت الطلب، وتتضاعف هذه المدة بالنسبة للذكور، فيدعون خلالها شهرًا كل سنة للتدريب.

هذا الاستعداد فيه من عوامل الضعف بمقدار ما فيه من عوامل القوة، **وإذا انهزم جيش كهذا في القتال فهي هزيمة الأمة كلها، وفناؤها بالعدد والعدة،** وهي نكبة لا يتعرض العرب لمثلها؛

(١) عباس محمود العقاد (الصهيونية العالمية) ص ١٥٦ وص ١٦٨، باختصار كتاب مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ.

(٢) عباس محمود العقاد (الصهيونية العالمية) ص ١٥٦ وص ١٦٨، باختصار كتاب مجلة الأزهر، جمادى الآخرة ١٤٤٥هـ.

لأنهم يزيدون على أربعين مليونًا (أي وقت تأليف الكتاب)، وقد زاد عددهم الآن، ومن ثم يستطيع العرب أن يخصصوا للتجنيد في عدة إسرائيل كلها برجالها ونسائها وأطفالها ثم يخلفوه بغيره وبغيره دون أن يستنفدوا ما عندهم من وسائل المقاومة والثبات[1].

وبعد عرض تحليلي مستفيض للعلاقة بين إسرائيل وأمريكا وانعكاس ذلك على عداوة العرب والعالم الإسلامي، يقول الأستاذ العقاد: (والمسالة في جوهرها أكبر من مسألة الخلاف الحاضر بين العرب وإسرائيل، فإنما هي مسألة الموازنة بين نتيجتين لا معدى عن إحداهما على تعاقب الأيام، فإما أن تذهب إسرائيل من حيث أتت، وإما أن تبقى الأمم العربية فريسة لإسرائيل، تأكل من لحمها ودمها وتحول بينها وبين التقدم؛ لكي تأمل مزاحمتها اليوم وغدًا، وإلى آخر الزمان في ميدان الصناعة والتجارة والارتقاء على الإجمال، **وذهاب إسرائيل من حيث أتت أهون النتيجتين وأدناهما إلى المعقول، وذهابها من حيث أتت نتيجة محتومة في مصير صهيون**)[2].

٣ - الدكتور جمال حمدان:

ومن منظور علم الجغرافيا السياسية عرض الدكتور جمال حمدان للقضية الفلسطينية تاريخيًّا؛ من حيث ارتباط إسرائيل بالإمبريالية العالمية، وقد اهتم اهتمامًا شديدًا بإثبات الصلة الحميمة بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. **وهو يرى على المدى البعيد حتمية زوالها، ولكنه ينبهنا إلى ضرورة عدم تركها بغير حروب دورية لعرقلة خططها وعدم السماح لها بترسيخ أقدامها والتوغل في التهام الأراضي الفلسطينية، وردعها حتى لا تستمر في قتل الفلسطينيين ومصادرة أراضيهم واعتقالهم لغير سبب، كما ظلت تفعل منذ تأسيسها عام ١٩٤٨.**

وإذا كانت إسرائيل ملتحمة كلية في الوقت الحالي بالولايات المتحدة، فإنه ليس من الواضح تمامًا من الذي يستعمر من؟! فإسرائيل تبدو اليوم وكأنها أمريكا في الشرق الأوسط، أو قاعدة أمريكية، ولكن في نفس الوقت تمارس الصهيونية العالمية لحساب إسرائيل نفوذًا وضغطًا غير متناسب على الولايات المتحدة.. ومما لا شك فيه أن إسرائيل تمثل أخطر تحديات الاستعمار في

---

(١) نفسه ص ١٦٨.
(٢) نفسه ص ١٧٤.

التاريخ العربي، ولعلها أعلى مراحله في الوطن العربي، بمثل ما أن الصهيونية العالمية هي أعلى مراحل الإمبريالية العالمية[١].

ويقرر الدكتور جمال حمدان أن مصير إسرائيل الصهيونية سيحدد في نهاية المطاف مصير الإمبريالية العالمية، فما دامت إسرائيل باقية فإن الإمبريالية ستظل مقيمة في العالم الثالث، ولكن يوم تزول إسرائيل فسوف تكون تلك بداية النهاية المطلقة للإمبريالية.. ومما يفسر وحدة المصالح والمصير المطلقة بين إسرائيل والولايات المتحدة زعماء الأخيرة، أن ضمان بقاء إسرائيل يمثل مصلحة بقائية للولايات نفسها.. **ثم يؤكد أيضًا أن مشكلة فلسطين هي أعقد وأخطر مشكلات عصرنا جميعًا**[٢].

كذلك يرى الثورة التحريرية واجبة؛ لأن الاستسلام للعدوان لا يزيد المعتدي إلا طغيانًا وانتقامًا، بينما المواجهة الصلبة المستمرة تؤدي إلى أن تنكسر موجته وترغمه في النهاية على التعقل...[٣].

وله تشبيه آخر وهو: ولقد قيل إن أمريكا هي إسرائيل الكبرى، بينما إسرائيل هي أمريكا الصغرى، وهو تشبيه صحيح جدًّا في أكثر من معنى.

ولعل أفضل سبيل لاختصار مجمل تحليلاته المستفيضة، هو الاكتفاء بعرض السؤال التالي: يحق لنا ويصح أن نسأل أنفسنا: هل تغير العدو؟ هل غيّرته حرب أكتوبر؟ أم ليس بعد؟ أو إلى أي حد تكتيكيًّا أو إستراتيجيًّا؟ والسؤال لا شك جوهري، بل مصيري؛ لأن عليه سيتوقف سلوك العدو والموقف العملي الذي قد يتخذه عسكريًّا أو غير ذلك. لا جدال أن الحرب قد أحدثت رجّة عميقة وهزّة عنيفة صادمة في إسرائيل، العقلية الأيديولوجية، المستقبل الآمن والطمأنينة القومية، كما زلزلت كثيرًا جدًّا من المعتقدات المكتسبة والموروثة الحقيقية والموهومة.

لكن السؤال هو، ويظل إلى أي حد، وفي أي مدى، القريب أم البعيد؟[٤]: وهل وصلت إلى حد التغيير النوعي والتحولات الكيفية؟ هل تغيّرت الفلسفة الصهيونية والعقلية العسكرية والنظرية التوسعية والنظرة العنصرية؟

---

(١) نفسه ص ١٧٦.

(٢) نفسه ص ٣٨٠/ ٣٨١.

(٣) نفسه ص ٢٨٢/ ٢٨٣.

(٤) د/ جمال حمدان (٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية) ص ٣٨٤ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٢١م.

وفي موضع آخر من كتابه يقول: (وفوق هذا كله؛ فإن الدول العربية متيقظة تمامًا لكل ما يراود العدو الانتقامي من أحلام جنونية، وكما في أكتوبر لن نترك له زمام المبادرة قط بعد الآن، فكما صرح وزير الخارجية المصرية أخيرًا، فإن الذي لا شك فيه أن إسرائيل سوف تحاول أن تنتقم من ٦ أكتوبر، وأن المنافسة ستكون في مجال التكنولوجيا شديدة جدًّا بيننا وبين إسرائيل، ولا بد لإسرائيل أن تفكر في سلاح رادع ضد الطوفان البشري في مصر والعالم العربي مستقبلًا؛ ولذلك بدأت تفكّر في السلاح الذري، وإذا حدث هذا، فلن يكون أمامنا بديل عن الحصول أيضًا على السلاح الذري)[١].

ما هو مصيرإسرائيل؟

عن مصير إسرائيل يمكن وصف موقف الدكتور جمال حمدان بأنه يجمع بين التحذير والتفاؤل، **فهو يرى أن (الصهيونية مجرد «غزوة»، كما أن إسرائيل مجرد تجربة مهما طالت وأزمنت، ومهما كانت دموية متصلبة، فيومًا ما سوف تفشل وتنتهي. الوجود الصهيوني الدخيل على الأرض العربية قلب صناعي مزروع لا يمكن للكائن العضوي الصحي أن يتقبله، وسيلفظ الجسم الحي يومًا ما، ككل استعمار استيطاني في العالم، غير أن واجبنا نحن أن نحاصره ونشدد النكير عليه حتى نعجل بعملية اللفظ الحتمية.** والمطلوب منا أن نحيل إسرائيل إلى بيئة طرد بشري، بلا جاذبية وبلا مرفّهات، بل صعوبات حياة مطردة، وخفض مستمر في مستوى المعيشة، ضروري، يعني أن نجعل الحياة فيها كريهة، ينبغي ألا نتركها قط تشعر بالراحة أو الأمان أو الاسترخاء والرخاء؛ ولهذا فإن من الخطأ أن نترك إسرائيل في سلام لمدة طويلة. وهذا لا يكون إلا بحروب متقاربة الفواصل الزمنية بينها أقصر وأقصر؛ حتى لا نسمح لها بفرص التقاط الأنفاس، وحتى تبلغ حد الإنهاك والإرهاق المزمن فالسقوط الأخير)[٢].

ومن الشواهد لتفاؤل الدكتور جمال حمدان بسبب حرب ٦ أكتوبر، انهيار هذا الصرح الشاهق من البارانويا السياسية، وتقوضت أسسه وجذوره، وانهارت الأسطورة مرة واحدة عقب انقلاب التوازن الإستراتيجي والتوازن العسكري والإستراتيجية الإقليمية، بالإضافة إلى الانقلاب النفسي؛ (فهم الآن يعيشون في بكائية وطنية كبيرة، بحيث تحولت إسرائيل كلها إلى حائط مبكى واحد، وأن الشعور بالأسى كما صورته وكالة أنباء تل أبيب يسود شوارع إسرائيل؛

---

(١) نفسه ص ٤٠٨، والكتاب يقع في ٤٤٧ صفحة! وهو من المصادر التي لا غنى عنها لكل دارس لتلك القضية.

(٢) د/ جمال حمدان (٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية) ص ٤٢٢/ ٤٢٣ مكتبة الأسرة سنة ٢٠٢١م.

حيث الوجوه مقطبة وجامدة، ولم يحدث من قبل أن تركت حرب مثل هذا الشعور بالحسرة والمرارة في إسرائيل، وما عاد يتردد في إسرائيل اليوم سوى حديث الموت هنا وهناك). ويستكمل الدكتور جمال هذا الوصف بقوله: (وأخيرًا وليس آخرًا فإنهم هم الذين يعانون بصورة فادحة وصارخة من تمزق وانهيار الوحدة الوطنية!)[١].

وخرجت إسرائيل من حطام الحرب وهي تشعر بالتوتر والقلق والاضطراب أمام مستقبل غير مؤكد ولا مضمون. وإن هذه الحالة العصبية انعكست في شكل زيادة ملموسة في عدد المترددين على مراكز الصحة النفسية والعصبية أثناء الحرب وبعدها، وقال طبيب نفسي بارز في جامعة تل أبيب: (إنها حرب مريرة حتى أن الناس لا يشعرون بالسعادة إذا بلغتهم أنباء طيبة)، ثم تنبأ بأن الأثر النفسي للحرب على الإسرائيليين سيكون أشد وأقوى على المدى البعيد؛ لأن جميع زعمائنا الأحياء الذين كنا نؤلههم قد خذلونا، بل خذلتنا الأفكار كذلك. وأضاف المصدر نفسه أن العرب نتيجة الحرب قد زاد احترامهم لأنفسهم، بينما كف الإسرائيليون أن يعتبروا أنفسهم من طبقة الإنسان السوبرمان والعرب أقل منهم[٢].

كذلك انهارت دعوة الأمن الإسرائيلي، واتضح ما كان بها من الادّعاء والدعاية، بل من المغالطة أيضًا؛ لأن حقيقة الأمر أن الأمن قد أصبح تبريرًا للقتل، بمثل ما أن الصهيونية نفسها تبرير للسرقة، والأمر كله تحوّل إلى حالة مفزعة، بدايتها الأمن ونهايتها الأرض!

وتفسير ذلك أن إسرائيل عقب حرب أكتوبر وجدت نفسها جزيرة منقطعة محاصرة ببحر شاسع، خضم من العرب أصحاب الأرض الشرعيين، متفوق في المساحة والعدد والثروة خارج كل مقارنة[٣].

٤- دكتور فوزي الأسمر (وهو فلسطيني المولد):

يجمع في كتابه: (أمريكا والحلم العربي) بين الدراسة التحليلية الشاملة وبين معاناته للواقع الفلسطيني على الأرض بعد الاحتلال الصهيوني لبلاده، فهو من مواليد فلسطين.

يقول: (ما ذكرت عن حالة فلسطين قبل الاغتصاب، لم أقرأها في الكتب، بل كنت أعيشها وأراها بأم عيني، عشت حالة الاغتصاب عندما سقطت مدينتي (اللد) بيد اليهود عام ١٩٤٨،

(١) نفسه ص ٢٥٦.

(٢) نفسه ص ٢٥٧/ ٢٥٨ باختصار.

(٣) نفسه ص ٢٦٧ باختصار.

دخلوا المدينة حيث أخذوا يطلقون النار بشكل عشوائي على كل من وجدوه أمامهم، فسقط مئات القتلى، ومن بين الشهداء كانت عمة لوالدي تبلغ من العمر ثمانين عامًا ونيفًا، جلست على عتبة البيت تستريح، وكانت صمّاء ولم تفهم ما يحدث حولها، اخترقت جسدها رصاصة صهيونية فخرّت صريعة في مكانها، وبقيت كذلك أكثر من أسبوع حتى جاء دور دفنها، **لقد سقط مئات الشهداء في مدينة اللد، والتي أصبحت مثلًا يُضرب بها، عندما يتحدثون عن المذابح في فلسطين)**[1].

وتحت عنوان: (نصف قرن والاغتصاب مستمر)، يرد على الأكذوبة الفجّة التي يشيعها اليهود في العالم (وبأيديهم وكالات الأنباء والإعلام) بأن أرض فلسطين كانت صحراء خالية، وأنهم هم الذين قاموا بإنعاشها بعد الهجرة إليها، وإعادة الحياة إليها، بعد أن وجدوها أراضي خالية من السكان!!

يقول الدكتور فوزي الأسمر: (بدأ اغتصاب فلسطين بشكل مكثف في أعقاب المؤتمر الصهيوني الأول، والذي عقد في مدينة «بازل» في سويسرا عام ١٨٩٧م، وهي لا تزال مستمرة حتى اليوم.

(وعندما أستعمل كلمة «اغتصاب» فإنني أعنيها بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، ولا أستعملها مجازًا، أي أن ما حدث في فلسطين لم يكن احتلالًا بالمعنى المفهوم للاحتلال، فقد طُرد معظم سكانها منها، وسُرقت منازلهم وأمتعتهم وأراضيهم ومصارفهم، وتحولت هويتها بين ليلة وضحاها، واستلم اليهود بلادًا عامرة، فيها الشوارع معبّدة وسكك الحديد الفعالة، والمطار الدولي العامل، ومصلحة تليفونات غير معطلة، وأراضي زراعية مهيأة، وبيارات نضرة، وكروم زيتون وتوت ناضجة. ولهذا أستعمل كلمة اغتصاب)[2].

---

(١) د/ فوزي الأسمر (أمريكا والحلم العربي) ص ٣٣٢ كتاب (الرياض) العدد ٨٨ مارس ٢٠٠٦م.

(٢) نفسه ص ٣٢٩.

هذا، ويذكر الدكتور طنطاوي أن اليهود حين اعتدوا على قرية المجور وقتلوا ستين شابًا فورًا أمام عيون المشاهدين، وضعوا القنابل المحرقة في القرى الآمنة، فنسفت المنازل على أصحابها، وراحوا شهداء، وقد بلغ عدد القرى العربية التي دُمّرت تدميرًا كاملًا منذ سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٠ (١٨٧) قرية، والتي دمّرت تدميرًا جزئيًّا ١٥ قرية، وتحوّلت هذه القرى جميعًا إلى مستعمرات يهودية، بعد أن أُجبر الباقي على الحياة من أصحابها على الرحيل) ص ٤٢/ ٤٣، من مقال د/ البيومي (تحليل علمي لكتاب بنو إسرائيل في الكتاب والسّنة للدكتور طنطاوي)، مجلة الهلال مارس ١٩٩٨م.

أما الأكذوبة الثانية التي يشيعها المتخاذلون وأعوان الصهاينة بقولهم: (باع الشعب الفلسطيني أرضه لليهود)، والحق أنهم أفراد قلائل لا وزن لهم بالقياس إلى الشعب الفلسطيني، وقد حصرهم بإحكام ووصفهم بالخيانة والعمالة، وكان التحذير منهم قاسيًا جدًا، وقد عُرفوا بنكبة السماسرة.

ويسترجع الدكتور فوزي الأسمر ذكريات طفولته؛ حيث لا يزال يذكر أغنية حول السماسرة وبيع الأراضي، يغنيها اثنان (رجل وامرأة) لا يذكر اسمهما، ومطلع هذه الأغنية -وهي باللهجة العامية الفلسطينية- يقول:

هو: ها السماسرة الخائنين

من غير ذمة ومن غير الدين

بياعونا أراضينا مهد رسل فلسطين

هي: أنا حكيت من الأول

ناصحتك ما كنت تقبل

حرام الضيع وطنك

وشو بقيت لأولادك

هو: ما كنت عارف هسمسار

أنه قلبه صخر ونار

بلفني وبيعني الأرض

وخلى أفكاري تحتار!!

وبعد شرح مستفيض عن استغلال الأراضي العربية المصادرة بواسطة اليهود لإقامة مشاريع إسكان واستيطان يهودي، وأصبح أصحاب الأراضي العرب يعملون أجراء عند اليهودي وعلى أراضيهم وأراضي أجدادهم.. وهو الأسلوب نفسه الذي اتبعه الصهاينة في أعقاب حرب ١٩٦٧، مع تقليص عدد السكان بسبب الطرد الجماعي في الضفة الغربية وقطاع غزة.. علّق الدكتور الأسمر على صحفي وباحث إسرائيلي في صحيفة (يدعوت أحرنوت) في يوم ٢١/ ٥/ ١٩٩٧ أن الأوامر التي صدرت بقتل الفلسطينيين الذين يبيعون أراضيهم لليهود هي أوامر «مرعبة»، (أي القانون الذي أصدره السيد ياسر عرفات).

وعلى أثر ذلك استعمل حكام إسرائيل مدافعهم الثقيلة ضده، وقيام الإدارة الأمريكية باستخدام نفوذها عند ياسر عرفات لمنعه.

وختم الدكتور الأسمر ذلك كله بقوله: (لقد فعل قادة إسرائيل والمنظمات اليهودية ذلك كله لأنهم يعرفون أن الأرض الفلسطينية هي مسألة حياة أو موت بالنسبة لهم، ولفلسفاتهم وأيديولوجيتهم الصهيونية)[1].

وهو يرى أنه لا بد من قيام العرب بوضع إستراتيجية عملية موحدة؛ لإيقاف رأس الأفعى في بث سمومها، وإلا فستجد الدول العربية نفسها واقعة تحت سياط التنازلات المستمرة وليس فقط بالنسبة لفلسطين، بل بالنسبة لها أيضًا[2].

ويقول: (إن المقاومة الفلسطينية عامل حاسم في هذه المعركة؛ لإفهام الشعب في إسرائيل أنه لا استقرار له بدون وجود استقرار للشعب الفلسطيني، وهذا الاستقرار لن يتأتى إلا عن طريق الاعتراف بحقوق هذا الشعب عن طريق إقامة دولة مستقلة عاصمتها القدس الشرقية، وكلنا يذكر كيف أثّرت الانتفاضة الفلسطينية على مجريات الأحداث التاريخية، وعلى نفسية وتفكير رجل الشارع اليهودي. إن معركة القدس بحاجة إلى موقف عربي حاسم، ووحدة صف مرصوص، وإلا ضاعت القدس، وضاعت هويتها العربية)[3].

ولم يفت الدكتور الأسمر بحكم معايشته للواقع تحذيرنا من خدعة الانقسام اليهودي هذا، فلا ينبغي للسياسيين والمثقفين لدينا أن ينخدعوا بالفروق المعلنة بين حزب العمل وحزب الليكود، فهما يتفقان في الهدف اتفاقًا تامًّا، ولكن الاختلاف في الوسيلة فقط.

إن حزب العمل.. والذي لا يلعب فيه الفكر الديني اليهودي كثيرًا، يتطلّع للسيطرة على المنطقة عن طريق **«سوق شرق أوسطية»**.. أما اليمين الصهيوني الإسرائيلي فإنه يقيم انتصاره وفرض هيمنته عن طريق السيطرة على **«أرض إسرائيل»**؛ لتصبح بدورها القاعدة الأساسية لقوتها المستقبلية، ففلسفة هذا اليمين (كما تظهر جليًّا من المواقف المعلنة التي يتخذها نتنياهو الآن) مبنية على أساس أن شعوب المنطقة لا تفهم إلا لغة القوة، ولغة فرض الواقع عليها[4]،

(١) نفس المصدر باختصار شديد، صفحات ٣١٦/ ٣٢٠/ ٣٢٥/ ٣٢٨.

(٢) نفسه ص ٣٥٧.

(٣) نفسه ص ٢١٦.

(٤) د/ فوزي الأسمر (أمريكا والحلم العربي) ص ٣٣٩ كتاب (الرياض) العدد ٨٨ مارس ٢٠٠٦م (مؤسسة اليمامة الصحفية ١٤٢١هـ.

ويقول الدكتور فوزي الأسمر أيضًا: (فعلى الرغم من أن قادة إسرائيل كانوا من العلمانيين، إلا أنه كان من الضروري لهم إبقاء الإطار الديني؛ حتى يستطيعوا الوصول إلى اليهود خارج إسرائيل، الذين كانوا يقدمون الدعم المالي والسياسي والمعنوي بشكل كبير إلى إسرائيل)(١).

٥- الدكتور مصطفى محمود (٢):

يقول الدكتور مصطفى محمود: (لازم اليهود الإحساس بالخصوصية والتميز والعلو والعنصرية، فاستبدوا وظلموا، ونقضوا العهود وخانوا المواثيق، واعتبروا خيانة عهودهم مع الآخرين حقًّا لهم، فهم الأعلى وباقي البشر قوم أدنى من الحيوان. ألم يقل نتنياهو إن الفلسطينيين حيوانات؟!

يقول ربنا:

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ المائدة: ١٣.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟﴾ المائدة: ٦٤.

﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ البقرة: ٦١.

وكتب عليهم ربهم الشتات، وقطّعهم في الأرض أممًا، ذلك تاريخ مقروء ومشهود.

واليوم تأتي إسرائيل في تجمّعها الختامي، مؤيدة بأمريكا والغرب، ومسلحة بالقنابل والصواريخ وحاملات الرؤوس النووية؛ لتعزف لحن الختام في سيمفونية العلو والاستكبار، على مشهد من الملأ العالمي، وعلى مسرح بعرض التاريخ، ويقول ربنا عن هذا الحدث:

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾ (الإسراء: ٥).

وليس هؤلاء العباد بختنصر ولا تيتوس كما زعم المفسرون، فهؤلاء كانوا جبابرة ولم يكونوا عبادًا، وهم لم يجوسوا خلال الديار، بل سحقوا الديار ومحقوها ودمروها، وذلك في زمان السبي البابلي، وإنما تتحدث الآية عما فعل عباد الله المسلمون في غزوهم لخيبر، فهؤلاء هم الذين

---

(١) نفسه ص ١٤٢.

(٢) د/ مصطفى محمود (إسرائيل.. البداية والنهاية) ص ٩٩/ ١٠١ (كتاب اليوم) الطبعة الرابعة ١٩٩٧م.

جاسوا خلال الديار، ديار خيبر وبني النضير وقينقاع.. إلخ، وكان انتصارًا ولم يكن دمارًا، وكان ذلك بعد معركة الخندق، وما حدث فيها من تأليب اليهود لقبائل الجزيرة وجمعهم لكل العرب في جيش واحد للقضاء على محمد عليه الصلاة والسلام ودعوته بضربة واحدة، وما حدث من خيانة اليهود لعهد الأمان الذي قطعوه مع الرسول صلى الله عليه وسلم وانضمامهم لصف أعدائه حينما التحم الجيشان؛ ﴿وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا﴾.

ثم يقول ربنا: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ﴾، ومعنى ذلك أنه قد مرّت حقبة طويلة من الزمن ليحدث هذا التكاثر: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾.

وليس النفير هنا من «النفر»، وإنما من الصوت المدوّي الذي يستنفر الناس.. وهو النفير الإعلامي ووسائل الإعلام المتعددة من كتب ونشرات وصحف وإذاعة وتلفزيون ومحطات فضائية. وقد أعطى الله اليهود بسخاء كل هذه الوسائل، وأعطاهم القدرة على النفاذ إلى أصحاب القرار في كل دولة، والوصول إلى منابر الغرب وإثارتها.

وما فعلوه في جولتهم الإفسادية الثانية هو عين ما فعلوه في الإفسادة الأولى.. تشويه الإسلام ووصمه بالإرهاب والدموية، وتأليب الدول الغربية كلها وأمريكا وحشدها ضد الإسلام، كما فعلوا بقبائل الجزيرة قبيل غزوة الخندق، وهذه المرة أثاروها فتنة شعواء في كل دولة وفي كل بؤرة مشتعلة.. من لبنان إلى أفغانستان، إلى الصومال إلى البوسنة، إلى كشمير إلى الجزائر، إلى وسط إفريقيا ومنطقة البحيرات وأعالي النيل؛ سعيًا للفتن وإشعال الحروب في كل **مكان على اتساع القارات؛ تمهيدًا لمعركة فاصلة ومواجهة تقوم بها إسرائيل لإخضاع المنطقة العربية واقتلاع الإسلام من جذوره.**

والآيات تتحدث عن أيامنا وما يجري فيها الآن حولنا وبين ظهرانينا.

يقول ربنا لليهود في تحذير:

﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا﴾، (وهو يعلم أنهم لن يحسنوا، فقد أضمروا الشر وخططوا له من البداية).

بما معناه أن المواجهة ستتم، والحرب ستحدث، وسوف يسترد المسلمون بيت المقدس، ويدمروا كل ما بنت إسرائيل وكل ما عمرت.

ويختصر القرآن ما سوف يحدث مؤدّاه أنه ستكون هناك هزيمة لإسرائيل، وسوف يدخل المسلمون القدس كما دخلوها أول مرة.. وسوف يدمّرون كل ما أنشأت إسرائيل وما عمرت (هل ستبني الهيكل ويهدمه المسلمون؟!)، لا نعلم.

ولا يقول القرآن متى.. ولا كيف.. ولا ماذا سيدمر مما بنت إسرائيل وأنشأت، ولا بأي سلاح ستحاربنا، وبأي سلاح سوف نغلبها.

ثم يأتي مسك الختام:

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا﴾ الإسراء: ٨.

أي لا سبيل أمامكم.. ونحن لكم بالمرصاد. إن عدتم إلى التآمر والعدوان عدنا إلى هزيمتكم.

وفي موضع آخر من كتابه يصرح الدكتور مصطفى محمود بأننا لسنا ضد اليهود ولا ضد اليهودية، وإنما نحن ضد الصهيونية كحركة سياسية عدوانية تخطط للهيمنة والسيادة وتضمر الحقد لكل ما هو مصري وعربي وإسلامي.. ويبدي عجبه من كم الغل والحقد الذي يعشش في قلوب هذه العصابة.. **لقد طردوا شعبًا ونهبوا أرضه، واستوطنوا مدنه وقراه، وقتلوا شيوخه وأطفاله ولم يكفهم كل ما فعلوه!؟**[1].

وهو يرى أن التنازلات العربية المستمرة ليس وراءها إلا الصحراء والشتات، فلا بد لهم من استخدام القوه للدفاع عن أنفسهم.. وخيار القوة إذا كان اختيارًا صعبًا على العرب، فهو خيار أصعب على إسرائيل.. **فإسرائيل هي الأمر العارض العابر في منطقتنا، وعمرها في بلادنا العربية بضع سنين،** وهزيمة واحدة كافية لخلع إسرائيل من مكانها إلى الأبد، وليس هذا حالنا فقط، هزمت مصر في ١٩٦٧ لتنتصر بعد ذلك وترد الضربة مضاعفة في ١٩٧٣.. ونحن هنا في هذه الأرض من آلاف السنين، وقدرنا أن نظل هنا.. إننا نلعب على أرضنا والمستقبل مستقبلنا، مهما طال الصراع. أما مصير الدخلاء الغاصبين فهو الرحيل إلى بلادهم، طال الزمن أم قصر، وأين الفرس؟ وأين الرومان؟ وأين كسرى وقيصر؟! [2].

وفي كتابه: (**إسرائيل النازية ولغة المحرقة**)، يقول أيضًا: (وقد قال ربنا إننا سندخل القدس وندمر كل ما عمرته إسرائيل فيها وكل ما أنشأت.. يقول القرآن الكريم لبني إسرائيل: ﴿فَإِذَا

---

(١) نفسه ص ٢٨.

(٢) نفسه ص ١٨.

جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ لِيَسُـࣳـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ الإسراء: ٧.

وهذا هو الخسف النهائي بإسرائيل ودولتها، وهذا كلام خالق الكون عزّ وجل والحاكم بأمره على مقدرات الأرض والسماوات، وليس بعد كلام الله تعالى كلام.. ولا نعلم كيف ولا متى يكون هذا اليوم، فالله وحده هو الذي يقيم الحكومات، وهو الذي يسقطها، وهو الرافع الخافض من الأزل بلا منازع، ولكنه وعد ونحن ننتظر الوعد، وإسرائيل تنتظر الوعد أيضًا[1].

وفي كتابه: (الإسلام في خندق) يعبر عن التفاؤل والثقة في انتصار الأمة الإسلامية، وذلك أثناء عرضه لأحوال العصر.. يقول الدكتور مصطفى محمود: (ونحن لا نعيش في ظل نظام عالمي جديد، وإنما في فوضى عالمية كاملة، وفي غياب كامل لكل المعايير، ومجلس الأمن والأمم المتحدة هياكل فارغة تحكمها مصالح الأقوياء، ونفوذها القرصنة الأمريكية والنخبة الصهيونية. **ورغم هذا الحاضر المظلم فإني شديد التفاؤل شديد الثقة بأن الفجر يقترب، وأن الصبح الوليد قادم من خلال هذا المخاض الدموي الرهيب**، وعمدة الأحكام عندنا هو كتابنا، والله تعالى يقول فيه: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ التوبة: ٣٣.

وجاءت الآية مرة أخرى بنفس الصيغة في سورة الصف، وهي تاسعة آيات السورة.. هو إذًا وعد صدق.. وهو لم يتحقق إلى الآن، وظهور الإسلام كان في قريش ولم يكن على الدين كله، بل كان على أديان الشرك المحلية الموجودة وعلى يهود الجزيرة، ثم في أيام أبي بكر وعمر تخطى الجزيرة ليزيح وثنية فارس ونصرانية الروم، ثم توقف عند بوابة القسطنطينية غربًا وبوابة الأندلس شرقًا ولم يدخل أوروبا. وبقيت آسيا كلها والأمريكتان ومعظم إفريقيا وكل أستراليا وباقي العالم خارج الإسلام ونفوذه.

وبين خمسة آلاف مليون من سكان العالم هناك اليوم ألف مليون مسلم فقط من المسلمين، والأربعة آلاف من الملايين الباقية من أديان أخرى.. فهو لم يظهر على الدين كله في منطوق الآية، بل إن الأكثرية الآن ومعها أقوياء العالم تتآمر لإخراجه من حيز الفعل والوجود بالكلية.

---

(١) د/ مصطفى محمود (إسرائيل النازية ولغة المحرقة) ص ١١٢ ط أخبار اليوم – قطاع الثقافة – (الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود سنة ٢٠٠١م).

وإذا كان ما نراه الآن من مذابح للمسلمين في كل مكان بداية لتخطيط شامل ومقدمة لمعركة حاسمة فإني اعتقد أنه هنا يأتي ميقات الآية الكريمة.. فإذا انتهت هذه القوى المتآمرة في معركتها الفاصلة مع الإسلام إلى الهزيمة؛ فإنه حينئذ يظهر الإسلام على الدين كله؛ لأن المواجهة هذه المرة ستكون عالمية مع جميع الأطراف ومع جميع الملل والنحل.

وهذه الآية تتحدث عن آخر الزمان الذي نحن فيه ولا تتحدث عما مضى، وهي لا بد تتضمن في باطنها مواجهة شاملة ونصرًا مطلقًا.. وإلا فكيف يظهر الإسلام على الدين كله وهو مضروب ومطارد ومضطهد من العالم كله، إلا أن تكون هناك معركة خاتمة ونصر مؤكد يقلب الموازين ويظهر الحق؟!

إنه وعد إلهي إذًا بنصر شامل مؤزر.. ويلتقي هذا الوعد بالوعد الآخر الذي جاء في سورة الإسراء، والذي قضى الله تعالى لبني إسرائيل بأنها سيكون لها علو كبير، وأنها ستفسد في الأرض مرتين، وأنه ستكون هناك معركتان، ثم يصف المعركة الثانية بأنها وعد: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ ويدمروا كل ما علا اليهود وكل ما بنوا وأنشأوا.

ولا شك أن إسرائيل في قلب ما يجري، وفي قلب ما يحاك من إفساد وتآمر على الإسلام والمسلمين في هذه الأيام، وهي رأس الحربة فيما يخطط لنا في كل مكان. فالوعد في الآية الأولى بإظهار الإسلام على الدين كله، والوعد في الآية الثانية بانتصار المسلمين ودخولهم القدس، وتدميرهم لكل ما أنشأ اليهود، وكل ما بنوا هو نفس الشيء، والآيتان تتحدثان عن حدث واحد. يأتي في زماننا وبه يظهر شأن الإسلام على الدين كله وتعلو كلمته.

وهذه قراءه تاريخية في كتابنا أرجو أن تكون صحيحة، فإننا نؤمن جميعًا بأن وعد الله تعالى لا يتخلف، وأنه سبحانه بيده مقاليد كل شيء، وما يعد به ربنا لا بد آت لا محالة.

وأقول لأبناء البوسنة الشجعان البواسل: اصبروا وصابروا ورابطوا، والحق منتصر بأهله وأبنائه وشهدائه بإذن الله، ووعد الله لا يتخلف.

إنما هي البداية، ولكل بداية نهاية.

ولن يكون ظهور الإسلام هذه المرة بعمل عسكري من أعمال العنف، ولا بانتصار وضيع ودنيء من مثل ما يفعله الصرب من فحش ونذالة بنساء البوسنة المسلمات وأطفالهن العزل.. وإنما بنصرة إلهية باهرة تنعقد لها الألسن وتخشع لها القلوب وينتهي بها الجدل، وهذا يفسر الأثر

الكلي الشامل المذكور في الآية: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾ الفتح: ٢٨. هذه الكلية الشمولية لا تتأتى بالعنف ولا بالقهر، ولكن بشيء يقطع الحجة وينهي الشك ويحسم القضية ويجلي القضية.. وهل سمعتم عن سلاح يكسب كل القلوب والعقول هكذا من ضربة واحدة؟!

ولا نمضي في التحديد ولا ننزلق إلى التأويل.. فهذه الآيات تفسيرها حدوثها)[1].

حاشية:

ومما يعضد أسباب التفاؤل ودواعيه عند الدكتور مصطفى محمود أن هناك أحاديث للرسول صلى الله عليه وسلم تؤيد توقعاته، منها قوله صلى الله عليه وسلم: «لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقاتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود من وراء الحجر، فيقول الحجر أو الشجر، يا مسلم يا عبد الله! هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود) (أخرجه مسلم).

وحديث ثوبان الذي رواه مسلم، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إن الله زوى لي الأرض -أي ضمّها لي- فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها»، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار، ولا يترك الله بيت مضر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل، عزًّا يعز الله به الإسلام، وذلًّا يذل به الكفر» (أخرجه الإمام أحمد في المسند)، وحديث آخر عن أبي قابيل قال: كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص وسُئل: أي المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية أم رومية؟ فدعى عبد الله بصندوق له حلق، قال: فأخرج منه كتابًا، فقال عبد الله: بينما نحن حول رسول الله صلى الله عليه وسلم نكتب، سُئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي المدينتين تُفتح أولًا: القسطنطينية أم رومية؟ فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: «مدينة هرقل أولًا -يعني القسطنطينية» (رواه الإمام أحمد وغيره وصححه الألباني).

ويقول الدكتور عبد الله الخاطر: (إضافة إلى ما نراه الآن من واقع المسلمين، من أن هناك رجعة قوية، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ

---

(١) د/ مصطفى محمود (الإسلام في خندق) من ص ١٥٠ إلى ص ١٥٢ (الأعمال الكاملة للدكتور مصطفى محمود) (بدون اسم الناشر والتاريخ).

والكتاب مكون من مجموعة مقالات ذات عناوين تجمعها. والصفحات السابقة ضمن مقال بعنوان: (ساعة الخلاص).

وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ النور: ٥٥. بشرط أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا بمفهومها الشامل، مع الخلوص من الشرك)[١].

٦- د. مراد هوفمان:

هذا، ومما يزيد روح التفاؤل أيضًا، تلك الدراسة الشاملة العميقة للدكتور مراد هوفمان -رحمه الله تعالى- ومضمونها بإيجاز الإجابة عن السؤالين التاليين:

١- ما النتائج المترتبة في حالة نجاح العالم الإسلامي في أن ينهض من جديد؟ وبالتالي يكسب قوة جاذبية في الغرب؟ هل يمكن أن يصبح هذا الدين وهو نظري وعقائدي بالفعل دينًا يسود العالم؟

٢- هل يصبح الإسلام في هذه الحالة العلاج والشفاء الذي سينقذ الغرب من نفسه؟ وهل سيصبح الغرب قادرًا على الاعتراف بالإسلام كدواء يصلح لشفائه، دواء يساعد الغرب على تخطي هزمته وإنقاذ حضارته؟

وقد كان منهجه كما وصفه في الكتاب بقوله: (والآراء التي يتضمنها هذا الكتاب ليست نتائج قراءات بالمفهوم الضيق، ولكنها قامت على خبرات معيشية أكثر منها على قراءات فقط..).

وساعد على ذلك أنني منذ اعتزالي من عملي كدبلوماسي في صيف عام ١٩٩٤، أتجول كمحاضر متنقلًا دون فترات راحة تُذكر في الغرب والشرق من هيلسنكي إلى كوالالمبور، من الرياض إلى لوس أنجلوس، ومن الخرطوم إلى لايبزج في ألمانيا؛ حتى أساعد في شرح كل جانب للجانب الآخر، ولكني أقيم جسورًا من التفاهم بين الغرب والشرق، ولأساهم في إزالة مشاعر العداء التي يكنّها كل طرف للطرف الآخر)[٢].

(وقام بإلقاء ١٣٩ محاضرة من عام ١٩٩٤ إلى عام ١٩٩٩ تدور كلها حول موضوعات إسلامية في تسعة بلدان غربية وتسعة بلدان إسلامية، كما حضر ٢٧ ندوة كان الإسلام هو الموضوع الرئيس فيها).

---

(١) د/ عبد الله الخاطر (الهزيمة النفسية عند المسلمين) ص ٥١ (كتاب البيان) ط٣ ١٤٢٧هـ - ٢٠٠١م، وهدف الكاتب رحمه الله تعالى علاج تلك الهزيمة النفسية.

(٢) د/ مراد هوفمان (الإسلام في الألفية الثالثة -ديانة في صعود) ص ١٤ تعريب عادل المعلم ويس إبراهيم، مكتبة الشروق - القاهرة، كوالالمبور، جاكارتا، مكتبة الشروق ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

وفي الختام لخص الدكتور مراد هوفمان الفارق الأساس بين العالمين الغربي والشرقي، أنه يتلخص في الفرق بين «الكمية» و«الكيفية»، فالغرب لا يعرف قيمة أي شيء ما لم يستطع أن يعبر عن نفسه بالأرقام. فالقيم الروحية والفكرية لا يمكن تسويقها أو الإعلان عنها؛ ولذلك فهي بلا قيمة مادية.

وفي هذا الإطار فإن اهتمام الإنسان العربي يدور حول (ما يملكه وما يكون لديه)، أما الإنسان الشرقي فيهتم (بالوجود).

ويثبت ذلك أن الحديث يدور بكثرة في الغرب وليس الشرق عن «جودة الحياة» ومن يعش في الشرق يكتشف في حقيقة الأمر: جودة معنى الحياة غير قابل للإعلان عنه أو تسويقه، يظهر في السلوكيات مثل: الموقف غير المتشنج، بل الهادئ من الوقت، كرم الضيافة، تواضع العلماء، تحويل كل ما يراه الغرب من ضرورات الحياة إلى المرتبة الثانية، الهدوء والرضا والقناعة كأسلوب حياة.

إن الأمر كله يكمن في هذا «النور»، هذا الضوء الذي كان دائمًا من الشرق، هذا الضوء بمعناه الحرفي ومعناه الرمزي. إنني بجدالي هنا عن كون الإسلام يملك الإجابات الصحيحة عن أسئلة الغرب الكثيرة وأزماته المتعددة، **إنما أوضح وأثبت أن الإسلام ليس طالب إحسان من الغرب، ولكنه مانح رئيس لكثير من القيم وأساليب الحياة.**

إن القرآن يتضمن أخبارًا عديدة عن شعوب لم تستمع إلى صوت الحق ولم تستجب لمرسليها، بل ضربت بتحذيراتهم عرض الحائط حتى غربت حضارتهم تمامًا. والغرب ينتظر مثل هذا المصير، فبعد انتصاره على الشيوعية يتهدده تدمير الذات ومصير الفناء، إلا إذا تجاوزت تأليه الإنسان، ووجد طريقه مرة ثانية عائدًا إلى التمسك بالقيم الإلهية، ويشير الإسلام إلى هذا الطريق[1].

٧- الدكتور عبد الوهاب المسيري:

يعد الدكتور عبد الوهاب المسيري بحق أبرز من عالج الظاهرة الصهيونية وحللها ويسرها، وله (الموسوعة الصهيونية)، و(اليد الخفية ودراسة في الحركات اليهودية الهدامة والسرية)، ثم

(١) نفسه ص ٢٢٩/ ٢٣٠ باختصار -والعبارة الأولى، أي أن الإسلام ليس طالب إحسان، تحمل في طياتها عزته وفخره بالإسلام!!

الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان: (انهيار إسرائيل من الداخل)، وهو مصدرنا في عرض موقفه وتوقعاته عن مصير إسرائيل.

وبادئ ذي بدء، ينتقد الدكتور المسيري ظاهرة ما نُسب لليهود من قوى عجائبية خارقة، والزعم بأن «يد اليهود الخفية» توجد في كل مكان تقريبًا.. ويرى أن هناك تصورًا عامًّا لدى الكثيرين أن اليهود وراء الكثير من الجمعيات السرية.. وثمة مؤامرة يهودية عالمية كبرى تهدف إلى الهيمنة على العالم.

ويؤكد المسيري أن هيمنة هذا الفكر على العقل العربي هو من أخطر الأمور: فهو يزيد من هيبة إسرائيل، ويجعلها تكسب الحروب دون أن تدخل أي معارك.. فالخوف منها قد يعبئ الناس في البداية، ولكنه يبث الهزيمة في قلوبهم وينتهي بهم الأمر إلى الهزيمة الداخلية والاستسلام[1].

ويمكن استنتاج موقف الدكتور المسيري ومصير إسرائيل من بعض فصول كتابه (انهيار إسرائيل من الداخل)، منها تصويره للوضع السائد في المجتمع الإسرائيلي حتى عام ١٩٦٧ حين وصلت الانتصارات الإسرائيلية إلى ذروتها ولكنها لم تأت بالسلام ولا بالنصر، كما أثبتت نظرية الأمن الإسرائيلية فشلها، فهي كانت قد أقنعت الإسرائيليين بأن استعمال القوة سيحقق النصر النهائي والأمن الدائم، وأن العمليات العسكرية السريعة الإجهاضية ستحقق كل شيء، ولكن بعد بضعة أشهر وجد الإسرائيليون أنفسهم في حرب استنزاف مع عدوهم المهزوم، الأمر الذي دعا المؤرخ الإسرائيلي يعقوب تالمون للحديث عن «عقم الانتصار» ثم جاءت حرب ١٩٧٣ والعبور العربي العظيم، وبعدها جاء غزو لبنان، وهو انتصار إسرائيلي آخر عقيم جعل الإسرائيليين يتحدثون عن «المستنقع اللبناني» الذي غرقوا فيه. ثم أخيرًا اضطروا للانسحاب من الجنوب اللبناني في جنح الظلام، ثم هناك انتفاضة ١٩٨٧، وأخيرًا انتفاضة الأقصى، وحين استخدمت القوات العسكرية الإسرائيلية في ضرب المواطنين العزل[2].

وقد استنتج الشباب الإسرائيلي من كل هذا، أن ذاكرة العرب حية، وأن ذراع الدولة الصهيونية الاستيطانية العسكرية القوية لا يمكن أن تضعهم في حصن، ولا أن تقدم لهم الحماية طوال الوقت.. ولم يعد هذا الشباب يقتنع بالأيديولوجية الصهيونية؛ لذلك صرح وزير الدفاع

---

(١) عرض لكتاب (اليد الخفية.. دراسة في الحركات اليهودية السرية)، الناشر: دار الشروق بالقاهرة ١٩٩٨، (مقال تحليلي بمجلة (المنار الجديد) خريف ١٩٩٨م (ص ١٥٦).

(٢) د/ عبد الوهاب المسيري (انهيار إسرائيل من الداخل) ص ١٦٤ دار المعارف سنة ٢٠٠٢م.

الأسبق إسحاق مردخاي أن انخفاضًا حادًا طرأ على مستوى الاندفاع والرغبة القتالية في صفوف الشباب الإسرائيلي[١].

ونلخص فيما يلي بعض عوامل التآكل في إسرائيل من الداخل كما رآها المسيري:

أولًا: عدم تجانس المجتمع الصهيوني، فهذا التجمع ينقسم على نفسه عدة انقسامات فهناك الانقسام الأكبر وهو الانقسام الديني العلماني، ولكن هناك انقسام آخر لا يقل عنه أهميه هو الانقسام الغربي الشرقي[٢].

ثانيًا: من رأي الكاتب الإسرائيلي يوري أفنيري أن المشروع الصهيوني لا يمكن تحقيقه؛ حيث يقول: (فالجيش الإسرائيلي القوي لم ينجح حتى الآن في تحطيم العمود الفقري للانتفاضة. **لقد جرّب هذا الجيش كل شيء: البنادق والطائرات والدبابات والمدافع الثقيلة والتصفية الجسدية، وتحطيم أحياء بأسرها، والحصار، وتحطيم المنازل، وقطع الأشجار، ومع هذا لا يزال الفلسطينيون واقفين يصارعون غريمهم)[٣].**

ثالثًا: لم يتحقق هدف الحركة الصهيونية بجمع شمل المشتتين اليهود؛ فإن يهود العالم -خاصة يهود أمريكا- يرفضون تنفيذ النبوءة الصهيونية بالهجرة إلى أرض الميعاد، ويكتفون بإرسال إسهاماتهم بالبريد الإلكتروني[٤].

رابعًا: تفاقم المشكلة الديموغرافية المتمثلة في تزايد عدد الفلسطينيين بدرجة كبيرة، لا في العدد فحسب، وإنما تزايد نسبة المتعلمين بينهم، ويتحسن أداؤهم، وتتزايد مقاومتهم يومًا بعد يوم، وازدادت وطأة الهاجس الأمني، فالإسرائيلي يعيش في خوف دائم من العرب -كما صرح بذلك أحد الأطباء النفسيين في فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨[٥].

خامسًا: الفرار من الخدمة العسكرية.. وقد ظهرت حركة شبابية في إسرائيل تسمى «بروفايل جديد»، وهي حركة مستقلة تأسست في أكتوبر ١٩٩٨، وهدفها العمل على إلغاء التجنيد الإلزامي[٦].

---

(١) نفسه ص ١٦٦.

(٢) نفسه ص ٢٠١.

(٣) نفسه ص ١١٠.

(٤) نفسه ص ٤٨/ ٤٩.

(٥) نفسه ص ٧٢.

(٦) نفسه ص ١٦٠.

سادسًا: تشير الإحصائيات ذات الدلالة الاجتماعية إلى زيادة معدلات التآكل الداخلي، بزيادة المتعاطين للمخدرات والماريجوانا، وتفاقم ظاهرتي معاقرة الخمر وتعاطي المخدرات بين تلاميذ المدارس الإسرائيليين.. وتآكل الأسر بزيادة نسبة الطلاق.. واتساع ظاهره الشذوذ الجنسي حتى أصبح مقبولًا في المجتمع الإسرائيلي(١).

وبعد عرض الدكتور المسيري لتلك العوامل ينفي عن أن تصير سببًا في الانهيار طالما الأزمة لا يتحداها أحد من الخارج، ويقول: (إن الجيب الاستيطاني لا يمكن أن يتم القضاء عليه إلا من خلال الجهاد اليومي المستمر ضده، وما نذكره من عوامل تآكل في التجمع الصهيوني هي عوامل يمكن توظيفها لصالحنا، كما أنه يبين لنا حدود عدونا وأنه ليس قوة ضخمة لا تُقهر، لكنها في حدّ ذاتها لا يمكنها أن تؤدي به أو أن تؤدي إلى انهياره. واجب ألا تخدعنا الأرقام الصماء؛ لأنها لا تصور الحقائق.. **واجتهادنا في قراءة الحقائق يؤكد أن الجهاد ضد العدو ضرورة**)(٢).

٨- ديفيد هيرست:

في المقال التالي، يتوقع الكاتب الصحفي البريطاني «**ديفيد هيرست**» أن مصير إسرائيل سيكون شبيهًا بمصير الصليبيين.

هل تستمر إسرائيل على خطى الصليبيين؟

تحت هذا العنوان كتب الصحفي البريطاني ديفيد هيرست مقالًا مطولًا في موقع «**ميدل إيست آي**» الإخباري، يقارن فيه بين حروب دولة الاحتلال على الشعب الفلسطيني وبين الحروب الصليبية ضد المسلمين التي استمرت نحو قرنين من الزمن، من عام ١٠٩٩ حتى ١٢٩١.

وقال هيرست إن إسرائيل تثبت حقًّا يومًا بعد يوم أنها أشبه بالمسيحيين الصليبيين، فهي لا تحذو حذوهم في حربها الدائمة فحسب، بل في التطلّعات أيضًا. واستعرض باستفاضة النسخة الثالثة المحدثة من كتابه بعنوان: «**البندقية وغصن الزيتون:جذور العنف في الشرق الأوسط.. تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي**».

وتطرّق هيرست في الطبعة الجديدة من الكتاب لسلسلة حروب إسرائيل التي لا تنتهي على غزة، كان آخرها ما أطلق عليه الاحتلال عملية «جز العشب» العسكرية الحالية في مخيم جباليا وحي الزيتون شمال القطاع؛ بهدف تدمير قدرات معقل حركة المقاومة الإسلامية (حماس).

---

(١) نفسه ص ١٧٨/ ١٨١ باختصار.

(٢) نفسه ص ١٨٣.

وأوضح أن إطلاق اسم «جز العشب» يوحي كما لو أن الحرب عمل لا ينتهي أبدًا بالنسبة لأمة مثل إسرائيل، ستعيش إلى الأبد بالسيف، على الأقل بالنسبة لرئيس الوزراء الأطول خدمة «بنيامين نتنياهو».

«أسلاف الإسرائيليين»:

وقال هيرست إن من المؤكد أن «أسلاف الإسرائيلين» من «الصليبيين» -حسب تعبيره- فعلوا مثل ذلك في القرن الـ١١.

ولذلك يرى هيرست أنه لا مناص من المقارنة بين تلك المغامرة المسيحية المتمثلة في الحملات الصليبية بالقرون الوسطى وبين الصهيونية اليوم، ليس فقط في طبيعتها الأساسية وأهدافها ووسائل تحقيقها، ولكن في الطرق التي تكشفت بها صراعاتها مع دول وشعوب المنطقة في الواقع.

ووفق المقال، فإن الإسرائيليين يرفضون، بشكل عام، التهمة المتعارف عليها في العالم العربي والإسلامي بأنهم «صليبيون عصرنا».

إن ما يسميه الباحث الإسرائيلي «ديفيد أوحانا» «القلق الصليبي» أو «الخوف المستتر الصادم» من أن المشروع الصهيوني قد ينتهي بالدمار كما انتهى مشروع أسلافهم المسيحيين الصليبيين -بات مغروسًا في نفوس الإسرائيليين كما يقول هيرست، وأعاد الكاتب إلى الذاكرة تصريحًا كان قد أطلقه حاييم وايزمان، أول رئيس وزراء لإسرائيل، رئيس المنظمة الصهيونية العالمية، زعم فيه أن شعرة من رؤوس الفلسطنيين والعرب لن تُمس، وذلك في أعقاب انتزاعه وعدًا من وزير الخارجية البريطاني آرثر بلفور في ٢ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩١٧ بتأييد حكومة بلاده إقامة دولة لليهود في فلسطين.

ويرى هيرست أن إسرائيل استلهمت أفعالها مما يسميها «الخطيئة الأصلية» للصليبية المسيحية التي تدين لها بوجودها. في عام ١٠٩٩، نشأت مملكة القدس المسيحية على أنقاض واحدة من «أعظم جرائم التاريخ»، **وهي مذبحة جميع سكان المدينة المقدسة من المسلمين واليهود.**

وبعد ٨ قرون ونصف القرن، وبالتحديد بين عامي ١٩٤٧-١٩٤٨، ولدت إسرائيل من رحم «**جريمة مماثلة ضد الإنسانية**» وفقًا لتعبير الكاتب.

حذو النعل بالنعل:

وبحسب مقال لموقع بريطاني، ما يزال الإسرائيليون يقتفون أثر الصليبيين في أفعالهم حذو النعل بالنعل منذ ٧٥ عامًا وحتى الآن. فقد أمضى الصليبيون ١٩٢ عامًا، حقبة القرون الوسطى، في حروب متواصلة مع ممالك أو سلطنات الشرق الأوسط العربي الإسلامي «التي كانت في ذلك الوقت متناحرة ومتشرذمة داخليًا مثلما يحدث اليوم».

ففي حرب الأيام الستة في يونيو/ حزيران ١٩٦٧، حقّق الإسرائيليون «بضربة واحدة» أهدافهم الإقليمية والإستراتيجية التي تتطابق تقريبًا مع الأهداف والخطط التي استغرقت من بالدوين دي بويون -أول ملك للقدس وأحد قادة الحملة الصليبية الأولى- ٢٠ عامًا لتحقيقها.

وانتقد الكاتب في مقاله المجتمع الدولي؛ لأنه لم يحاسب إسرائيل على جرائمها، بل قد عمل العكس من ذلك؛ حيث يظل يرفع «حبيبة الغرب» -في إشارة لدولة الاحتلال- إلى مكانة رفيعة غير مسبوقة.

وعلى الرغم من أن الصهيونية كانت ذاتية المنشأ، على عكس الحملة الصليبية، إلا أن القوى العظمى (بريطانيا في ذلك الوقت ثم الولايات المتحدة حاليًا) هي التي مكّنتها وغرستها في أرض الغير (فلسطين)، وساعدت في ترسيخ أقدامها واستمرارها بالبقاء في بيئة معادية من صنعها وصنعهم، على حد تعبير هيرست.

وخلص إلى أنه كلما «نزعت إسرائيل الشرعية» عن نفسها في نظر العالم بسبب تصرفاتها في غزة الآن، بات مصيرها شبيهًا بمصير الصليبيين أنفسهم. ليس بإلقائها في البحر بالطبع! ولكن بطريقة أو بأخرى يتم التغلب عليها إستراتيجيًا/ عسكريًا/ دبلوماسيًا.

الحاشية الأخيرة:

حتى تاريخ كتابة هذه السطور ٨/ ٧/ ٢٠٢٤ فإن الغارات الوحشية ما زالت مستمرة على غزة الصامدة.. وإزاء الآلام والأحزان بسبب الصور المفزعة للمجزرة اليهودية الحاقدة، والتي نشاهدها على الهواء يوميًا.. إنها مشاهد مؤدية للغم وتراكم الأحزان.. ولا علاج لها إلا الدعاء من أعماق قلوبنا، والتنقيب في كتاب الله تعالى لتدبر المواقف المشابهة في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنها -كمثال- ما صوره القرآن الكريم لموقعة (أحد) ، لعلها تخفف من آلامنا وتضمد جراحنا وكأنها نزلت في أيامنا هذه.

ولله در الإمام ابن رجب الذي ذكرحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ستكون فتن، قلت: فما المخرج منها يا رسول الله، قال: كتاب الله؛ فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا تشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه، من قال به صدق، ومن عمل به أُجر، ومن حكم به عدل، ومن دعى إليه هُدي إلى صراط مستقيم»[1]، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ آل عمران: ١٣٩.

يقول الله تعالى مشجعًا لعباده المؤمنين ومقويًا لعزائمهم ومنهضًا لهممهم: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾، أي: ولا تهنوا أو تضعفوا في أبدانكم ولا تحزنوا في قلوبكم عندما أصابتكم المصيبة، وابتليا بهذه البلوى، فإن الحزن في القلوب والوهن على الأبدان زيادة مصيبة عليكم، وأعون لعدوكم عليكم، بل شجّعوا قلوبكم واجبروها، وادفعوا عنها الحزن، وتصلّبوا على قتال عدوكم، وعباد الله تعالى فإنه لا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وبشروا به، فالمؤمن المبتغي ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي له ذلك.

ولذلك قال تعالى ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ آل عمران: ١٤٠.

يذكرهم بما حصل لهم من الهزيمة وبيّن الحكمة العظيمة المترتبة على ذلك وهي: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾، فأنتم وهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون: ﴿إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ النساء: ١٠٤.

(١) ابن رجب الحنبلي (مورد الظمآن إلى معرفة فضائل القرآن) ص ٣٧، الحديث أخرجه الترمذي والدارمي، تحقيق ودراسة: يسري عبد الغني البشري، ط مكتبة القرآن - بولاق سنة ١٩٩٠م.

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يومًا لهذه الطائفة ويومًا للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية، وهذا بخلاف الدار الآخرة فهي خالصة للذين آمنوا: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

هذا أيضًا من الحكم؛ أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء؛ ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده.

فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء تبيّن المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، فمن ليس كذلك.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾، وهذا أيضًا من بعض الحكم؛ لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لينلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فإن من رحمته بعباده المؤمنين أن قيّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس؛ لينيلهم ما يحبّون من المنازل العالية والنعيم المقيم.

﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، الذين ظلموا أنفسهم وتقاعدوا عن القتال في سبيله.

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَيَمْحَقَ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾.

وهذا أيضًا من الحكم؛ أن الله يمحّص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله تكفّر الذنوب وتزيل العيوب ويمحّص الله أيضًا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم ويعرفون المؤمن من المنافق.

ومن الحكم أيضًا أنه يقدر ذلك؛ ليمحق الكافرين، أي ليكون سببًا لمحقهم، واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا بغوا وازدادوا طغيانًا إلى طغيانهم، يستحقون المعاجلة بالعقوبة رحمة بعباده المؤمنين.

﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَـٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ آل عمران: ١٤٢.

هذا استفهام إنكاري: أي لا تظنوا ولا يخطر ببالكم أن تدخلوا الجنة من دون مشقة، واحتمال المكاره في سبيل الله وابتغاء مرضاته، فإن في الجنة أعلى المطالب وأفضل ما به يتنافس المتنافسون، وكلما عظم المطلوب عظمت وسيلته، والعمل الموصّل إليه، فلا يوصّل إلى الراحة

إلا بترك الراحة، ولا يدرك النعيم الا بترك النعيم، ولكن مكاره الدنيا التي تصيب العبد في سبيل الله عند توطين النفس لها، وتمرينها عليها، ومعرفة ما تؤول إليه تنقلب -عند أرباب البصائر- منحًا يسرون بها ولا يبالون بها، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ غافر: ٥١.

والمعنى: أي بالحكمة والبرهان والنصر؛ ﴿وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَـٰدُ﴾ أي في الآخرة بالحكم ولأتباعهم بالثواب، ولمن حاربهم بشدة العذاب، يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم، أي الدار السيئة التي تسوء نازلها: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ﴾[1].

***

(١) تفسير السعدي ص ١٣٠/ ١٣١ وص ٧١٢ (مصدر سابق).

الملاحق

حاشية

يرجع الإكثار من عرض بعض آراء رجال الصحافة بالملاحق عن حرب طوفان الأقصى إلى عاملين:

الأول: أنهم شهود عدول على هذه الحرب منذ ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣ بكل أطوارها وأهدافها.

الثاني: أن شهاداتهم هي توثيق تاريخي مطابق تمامًا للواقع وغير قابل للتزوير أو التأويل كعادة إسرائيل!

***

ملحق رقم ١

بيان مجمع البحوث الإسلامية

عقد مجلس مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة جلسة طارئة في تمام الساعة ٦:٠٠ من مساء يوم السبت ١٠ من جمادى الآخرة ١٣٩٨هـ الموافق ٢٣ من أغسطس سنة ١٩٦٩، وتدارس الموقف الناتج عن ارتكاب إسرائيل للجريمة النكراء بحرق المسجد الأقصى، وقد تداول السادة الأعضاء الأمر وانتهوا إلى إصدار القرارات التالية:

أولًا: إصدار البيان المرفق الموجه إلى العالم الإسلامي، وإبلاغه للحكومات والمسئولين في العالم الإسلامي.

ثانيًا: دعوة الحكومات الإسلامية إلى التشاور في أفضل السبل لتنسيق التعاون بينها في استرجاع المسجد الأقصى وعقاب المعتدين اليهود!!

ثالثًا: مطالبة هيئة الأمم المتحدة بالعمل من أجل احترام وتنفيذ قراراتها فيما يخص مدينة القدس وفرض العقوبات اللازمة على المعتدين اليهود!!

رابعًا: تتابع الأمانة العامة تنفيذ هذه التوصيات وتخطر المجلس بما تم!! تعليقًا على ذلك يقول الأستاذ محمد عبد العزيز منصور: (أقول للحقيقة والتاريخ وبعد مرور عشر سنوات على صدور تلك التوصيات؛ فإن المسجد الأقصى ما زال أسيرًا بين أيدي اليهود الصهاينة).

لمثل هذا يذوب القلب من كمد ... إن كان في القلب إسلام وإيمان

***

نص البيان:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾

فالمسجد الأقصى مسرى النبي صلى الله عليه وسلم، وثاني المساجد التي تُشد إليها الرحال، وهو قبلة المسلمين، وهو الأرض الطيبة التي بارك الله ما حولها، وفيها التقى الأنبياء جميعًا، ومنه عرج النبي صلى الله عليه وسلم إلى الأفق الأعلى.. وهو المقام الشريف الطاهر لأخلد أحداث

الرسالات والنبوات، وهو إلى ذلك مهد عيسى عليه السلام، ومعتكف مريم البتول، هذا المكان الطاهر المقدس دنسه قتلة الأنبياء من بني إسرائيل في ماضيهم، ومثيرو الفساد في الأرض في حاضرهم، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله، وكلما انطفأت دبروا الأخرى؛ لأنهم أعداء الله، وأعداء الحق، وأعداء الإنسانية!!

لقد وقعت الواقعة، وارتكبوا كبرًا عظيمًا، لقد حرقوا ذلك المكان الذي احترمته الإنسانية في غابرها وحاضرها، بل إنها أزعجت المنصفين في كل مكان!!

لقد كانت الأرض المقدسة بما فيها من آثار النبيين المصطفيْن الأخيار في أيدي المسلمين، فقاموا على رعايتها، وحاطوها باحترامهم وعنايتهم، وكانوا أمناء على مقدسات الأديان كلها، بأمر دينهم، وهدي نبيهم، وقالوا منصفين: «لهم ما لنا وعليهم ما علينا» -وإن ما حدث بالأمس الأول من إحراق المسجد الأقصى لأوضح برهان وأقوى دليل أمام الرأي العام العالمي وهيئاته ومنظماته على أن اليهودية الصهيونية المعتدية لا تعبأ بقيم ولا تخشى سلطة قانون، ولا تأبه بمبادئ الحق والعدل، ولا تستمع لنداء السماء.. وإنما هي سادرة في غيها موغلة في طغيانها مستخفة بمشاعر مئات الملايين من المسلمين والمسيحيين؛ مما سبّب ثورة نفسية وغليانًا وجدانيًّا من شعوب العالم المتعلقة قلوبها بهذا المكان الطاهر!!

وإن أعضاء مجمع البحوث الإسلامية ليهيبون بالمسلمين والمسيحيين على السواء، حكومات وشعوبًا وهيئات، أن يهبّوا وأن يقوموا قومة رجل واحد، فيعملوا جاهدين متضامنين بأقوى الأساليب وأنجح الطرق لإنقاذ بيت المقدس وتطهيره من الصهاينة الغاصبين المعتدين المفسدين؛ ليبقى كما أراد له رب العالمين: طيبًا طاهرًا مباركًا فيه!!

أيها المسلمون: هذا هو المسجد الذي لوثه الصهيونيون، وما زال ملوثًا بآثامهم وفجورهم، ولم يكتفوا بذلك وإنما ختموا إجرامهم بإحراقه!!

أيها المسلمون: لقد أهينت المشاعر وأبيحت الحرمات.. فأصبح الجهاد الآن فرض عين على كل قادر عليه، أينما كان وفي أي أرض يقيم، وقد وجب أن يتحرك كل مسلم، وليرسل كل إقليم طائفة منه ينفرون للجهاد (اللّهم آمين)، ويرابطون مع المرابطين، ويقاومون مع المقاومين، ومن لم يجد في نفسه القوة البدنية فليرسل المال والسلاح للمرابطين!!

أيها المسلمون: لا تكتفوا بأن يعاد بناء ما هدم وإصلاح ما حرق، بل إنها الإهانة لا يغسلها إلا اقتلاع المفسدين وطردهم، وفي عنق كل مسلم تبعة بقائهم وتلحقه سبّة العار الذي نزل!!

أيها المسلمون في مشارق الأرض ومغاربها، إن روح رسول الله صلى الله عليه وسلم تناديكم، وأرواح الرسل والأنبياء جميعًا تهيب بكم: أن هُبُّوا جميعًا إلى تطهير الأرض المقدسة، وتطهير البيت الذي باركه الله وبارك حوله:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

﴿إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

***

(1) محمد عبد العزيز منصور (اليهود المغضوب عليهم) صفحات ص ١٤٩/ ١٥٢ ط دار الاعتصام ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

ملحق رقم ٢

دليلي إلى محطات الصراع العربي الإسرائيلي[١]

عام:

١٨٥٠. تكوين الاتحاد الإسرائيلي العالمي وبداية الدعوة إلى الصهيونية باعتبارها قومية لليهود، ولا يزال هذا الاتحاد قائمًا ومقره اليوم باريس.

١٨٩٧ انعقاد المؤتمر الصهيوني العالمي الأول في مدينة بال بسويسرا برئاسة تيودور هرتزل دون أن ينتبه عربي واحد لما يحدث.

١٩١٧. صدور وعد بلفور، وزير خارجية بريطانيا العظمى، لمنح اليهود الحق في إقامة وطن قومي في فلسطين، وكان الفلسطينيون يملكون ٦٩,٥٪ من الأرض الزراعية واليهود يملكون ٣٠,٥٪ فقط.

١٩١٨. عصبة الأمم توافق على تعيين بريطانيا دولة للانتداب على فلسطين؛ حيث بدأت قوافل الهجرة اليهودية إلى البلاد تحت رعايتها وبتسهيلاتها السلطوية ٣٢٠٠ مهاجر حتى عام ١٩٣٤.

١٩٢٥. ٢٥ أبريل افتتاح الجامعة العبرية في القدس، تحت رعاية لورد بلفور، حضر الحفل مندوبون عن ٦٠ جامعة، من بينها وفد الجامعة المصرية برئاسة أحمد لطفي السيد، وقد اندلعت المظاهرات الفلسطينية، وأُعلن عن إضراب عام احتجاجًا على بريطانيا التي سمحت بتأسيس هذه الجامعة.

١٩٢٩. أول صدام شامل بين الفلسطينيين واليهود في القدس عند المسجد الأقصى ومصعد البراق؛ حيث حاول اليهود المسلحون بتواطؤ حكومة الانتداب انتزاع ملكية المكان بزعم أنهم أصحاب حق تاريخي في حائط المبكى الذي تحته هيكل سليمان، والعرب غير منتبهين حتى الآن.

---

(١) مجلة تحديات ثقافية – العدد الخامس – السنة الثامنة، محرم بك - الإسكندرية – شارع سيد أحمد حسن، صيف ٢٠٠١.

١٩٣٦. أبريل -الثورة الفلسطينية الكبرى بدأت بإضراب عام واجهته حكومة الانتداب بعنف مسلح؛ مما أدى إلى سقوط خمسة آلاف فلسطيني في خلال سنوات الثورة الثلاث ولم يصدر أي رد فعل من الحكومات العربية، أو حتى من الأحزاب المصرية، إلا حزب الوفد الذي تبرع بمبلغ ٤٠ جنيهًا، دفعها النحاس باشا من جيبه الخاص، لكن الشعوب العربية بدأت تستيقظ.

١٩٣٧. سبتمبر، الموقف العربي السياسي يتغير تحت الضغوط الشعبية في كل مكان.

١٩٣٩. مؤتمر لندن، وفد عربي يجتمع مع اليهود لبحث قضية فلسطين، ولكن المباحثات فشلت.

١٩٤٥. بلغ عدد أفراد الهاجاناه (نواة جيش الدفاع بالعبرية) ٨٠٠٠٠ مقاتل، وعدد أفراد منظمة الأرجون تسفائي لئومي (المنظمة العسكرية القومية) ٢٠٠٠٠ بزعامة الإرهابي مناحم بيجن، صاحب التعبير المشهور: «نحن نحارب إذًا نحن موجودون».

١٩٤٥. تأسيس جامعة الدول العربية.

١٩٤٦. ٢٢ مايو -منظمتا الأرجون وشتيرن تنسفان فندق الملك داود بالقدس، مقر الاستخبارات البريطانية، في إطار مخطط يدفع بريطانيا للانسحاب من فلسطين؛ لكي تقوم دولة إسرائيل.

١٩٤٦. ٢٢ مايو -الملك فاروق يدعو إلى اجتماع قمة عربية في أنشاص، حضره العراق وسوريا ولبنان والسعودية واليمن؛ من أجل القضية الفلسطينية.

١٩٤٧. ١١ ديسمبر -صدر عن الأمم المتحدة القرار ١٨١ بتقسيم فلسطين إلى دولتين: عبرية ولها ٥٤٪ من الأرض، وعربية ولها ٤٦٪، وقد رفضت الدول العربية هذا القرار.

١٩٤٨ ٢ أبريل -سقوط مدينة يافا، وطرد سكانها على أيدي منظمة الأرجون بقيادة الإرهابي مناحم بيجن.

١٩٤٨. ٩ أبريل-مذبحة دير ياسين، نفذها بيجن حيث قتل ٣٠٠ من النساء والأطفال.

١٩٤٨. نزوح عشرات الألوف من الفلسطينيين خوف المذابح، وأما اليهود فقد وصل عددهم إلى ٦٠٠ ألف نسمة، وانفتح الباب للوافدين.

١٩٤٨. ١٥ مايو -إعلان قيام دولة إسرائيل، وطرد الفلسطينيين بالآلاف من أراضيهم.

١٩٤٨. ١٦ مايو -بعد خمس دقائق أمريكا تعترف بإسرائيل وتتبادل معها السفراء.

١٩٤٨. ١٦ مايو -إعلان ثماني دول عربية الحرب على إسرائيل، ٤٦٠٠٠ مقاتل عربي ضد ١٠٠٠٠٠ مقاتل إسرائيلي، وقد حاقت الهزيمة بالجيوش العربية.

١٩٤٨. ١٧ مايو -تشيكوسلوفاكيا توقع صفقة سلاح سرية مع إسرائيل بأسعار مخفضة.

١٩٤٨ إرهابيون صهاينة بقيادة إسحاق شامير يغتالون الكونت برنادوت وسيط الأمم المتحدة؛ لمحاولته اتخاذ موقف محايد.

١٩٤٨. إسرائيل تعلن عن ضم الأراضي التي كسبتها من الجيوش العربية في فلسطين وتبلغ ٢٤٪، علاوة على ٥٤٪ المقررة لها بقرار التقسيم، وهكذا لم يبق من فلسطين العربية إلا غزة والضفة الغربية.

١٩٤٨. مصر تعيِّن حاكمًا عسكريًّا لإدارة قطاع غزة لحساب الفلسطينيين، وعبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن يعلن ضم الضفة الغربية وقيام المملكة الأردنية الهاشمية.

١٩٤٨. ١١ ديسمبر-صدور القرار ١٩٤ بعودة اللاجئين وتعويض من لا يرغب في العودة.

١٩٤٩. ١٠ يناير-توقيع اتفاقية الهدنة بين إسرائيل والدول العربية المحاربة، وذلك بفندق الزهور بجزيرة رودس.

١٩٤٩. ٤ مايو -مؤتمر لوزان حضرته إسرائيل للإيهام بأنها سوف تنفذ قرارات الأمم المتحدة الخاصة بعودة اللاجئين والالتزام بقرار التقسيم.

١٩٤٩. ١١ مايو -صدور القرار رقم ١٩٤ بقبول عضوية إسرائيل بالأمم المتحدة، بشرط تنفيذ قرارات المنظمة الدولية، وبمجرد صدور هذا القرار انسحبت إسرائيل من مؤتمر لوزان.

١٩٥٣. أغسطس -الوحدة ١٠١ بقيادة الملازم أريل شارون تهاجم قرية قبية وتذبح ٢٠ فلسطينيًّا نصفهم من النساء والأطفال.

١٩٥٥. ٢٨ فبراير -هجوم إسرائيل على غزة وقتل ٤٠ فلسطينيًّا ومصريًّا.

١٩٥٥. ٥ أبريل -عبد الناصر ينجح في إبعاد إسرائيل عن مؤتمر باندونج.

١٩٥٥. ٢٠ مايو -هجوم ثان على غزة، والمقاتلات الإسرائيلية تعترض وتخطف طائرة ركاب سورية.

١٩٥٥. أكتوبر -هجوم على موقع الكونتيلا داخل الحدود المصرية.

نوفمبر -هجوم على موقع الصيحة المصري قُتل فيه ٨٠ شهيدًا.

١٩٥٦. ٢٩ أكتوبر -العدوان الثلاثي على مصر.

إسرائيل تحتل سيناء مشاركة منها لبريطانيا وفرنسا في العدوان.

١٩٥٦. انسحاب الدول الثلاث بعد الفشل في إسقاط حكم عبد الناصر.

١٩٦٤. إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية بمساعدة مصر، وبدء عمليات المقاومة المسلحة ضد إسرائيل داخل الأرض المحتلة.

١٩. ٥ يونيو -إسرائيل تنجح في احتلال سيناء ومرتفعات الجولان السورية وغزة والضفة الغربية والقدس الشرقية وأجزاء من أراضي شرق الأردن القديم.

١٩٦٧. ٢٢ نوفمبر -صدور قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢، وينص على الاعتراف بسيادة دول المنطقة، وعدم جواز ضم أراضي الغير بالقوة، وانسحاب إسرائيل من الأراضي (أراض بتفسير إسرائيل) التي احتلت في حرب يونيو.

١٩٦٧. ٢٨ أغسطس -مؤتمر الخرطوم لا صلح ولا اعتراف بإسرائيل ولا تفاوض معها.

١٩٦٧. ٢١ أكتوبر -لنشات الصواريخ المصرية تغرق المدمرة الإسرائيلية إيلات في معركة بحرية مذهلة.

١٩٦٨. ٣١ مارس -المقاومة الفلسطينية المسلحة تخوض معركة الكرامة ضد الجيش الإسرائيلي وتكبده خسائر فادحة في وادي الأغوار بالأردن.

١٩٦٩. ٨ نوفمبر -المدمرتان البحريتان (الناصر ودمياط) تطيحان بلواء إسرائيلي ميكانيكي ولواء شؤون إدارية في منطقتي بالوظة ورمانة، ودمياط تسقط طائرتين حربيتين لإسرائيل في طريق عودتها.

١٩٦٩. ٢١ نوفمبر -الضفادع البشرية المصرية تنسف ميناء إيلات، وتدمر معه ثلاث قطع بحرية إسرائيلية.

١٩٦٩. ديسمبر -مؤتمر الرباط بالمغرب يفشل بسبب المواجهة بين عبد الناصر والزعماء العرب.

١٩٧٠. يناير – بدء ضربات إسرائيل في العمق المصري، تدمير مصنع أبي زعبل ومدرسة بحر البقر، القتلى من المدنيين بالمئات.

١٩٧٠. يونيو –عبد الناصر يقبل مبادرة روجرز، التي تنص على استبعاد العمل العسكري بين مصر وإسرائيل على أساس الاعتراف المتبادل بالسيادة، والعراق ومنظمة التحرير الفلسطينية يعترضان ولكن عبد الناصر يستفيد بفترة وقف إطلاق النار لبناء حائط صواريخ سام ٦ و٧ السوفيتية وصولًا إلى شاطئ القناة.

١٩٧٠. سبتمبر –أسبوع تساقط طائرات الفانتوم الإسرائيلية بصواريخ سام ٣، والضفادع البشرية المصرية تدمر ميناء إيلات.

١٩٧٠ سبتمبر –الصدام بين الدولة الأردنية مع المقاومة الفلسطينية، ورئيس الحكومة وصفي التل يجري مذبحة للمقاومة.

٢٧ سبتمبر –مؤتمر قمة عربي طارئ بالقاهرة للمصالحة ينتهي بترتيب خروج المقاومة الفلسطينية من الأردن إلى لبنان.

١٩٧٣. ٦ أكتوبر –القوات المسلحة المصرية تعبر القناة وتحطّم خط بارليف وتنزل الهزيمة بالجيش الإسرائيلي الذي لا يُقهر.

١٩٧٣. ١٤ أكتوبر –إسرائيل تقوم بعبور مضاد من نقطة الدفرسوار، وتصل بطابور مدرعات إلى شرق القناة، وتحاصر السويس والجيش الثالث الميداني في سيناء، ولكنها تعجز عن احتلال مدينة السويس.

١٩٧٣. ٢٢ أكتوبر –صدور القرار ٣٣٨ بوقف إطلاق النار والدعوة إلى الحل السياسي.

١٩٧٣. ٢٧ ديسمبر –محادثات عسكرية بين مصر وإسرائيل عند الكيلو ١٠١ طريق القاهرة – السويس لفض الاشتباك بين القوات.

١٩٧٣. ٣١ ديسمبر –«مؤتمر جنيف» حضرته مصر والأردن وإسرائيل وأمريكا والاتحاد السوفيتي، وبمقتضاه أُعطيت أمريكا صلاحيات التحرك نحو الحل السياسي.

١٩٧٥. ١ سبتمبر –توقيع اتفاقية سيناء بين مصر وإسرائيل لوقف كل الأعمال العسكرية بينهما في البر والبحر والجو.

١٩٧٥. ٢ ديسمبر –٣٠ طائرة إسرائيلية تقصف مخيمات اللاجئين في لبنان وتقتل ٥٧ شخصًا.

١٩٧٥. في نفس اليوم: الطائرات الإسرائيلية تسقط طائرة مدنية ليبية فتقتل كل ركابها: ١١٠ أشخاص.

١٩٧٦. ١٢ أغسطس -ميليشيات الكتائب اللبنانية المارونية تذبح ٢٥٠٠ فلسطيني في مخيم تل الزعتر بمعاونة إسرائيل.

١٩٧٧. ١٩ نوفمبر -السادات يزور إسرائيل لتحريك الموقف السياسي، وسوريا تعلن هذا اليوم يوم حداد وطني.

١٩٧٨. ١٤ مارس -٢٥٠٠٠ جندي إسرائيلي يجتاحون جنوب لبنان؛ لإبعاد المقاومة الفلسطينية عن شمال إسرائيل.

١٩٧٨. ١٩ مارس -صدور قرار مجلس الأمن رقم ٤٢٥ ويقضي بانسحاب إسرائيل من لبنان دون قيد أو شرط.

١٩٧٩. ٢٦ مارس -توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل، بموجبها تستعيد مصر كامل أراضيها مقابل إقامة علاقات دبلوماسية وثقافية واقتصادية طبيعية مع إسرائيل.

١٩٧٩. ٢٨ مارس -الجامعة العربية تقرر سحب السفراء العرب من مصر وتجميد عضويتها ونقل مقر الجامعة إلى تونس.

١٩٨٠. ١٣ يونيو -الموساد الإسرائيلي يغتال عالم الذرة المصري يحيى المشد.

١٩٨٠. ٢٩ يوليو -صدور قرار من الجمعية العامة للأمم المتحدة بإقرار حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره.

١٩٨١. ٧ يونيو – ٢٤ طائرة إسرائيلية تدمر المفاعل النووي العراقي.

١٩٨١. ٢٤ يوليو -قصف إسرائيلي مكثف لبيروت يؤدي لمصرع ٤٥٠ لبنانيًا.

١٩٨١. ١٥ سبتمبر -الجيش الإسرائيلي يحتل بيروت الغربية.

١٩٨١. ٢٩ سبتمبر -المقاومة الشعبية اللبنانية والفلسطينية تجبر إسرائيل على الانسحاب من بيروت إلى جنوب لبنان.

١٩٨١. ١٥ ديسمبر -قرار مجلس الأمن ٤٩٧ يطالب إسرائيل بإلغاء قرارها بضم الجولان السورية.

١٩٨٢. ١٣ يوليو -إسرائيل تعود إلى حصار بيروت.

١٩٨٣. ٣٠ يوليو -سقوط مطار بيروت الدولي في أيدي الاسرائيليين.

١٩٨٣. ٦ أغسطس -اتفاق أمريكا ولبنان على إجلاء المقاومة الفلسطينية عن بيروت.

١٩٨٣. ١٧ ديسمبر -«مذبحة صابرا وشاتيلا للفلسطينيين» في لبنان، والأمم المتحدة تدين إسرائيل.

١٩٨٤. ١٤ ديسمبر -الأسطول السادس الأمريكي يقصف بيروت.

١٩٨٤. ٢٠ ديسمبر -**ياسر عرفات ومعه ٥٠٠٠ مقاتل فلسطيني يغادرون** ميناء طرابلس اللبناني متوجهين إلى اليمن.

١٩٨٥. ٤ يناير -إسرائيل تخفِّض قواتها في الجنوب اللبناني.

١٩٨٥. ٢٧ فبراير -انسحاب القوات الأمريكية من لبنان.

١٩٨٧ ٩ ديسمبر -**انتفاضة الحجارة الفلسطينية في الأراضي المحتلة، وقد قُتل فيها ١٥٠٠ شهيد، من بدايتها وحتى عام ١٩٩٣.**

١٩٨٩. ٢٣ يونيو -قمة عربية طارئة في الدار البيضاء تعلن الموافقة على قراري ٢٤٢- ٣٣٨ وتلغي قرار تجميد عضوية مصر بالجامعة.

١٩٨٩. ١٤ يوليو -الموساد تغتال **عالم الذرة المصري دكتور سعيد بدير** في بيته بالإسكندرية، وتصور الأمر كحادث انتحار.

١٩٩١. ٢٦ فبراير -**العراق يضرب إسرائيل بصواريخ سكود أثناء حرب الخليج.**

١٩٩١ ٣٠ أكتوبر -مؤتمر مدريد للسلام برعاية أمريكا والاتحاد السوفيتي، وحضر هذا المؤتمر إسرائيل وسوريا ولبنان ووفد مشترك أردني/ فلسطيني ومصر بصفة مشارك، وكان من نتائجه القبول بعملية السلام وبدء المفاوضات بين إسرائيل وكل طرف عربي على حدة، على أساس مبدأ: «الأرض مقابل السلام».

١٩٩٣. ١٣ سبتمبر -**توقيع اتفاقية أوسلو في واشنطن**، بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، أمام وفود عالمية ودولية، على أساس القرار ٢٤٢، أي اقتصار المفاوضات على الأراضي المحتلة بعد حرب ٦٧، وتبلغ ٢٢٪ **من مجمل فلسطين، مقابل السماح للمنظمة بالانتقال إلى غزة وأريحا لتأسيس الحكم الذاتي، وقام ياسر عرفات بمصافحة إسحاق رابين بعد التوقيع.**

١٩٩٤. ٢٥ فبراير -المستوطن اليهودي باروخ جولد شتاين يقتحم الحرم الإبراهيمي ببندقية آلية يحصد بها أرواح ٣٩ فلسطينيًا كانوا يصلون الفجر.

١٩٩٤. ٢٦ أكتوبر -توقيع سلام وادي عربة بين إسرائيل والأردن، سمح في الأخير باعتبار الشريط المحتل في حرب ٦٧ أرضًا مؤجرة لإسرائيل.

١٩٩٥. ٣ نوفمبر -متطرف يميني يهودي يغتال رئيس الوزراء إسحاق رابين.

١٩٩٦. ٢ أبريل -إسرائيل تنفّذ مذبحة قانا في لبنان فتقتل آلاف اللاجئين من الفلسطينيين.

١٩٩٦. ٢٤ أبريل -منظمة التحرير الفلسطينية تلغي بنود الميثاق التي لا تعترف بإسرائيل.

١٩٩٨ ٢٣ أكتوبر -اتفاق واي ريفر، وينص على انسحاب الجيش الإسرائيلي من أراضي الضفة مقابل ترتيبات أمنية.

١٩٩٩. ١٧ مايو -فوز يهود باراك، زعيم حزب العمل، على نتنياهو في انتخابات رئاسة الوزراء.

٢٠٠٠ ٢٠ يوليو -فشل قمة كامب ديفيد رقم ٢ بين عرفات وباراك وكليتنون؛ لتعنت إسرائيل بشأن القدس، ومطالبة عرفات بالتنازل عن حق العودة، والمساومة على نسبة الـ ٢٢٪ الباقية من الأراضي الفلسطينية.

٢٠٠٠ ٢٧ سبتمبر -أرييل شارون يقتحم ساحة المسجد الأقصى ومعه جنود إسرائيليون بزعم زيارة حائط ا المبكى.

٢٠٠٠ ٢٨ سبتمبر -بدء الانتفاضة الفلسطينية الثانية التي كلفت اليهود -وبإحصائياتهم الحكومية- ٤٧٧٣ بين قتيل وجريح.

٢٠٠١. ٦ فبراير - أرييل شارون يفوز على باراك بفارق ٢٠٪ في انتخابات رئاسة الوزراء، ببرنامج يعتمد على العنف في الرد على الانتفاضة.

٢٠٠١. الصيف الساخن -الجيش الإسرائيلي يقصف مناطق السلطة الوطنية بالمدفعية والمروحيات وطائرات F16 ويدمر البنى التحتية الفلسطينية.

٢٠٠١. الصيف الساخن -عمليات انتحارية مضادة: فلسطيني يفجر نفسه في حشد إسرائيلي فيقتل ٢٠ ويصيب ١٠٠ بجروح.

بيانات أخرى:

- قبل حرب ٤٨ كان عدد الفلسطينيين حوالي ٣ ملايين نسمة، تم اقتلاع ٧٥٠ ألف منهم وطردهم فيما يسمى بعملية Transefer، وقد وصل عدد اللاجئين اليوم إلى ٤,٥٠ مليون لاجئ.
- بلغت خسائر الشعب الفلسطيني حتى عام ٢٠٠٠ حوالي ٢٧٥ ألف شهيد و٣٨٠ ألف جريح ومعوق.
- خسائر إسرائيل في جميع حروبها ضد العرب ٢٠٤٠ جنديًا.
- عدد سكان إسرائيل اليوم ٦ ملايين و٦٧٠ ألف نسمة، منهم ٨١٪ يهودًا (٥ ملايين و٦٠٠ ألف نسمة)، ١٩٪ عربًا (مليون و٧٠ ألف نسمة).
- الناتج القومي الإسرائيلي سنويًا ١٠٠ بليون دولار.
- الناتج القومي للخاضعين للسلطة الفلسطينية ٤ بلايين دولار.
- متوسط دخل الفرد ١٣٧٠ دولارًا.

المصادر الرئيسة والتوثيق:

١ - التقرير الإستراتيجي العربي، الأعداد من ١٩٨٥ إلى ٢٠٠٠.

٢- محمد حسنين هيكل، أكتوبر ٧٣: السلاح والسياسة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، القاهرة.

٣- محمد حسنين هيكل، أكتوبر ٧٣: المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل (ثلاثة أجزاء)، دار الشروق، القاهرة ١٩٩٦.

٤- ١٠٠ سنة في ذاكرة التاريخ (ثلاثة أجزاء)، كتاب الجمهورية، القاهرة ١٩٩٧.

٥ - السفير صلاح عابدين، حرب السلام، دار الحرية، العدد ٣٩ القاهرة ١٩٩٧.

٦- محمد إبراهيم كامل، السلام الضائع في كامب ديفيد، كتاب الأهالي، القاهرة.

٧- دكتورة عواطف عبد الرحمن، مصر وفلسطين، عالم المعرفة ط٢ الكويت يونيو ١٩٨٥.

٨ - مختارات إسرائيلية، مركز الدراسات السياسية والإستراتيجية بالأهرام.

٩- سيمور هيرس، الخيار شمشو، دار الكتاب العربي دمشق ١٩٩٢.

١٠ -دكتور رشاد عبد الله الشامي، إشكالية الهوية في إسرائيل، عالم المعرفة الكويت أغسطس ١٩٩٧.

11Parague -Franz kafka Publishers-Anti-samitism in past totalltrain Europe 1993

١٢ - دكتور عبد الوهاب المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، دار الشروق القاهرة ١٩٩٩.

١٣ - صبري أبو علم، شاعر مصري ومقاتل بحري سابق، شهادة شفوية.

***

ملحق ٣[1]

أتمت مصر وسوريا التخطيط والاستعداد الجيد وعلى أسس علمية لخوض حرب الكرامة وتحرير الأرض في سيناء والجولان، واتفقتا على توقيت الساعة ٢:٠٠ ظهرًا لبدء الحرب يوم ٦ أكتوبر وهو عيد الغفران عند اليهود. وأحيط ميعاد الحرب بدرجة سرية عالية حتى يحقق المفاجأة للعدو الصهيوني وينهي إلى الأبد سلسلة الانتصارات الإسرائيلية الوهمية على مدى ٢٥ عامًا التي ساعدها على ذلك طغيان وجهل من تسلّطوا على حكم البلاد العربية في هذه الفترة، ويبدأ عهد جديد بصحوة إسلامية منذ منتصف السبعينيات من القرن الماضي، كانت أولى شرارتها للنداء الخالد الله أكبر الذي أطلقه الجنود المصريون عند اعتلاء خط بارليف، وزرع العالم المصري يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣هـ بشائر النصر على الجبهة المصرية.

مع حلول ساعة الصفر انطلقت الطائرات المصرية والسورية على أهدافها في سيناء والجولان وعمق إسرائيل، واقتحم الجنود المصريون قناة السويس تحملهم القوارب المطاطية الصغيرة في موجات متتابعة، بعد أن قطعوا المسافة من أماكن تمركز وحداتهم على بُعد كيلو مترات عديدة من القناة عدوًا وصلت حتى ١١ كيلو مترًا من حافة القناة حتى ينالوا شرف السبق والعبور إلى أرض سيناء، وحملت القوارب الصغيرة أعدادًا من الجنود أربعة أضعاف المخطط لها حمله، واعتلوا الساتر الترابي لخط بارليف المنيع في الوقت الذي بدأ فيه أكثر من ٢٠٠٠ مدفع عملية التمهيد النيراني الذي يعد واحدًا من أكبر عمليات التمهيد النيراني في التاريخ، وأطلقوا أكثر من ١٠٠٠٠ دانة مدفعية على تحصينات ودوشم ومعدات ومراكز قيادة العدو الصهيوني داخل سيناء على امتداد الجبهة بطول ١٦٠ كلم، بمشاركة قوات رمزية من السودان وليبيا والكويت وتونس والجزائر.

وفي الساعة الثانية وعشرين دقيقة كانت المدفعية المصرية قد أتمت القصفة الأولى من التمهيد النيراني التي استغرقت ١٥ دقيقة، والتي تركزت على جميع الأهداف المعادية على الشاطئ الشرقي للقناة إلى عمق يتراوح ما بين كيلو متر واحد وكيلو متر ونصف، في اتجاه الشرق تحت الساتر الرهيب للتمهيد النيراني، كان موعد الرجال مع اللحظة التي انتظروها منذ ٦ سنوات،

---

(١) عميد يحيى أحمد حسين، مقال بعنوان: هزيمة ساحقة لإسرائيل في حرب أكتوبر رغم تدخل السادات، جريدة (النور) بتاريخ ٢٤ جمادى الأولى سنة ١٤٣٣هـ -١٦ أبريل سنة ٢٠١٢م (أي أن السادات أجهض النصر)!!

لحظة أن يخترقوا مياه القناة ويدهسوا بأرجلهم أعناق العدو، ويدمروا بأيديهم العارية خطهم الدفاعي الذي تغنى به قادتهم المغرورون وقالوا إن المصريين يلزمهم لكي يعبروا ويجتازوا خط بارليف أن يستعينوا بسلاح المهندسين في كل من الجيش الأمريكي والجيش السوفيتي، ويستخدموا قنابل ذرية لفتح ثغرات الساتر الترابي الذي فتحه الجيش المصري بخراطيم المياه.

تدفقت قوات المشاة والصاعقة في قوارب المطاط، وكان للقوات المصرية في الدقيقة الأولى ٨٠٠٠ مقاتل على الضفة الأولى للقناة، بعد ساعة ونصف ١٤٠٠٠ مقاتل، وبعد خمس ساعات ٣٢٠٠٠ مقاتل، وقد تم استخدام ٢٥٠٠ قارب في الاجتياح التاريخي للقناة و١٥٠٠ سلم وتسلق خط برليف.

- ضمّت موجات العبور الأولى عددًا كبيرًا من سلاح المهندسين، الذين قاموا بتعطيل أجهزة خط بارليف التي كان دورها إشعال قناة السويس بالنابالم حين عبور المصريين، كما أشرف المهندسون على إنشاء الكباري وفتح الممرات في الساتر الترابي لخط بارليف.
- قامت القوات البحرية بدور مهم، بقصف نقاط مهمة في البحرين الأحمر والمتوسط، وكذلك التمركز في باب المندب، واعتراض طريق السفن الإسرائيلية التجارية، ووقف إمدادات النفط بإسرائيل.
- وبعد ٨ ساعات من القتال تم فتح ٦٠ ممرًا في الساتر الترابي على القناة، وإنشاء ثمانية كباري ثقيلة، وبناء معدية لعبور الدبابات والأفراد.

بشائر النصر على الجبهة السورية:

في نفس التوقيت وحسب الاتفاق المسبق، قام الجيش السوري بهجوم شامل في هضبة الجولان، وشنت الطائرات السورية هجومًا كبيرًا على مواقع التحصينات الإسرائيلية في عمق الجولان، وهاجمت التجمعات العسكرية والدبابات ومرابط المدفعية الإسرائيلية ومحطات الرادار وخطوط الإمداد، وحقق الجيش السوري نجاحًا كبيرًا وحسب الخطة المعدة، بحيث انكشفت أرض المعركة أمام القوات والدبابات السورية، التي تقدمت عدة كيلومترات في اليوم الأول من الحرب؛ ما أربك وشتت الجيش الإسرائيلي الذي كان يتلقى الضربات في كل مكان من الجولان.

بينما واصل الجيش السوري تقدمه في الجولان وتمكّن في ٧ أكتوبر من الاستيلاء على القاعدة الإسرائيلية الواقعة على كتف جبل الشيخ في عملية إنزال للقوات الخاصة السورية التي تمكّنت من الاستيلاء على مرصد جبل الشيخ وعلى أراضٍ في جنوب هضبة الجولان ورفع العالم السوري فوق أعلى قمة في جبل الشيخ، وتراجعت العديد من الوحدات الإسرائيلية تحت قوة الضغط السوري، وأخلت إسرائيل المدنيين الإسرائيليين الذين استوطنوا في الجولان حتى نهاية الحرب.

فشل الهجوم المضاد الإسرائيلي:

استمر تفوق القوات المصرية السورية على الجبهتين في الأيام التالية ليوم النصر العظيم، وكان جنود الجيش الإسرائيلي يفرّون من الذعر الذي أصابهم من هول المفاجأة وقوة وشجاعة ونيران الجنود المصريين والسوريين على مدى أيام ٧، ٨ أكتوبر، وحقق الجيشان المصري والسوري مزيدًا من الانتصارات وكسب الأراضي التي يفر منها الصهاينة، حتى بدأ الجيش الإسرائيلي الهجوم المضاد يوم ٨ أكتوبر، أي بعد ٤٨ ساعة من بدء الحرب؛ مما سهّل من مهمة (على عكس ما كان متوقعًا بعد ٨ ساعات من بدء الحرب) القوات المصرية في صدّ الهجوم المضاد للجيش الإسرائيلي وتدمير أكثر من ٢٥٠ دبابة. كانت هناك بطولات لوحدات الصاعقة والمظلات المصرية، التي دفعت خلف خطوط العدو في عمق سيناء مساء ٦ أكتوبر لتعطيل تقدم احتياطيات العدو -من ٦ إلى ٨ ساعات- من التقدم والاشتباك مع القوات التي ما زالت تعبر قناة السويس، واستشهد جميع الأبطال بهذه الوحدات بعد أن أدوا المهمة (ليست تعطيل ولكن تدمير ٥ لواءات مدرعة بالكامل)، وكرر الجيش الإسرائيلي الهجوم المضاد يوم ٩ أكتوبر، وكان الفشل حليفه للمرة الثانية، وتم تدمير عدد كبير من الدبابات القائمة بالهجوم، ولم يفكر الجيش الإسرائيلي مرة أخرى في القيام بأي هجوم مضاد على الجيش المصري، وأيقنت إسرائيل أنها أمام جيش قوي غير قابل للهزيمة، فلجأت إلى الخداع الأمريكي الإسرائيلي.

فشل تطوير الهجوم المصري وأسبابه:

وكان يجب على القيادة المصرية استغلال الحالة المعنوية العالية للجيش المصري، وكذلك الحالة السيئة للجيش الإسرائيلي، في استمرار التقدم بحرص داخل سيناء حتى الممرات، ولكن تدخل أمريكا بقيادة كيسينجر بالضغط على السادات، بل اللعب به منذ ٨/ ١٠/ ١٩٧٣ بوقف القتال ولو على جبهة واحدة؛ لأن إسرائيل لا تستطيع الحرب على جبهتين في وقت واحد، وحتى يتسنى

للجيش الإسرائيلي السيطرة على الجبهة السورية ثم يتفرغ للجبهة المصرية، وقد كان لها ما أرادت للأسف، وصدرت الأوامر للجيش المصري بالتوقف يوم ٩ أكتوبر بتدخل من السادات في مجريات العمليات العسكرية، وهذا خطأ تاريخي يجب الوقوف أمامه كثيرًا!

وهذا ما أعطى الفرصة كاملة للجيش الإسرائيلي لأن ينفرد بالجبهة السورية، ويستغل عدم وصولها إلى نهر الأردن -أي حدود ٦٧- ليشن هجومًا مضادًا في كامل هضبة الجولان، ويستعيد معظم أراضي الجولان، بالرغم من الدعم العسكري لقوات العراق والأردن والسعودية والكويت التي شاركت في الجبهة السورية، وإزاء هذا التوقف للجيش المصري (وقفة تعبوية) غير المبرر نجحت إسرائيل في تحييد الجبهة المصرية منذ نهاية يوم ٩ أكتوبر حتى يوم ١٤ أكتوبر، وتساءلت القوات المصرية في سيناء عن سبب التوقف وعدم مواصلة القتال واستغلال النجاح لتنفيذ المهمة وتحرير الأرض، ولم يستمع السادات وأحمد إسماعيل وزير الحربية لما طلبه الفريق الشاذلي وقادة الجيوش الميدانية، وقد تحدد يوم ١٣ أكتوبر صباحًا للقيام بتطوير الهجوم، ثم تأجل إلى الساعة السادسة صباح يوم ١٤ ثم الساعة الثامنة، أي بعد طلوع الشمس في أعين رامات الدبابات القائمة بالهجوم في اتجاه الشرق، وسمحت تلك التأجيلات للقوات الإسرائيلية باتخاذ أوضاعها الدفاعية الدقيقة (هل كان هناك شخص واحد يرتب أوضاع القوات للمتحاربين)؟!

كان الهجوم غير موفق بالمرة، كما توقع الفريق الشاذلي، وانتهى بفشل التطوير مع اختلاف رئيس، هو أن القوات المصرية خسرت ٢٥٠ دبابة من قوتها الضاربة الرئيسة في ساعات معدودات من بدء التطوير؛ نظرًا للتجهيز الإسرائيلي الجيد بمساعدة الآخرين، ولم يكن تطوير الهجوم لتخفيف الضغط على سوريا، بل كان خطأً فادحًا للقيادة السياسية المصرية

***

ملحق ٤ (حرب غزة)

(ما زالت أمريكا تمد إسرائيل بالسلاح الأكثر فتكًا!!)

نعم للطائرات لا للبنادق:

في صفحتها الأولى، يوم الجمعة الماضي، نشرت صحيفة الأهرام خبرًا أسفل الخبر الرئيس بعنوان: (الاحتلال يواصل غاراته الوحشية في غزة)، وفي السطر الثاني: (واشنطن تتراجع عن صفقة أسلحة لإسرائيل).

توقفت أمام الخبر وقرأت تفاصيله؛ ليتضح أن واشنطن تراجعت عن صفقة لبيع أكثر من ٢٠٠٠٠ بندقية لإسرائيل خشية وصول هذه الأسلحة إلى المستوطنين، ثم جاءت الفقرة التالية لتراجع واشنطن كالعادة أمام إسرائيل وتشير إلى أن صفقة الأسلحة يمكن أن تتحرك إذا قدمت إسرائيل ضمانات بشأن الخطوات التي ستتخذها للحدّ من هجمات المستوطنين.

منتهى الأكاذيب وخلط الأوراق، وبيانات لا هدف لها سوى الضحك على عقول بعض المخدوعين والمنبهرين بأمريكا والغرب.

أمريكا تفعل ذلك دائمًا مع إسرائيل، فهي تقدم لها الأفعال دائمًا، وتقدم لنا الأقوال فقط، تقدم لإسرائيل السلاح الأحدث والأقوى والأكثر فتكًا، حتى قدمت لها طائرات F35 والدبابات المتقدمة والقنابل الذكية، ووفرت لها نظام القبة الحديدية غير الموجود في المنطقة كلها، وحركت لها حاملات الطائرات والمدمرات البحرية، وشارك قادتها في مجالس الحرب الإسرائيلية، وقامت الإدارة الأمريكية -ولا تزال- بإفشال كل الجهود العربية والعالمية لوقف نزيف الحرب باستخدام حق النقض (الفيتو) في مجلس الأمن، ولا يهمها في ذلك تحدي كل دول العالم بلا استثناء.

تفعل ذلك أمريكا لإسرائيل، وهي تستنزف ثروات العالم العربي، وهي المستفيد الأكبر منه، وهي صاحبة المصلحة الأكبر مع العالم العربي، ثم بعد ذلك تقدم للعرب وعودًا كاذبة وأحاديث إفك وتصريحات مغلوطة.

من المهم أن يتوقف العالم العربي كله الآن أمام تلك المواقف الأمريكية البشعة، ويعيد حساباته مع الإدارة الأمريكية، وتكون هناك خطة مراجعة شاملة للعلاقات العربية الأمريكية

ومستقبلها، وذلك على مستوى الجامعة العربية كبند أساسي من بنود الاجتماعات، وعلى مستوى الحكومات، وعلى مستوى المراكز البحثية والمنظمات الأهلية والصحافة والإعلام؛ لإعادة تقييم المواقف على الانحياز الأمريكي الصارخ والدائم ضد المصالح العربية.

المواقف الأمريكية متكررة ودائمة منذ قيام دولة إسرائيل، فهي التي ساندتها في عدوان ١٩٦٧، ودعمتها بكل قوة في حرب أكتوبر ١٩٧٣، ولا يزال موقفها كما هو كما يحدث في غزة الآن.

لكل ذلك لا بد أن تكون هناك وقفة جادة مع الإدارة الأمريكية، وإعادة تصحيح مسار العلاقات العربية الأمريكية خلال المرحلة المقبلة؛ بما يتماشى مع المواقف الأمريكية الحالية والمستقبلية.

عبد المحسن سلامة

الأهرام في ٢٢/ ١٢/ ٢٠٢٣ ص ٢

***

ملحق ٥

تصريح للرئيس الأمريكي في ٤/ ٨/ ٢٠٢٣، أي قبل ٧ أكتوبر سنة ٢٠٢٣.

أزمة إسرائيل وفرصة القضية الفلسطينية:

قال د/ خالد قنديل:

أزمات كثيرة ومتتالية تواجهها حكومة نتنياهو اليمينية المتطرفة، والتي ذهب كثير من المحللين في ضلوعها وإرادتها في استمرار اشتعال المواجهات مع أبناء الشعب الفلسطيني؛ حيث يجد نتنياهو الفرص المتاحة أمامه بالاعتماد على مغازلة هذا اليمين المتشدد عبر شن هجمات متتالية على الأراضي الفلسطينية واستمرار عمليات التهجير والاستيطان بحجة حماية أمن الإسرائيليين بما ينتج عنه مزيد من العنف وتعقيد للصراع، **وقد أعلن الرئيس الأمريكي بايدن في مقابلة مع شبكة تلفزيون سي إن إن أن حكومة نتنياهو هي الأكثر تطرفًا في إسرائيل منذ جولدا مائير، وأن حل الدولتين هو الطريق الصحيح لوضع حد للصراع الفلسطيني الإسرائيلي، منتقدًا بعض أعضاء الحكومة الإسرائيلية بسبب آرائهم بشأن المستوطنات الإسرائيلية في الضفة الغربية.**

وسط الخلخلة البادية في موازين القوى العالمية والاتجاه نحو عالم متعدد الأقطاب، تلك الفكرة التي دعمتها الحرب الروسية الأوكرانية، صار الكيان المحتل بحاجة إلى إعادة ترتيب المفاهيم لمواجهة تحدي الحفاظ على الاستقرار في الشرق الأوسط، ولا تزال إسرائيل منشغلة بالمعسكر الإيراني وتطورات الأوضاع من حيث انعكاسات العلاقة الإستراتيجية بروسيا، ولا تزال إيران تشكّل تهديدًا وتحديًا إقليميًّا لها في المنطقة، وتبحث في ظل أزماتها المتباينة محاولات لاتخاذ إجراءات عند الضرورة للتصدي لبرنامج طهران النووي، وفي الوقت ذاته لا تحبذ إسرائيل التصعيد نحو حرب إقليمية. فكيف ستصل إلى هذه النتيجة في ظل التأكد من مصلحة أغلب الدول المتفقة مع هذه المسألة، لكن في الوقت نفسه لا يخلو المشهد من تطور في العلاقات السياسية بين طهران والرياض مثلًا، والقائمة مؤخرًا على احترام سيادة الدول وعدم التدخل في شؤونها الداخلية، وتعزيز السلم والأمن الإقليميين والدوليين، الأمر الذي جعل الجانب الإسرائيلي في حالة ارتباك وتخبط حول إعادة النظر في خططه حيال هذه المواجهة مع إيران. يأتي ذلك وغيره في ظل توالي أزمات إسرائيل الداخلية. ومؤخرًا بدا أن إقرار التعديلات القضائية الجديدة التي تحد من بعض سلطات المحكمة العليا سيؤدي إلى استمرار التوترات السياسية

وتوقع عواقب سلبية على الوضعين الاقتصادي والأمني؛ حيث يرى خبراء أن طبيعة المقترحات الحكومية الواسعة النطاق سوف تضعف استقلال القضاء، وقد احتشد مئات الآلاف من المتظاهرين الغاضبين الذين أدى إقرار تعديلات قانون المعقولية إلى بلوغ الأوضاع ذروتها في الشارع وبين المعارضة والحكومة؛ إذ إن جزءًا من الذين احتشدوا في الشوارع رافض للتعديلات القضائية معتبرينها انقلابًا قضائيًّا وتعريض الاستقرار الاقتصادي والاجتماعي لمخاطر كبيرة، في حين أن جزءًا آخر مؤيدًا يعتبرها إصلاحات جوهرية لإعادة تقويم النظام القضائي. لكن هناك مثلًا أكثر من ٨٠٪ من الشركات الناشئة الإسرائيلية استقرت على نقل أعمالها خارج إسرائيل هذا العام، ونجد أن وكالة موديز قد خفّضت نظرتها المستقبلية لإسرائيل من إيجابي إلى مستقر، وعلى جانب آخر أعلن جنود الاحتياط إنهاء التطوع وعدم الحضور للخدمة، كما انتاب القلق مستثمرين أجانب، الأمر الذي أدّى إلى انخفاض الشيكل ١٠٪ مقابل الدولار.

وسط كل هذا تترقب الأطراف في الداخل والخارج الموقف الإسرائيلي المهتز، الذي أولى صوته الرسمي اهتمامًا وانحيازًا للحكومة المتطرفة، مقدمًا التنازلات غير الضرورية للمتشددين؛ مما أدى إلى زيادة التوتر مع المقاومة الفلسطينية، وعدم القدرة على تحقيق قدر من الاستقرار للسلطة الفلسطينية ودعمها تجنبًا لنمو العمليات التي تأتي كردود أفعال غير متوقعة من جانب أشكال المقاومة المختلفة التي تقاوم تطرف المتشددين من الكيان المحتل، والذين باتوا يهددون الحلم الصهيوني الذي يحتاج إلى جذب المزيد من المهاجرين، ولكن هيهات في ظل هروب المستوطنين أنفسهم والمستثمرين، والسؤال هنا: كيف يمكن الاستفادة من الوضع الإسرائيلي الحالي لدعم القضية الفلسطينية وفي ظل التوقعات بنشوب حرب أهلية في إسرائيل؟

***

ملحق ٦

قصيدة الشاعر (علي محمود طه)

أَخِيْ جَاوَزَ الظَّالِمُوْنَ الـمَدَى
فَحَقَّ الـجِهَادُ وَحَقَّ الفِدَا
أَنَتْرُكُهُمْ يَغْصِبُوْنَ العُرُوْبَةَ
مَجْدِ الأُبُوَّةِ وَالسُّؤْددا
وَلَيْسَ بِغَيْرِ صَلِيْلِ السُّيُوْفِ
يجيبون صوتًا لنا أو صدى
فجرّد حسامك من غمده
فليس له بعدُ أنْ يُغمدا
أخي أيها العربي الأبيُّ
أرى اليوم موعدنا لا الغدا
أخي أقبل الشرق في أمة
ترد الضلال وتحيي الهدى
أخي إنَّ في القدس أختًا لنا
أعدَّ لها الذابحون المدى
صبرنا على غدرهم قادرين
وكنا لهم قدرًا مرصـدا
طلعنا عليهم طلوع المنون
فطاروا هباءً وصاروا سدى
أخي قم إلى قبلة المشرقين
لنحي الكنيسة والمسـجدا
يسوع الشهيد على أرضها
يعانق فى جيشه أحمدا

أخي قم إليها نشق الغمار

مآقينا والمنى موعدا

أخي ظمئت للقتال السيوف

فأورد ثناياها الدم المصعدا

أخي إن جرى في ثراها دمي

وأطبقت فوق حصاها اليدا

ونادى الهمام وجن الحسام

وشب الضرام بها موقدا

ففتش عن مهجة حرة

أبت أن يمر عليها العدا

وخذ راية من الغبطة

جلاها الوغى ونماها الندى

وقبّل شهيدا على أرضها

دعا باسمها الله واستشهدا

فلسطين يحمي حماك الشباب

وجل الفدائي والمفتدى

فلسطين نحميك ملء الصدور

فإما الحياة وإما الرَّدى

(علي محمود طه) (١)

***

(١) محمد عبد العزيز منصور (اليهود المغضوب عليهم) ص ٣٠١ ط دار الاعتصام سنة ١٩٨٠م.

ملحق رقم ٧

الكيان المحتل يتمادى.. وأمريكا هل تحترق؟!

كتب د. خالد قنديل:

لعلنا نتساءل: هل تصير مجرد إحصاءات يومية. أيام مئة و٣٠ ألف شهيد، ٦٠ ألف جريح، ونحو مليوني نازح، وما يزيد على ١٠٠ صحفي استشهدوا، وأكثر من ٦٠٠ من الطواقم الطبية وعشرات الآلاف من المدارس والمشافي ودور العبادة والمقارّ المدمرة تدميرًا للأرض، إنها إحصاءات المجزرة الممتدة لأكثر من ثلاثة أشهر على مدينة معزولة في العالم تدعى غزة.

ولا يزال العالم -شعوبًا وبعض حكومات- يندد ويتظاهر في الشوارع والمدن ضد الحرب البربرية الوحشية، ورغم كل ذلك يظل الكيان وتابعه الشيطان الأعظم بأسنان صفراء صارخين بأن الكيان يدافع عن نفسه، كما لا يزال صدى دعوة جنوب أفريقيا ضد انتهاكات الكيان الصهيوني المحتل في غزة، وعلى مدى عقود في فلسطين، تتردد حيث إنها كانت صفعة تاريخية ولطمة على الوجه الأمريكي البارد قبل الكيان، وهي التي أبت منذ نشأتها حتى الساعة أن توقع على الاتفاقية المتمثلة للمحكمة الجنائية الدولية؛ لأن ذلك معناه محاكمتها وجيوشها على جميع المجازر في حق شعوب الأرض وأولهم شعب فلسطين الجريحة؛ إذ لا تزال مصدر السلاح للمحتل، ولا تزال تعارض قرارات وقف إطلاق النار، وهي التي تكبّرت في فيتنام، والتي قصفت هيروشيما وناجازاكي، وهاجمت بنما، وحاصرت كوبا، وأسقطت أكبر قنبلة في تاريخ البشرية على أفغانستان، ودمرت العراق وغيرها مما لا يُحصى من وحشية ومجازر ارتكبتها تلك الولايات.. فهل بعد كل ذلك ينتظر عابر أن تنحاز أمريكا لصوت الضمير وتوقف صناعاتها وشوكاتها في ظهر الشرق؟!

لكن رغم كل ذلك فالمنطق والضمير والإنسانية وحتى السياسة، جميعها تؤكد ألا حال يدوم، وما إن تهتز أرجاء أمريكا فلا وجود للكيان الصهيوني في القدس وكل فلسطين، ولعلها الفرصة لكل من له ثأر إنساني من الحرب الدائرة الآن على الأطفال والعزل، ومن كل شعب ورث الآلام جراء الطغيان الأمريكي ومن الولايات ذات الحكم الفيدرالي بعدما تفردت بقيادة النظام العالمي وبلطجت وتوحشت، تزداد معاناتها اقتصاديًا واجتماعيًا خصوصًا بعد خروج عشرات الآلاف بشوارعها يندددون بضلوعها في الحرب على غزة، وبعد أزمتها الاقتصادية

المستمرة التي تلقي بظلال ثقيلة على مسارات الانتخابات الرئاسية المزمع إجراؤها هذا العام، وقد حذّر البيت الأبيض من آثار تخلّفها عن سداد ديونها، بما يضرُّ بأسواق المال المحلية والعالمية، ويؤثر سلبًا على الشركات والعاملين فيها.

وقد نتوقع قريبًا حالة انفجار إزاء هذا الضغط على أمريكا من جهة المطالبات بالعمل على وقف إطلاق النار، وإتاحة دخول المساعدات إلى غزة، وبين تعنت الكيان المحتلّ الذي يضرب بتوجيهاتها عرض الحائط، وهي الممولة والداعمة له، وقد أكد بايدن أن وجود اليهود بات على المحكّ، بينما قال نتنياهو إن الشخص الوحيد الذي يصلح لرئاسة الحكومة الإسرائيلية حاليًّا هو الشخص الذي يمكنه معارضة الضغوط الأمريكية، ومن جانب تدعو الكيان إلى الإفراج عن أموال السلطة الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني، ومن جانب آخر لا تمنح الفلسطينيين أي مساعدات، بل إنها أقرت ١٤ مليار دولار للاحتلال خلال هذه الحرب، وتضع منظمة التحرير الفلسطينية على لائحة قوائم الإرهاب وفق التصنيف الخاص بالكونجرس الأمريكي، ولا تعترف بدولة فلسطين، فيما ستضحي واشنطن التي بدأت تتلقى انتقادات واسعة دوليًّا وداخليًّا وتعاني العزلة في المحافل الدولية، وبعد أن استطاعت كلٌّ من روسيا والصين والبريكس أن تؤسس لنفسها نظمًا وتكتلات وآليات تخرجها من عباءة وتحكّم الاقتصاد الأمريكي الذي يعاني انهيارًا كبيرًا ماذا لو قررت الحكومات المختلفة وقف ذلك المساعدة والدعم الأمريكي للكيان ومن ثم إثبات ضلوعها في الحرب مباشرة، وأن تكون هناك إجراءات ردع موازية ومتعلقة بالمصالح تستغل فرصة الترنح الأمريكي الواضح.

***

مقال

الخاسرون في حرب غزة

هوامش حرة

يكتبها فاروق جويدة:

دخلت الحرب على غزة شهرها الخامس ولم يستطع العالم أن يحسم قرارًا أو يتخذ موقفًا حادًّا أمام موقف أمريكي متآمر وإصرار إسرائيلي على تنفيذ مخطط مشبوه بدعم عربي. ولكن هناك شواهد كثيرة تؤكد أن الزمام قد يفلت، وأن ما رأيناه كان مجرد مشاهد قصيرة وأن الزلزال الأكبر قادم.

- بدأ الحديث عن المكاسب والخسائر وما خلفته الحرب على غزة، رغم أن الأحداث ما زالت حتى كتابة هذه السطور تتصاعد، وقد تصل إلى أبعاد أكثر إذا فتحنا ملفات الخسائر، فهناك أطراف كثيرة سقطت في ميدان المعركة، كانت أمريكا أول الخاسرين حين دفعت بقواتها ما بين البحر والجو في المنطقة العربية دون مراعاة لمصالحها وبترولها وقواعدها العسكرية وأموال العرب في بنوكها، وكانت الخسارة الأكبر أن الغرور الإسرائيلي أوشك أن يخرجها من اللعبة، وأن إسرائيل أمام خسائرها أمام حماس لم تعد تسمع نصائح الشريك الأمريكي في وقف القتال أو إنقاذ الرهائن، خاصة أن مفاوضات باريس بين إسرائيل وحماس لم تحقق لإسرائيل هدفًا من أهدافها.
- على جانب آخر فقد تورطت أمريكا في حرب مع اليمن، وكما فشلت إسرائيل في حربها على غزة فشلت أمريكا في حربها ضد الحوثيين، ولم تستطع أمريكا أن تقترب من إيران، وكان هناك اتفاق سري بين واشنطن وطهران على هذا السيناريو أن يكون اللعب في نطاق حدود مرسومة، على جانب آخر فإن المؤكد أن الرئيس بايدن شخصيًّا سوف يدفع ثمن مغامرته مع إسرائيل في الانتخابات الأمريكية في نوفمبر المقبل؛ لأن حالة الرفض في الشارع الأمريكي ضد بايدن قد وصلت إلى مداها بحسب موقفه المتآمر مع إسرائيل وأنه شريك في حرب الإبادة ضد الشعب الفلسطيني، وقد يصل الأمر إلى محاكمته مع نتنياهو وقيادات الجيش الإسرائيلي، كانت أمريكا من أوائل الخاسرين في حرب غزة، وسوف تخرج منها كما خرجت من أفغانستان بفضيحة دولية.

- وقد خسرت إسرائيل الحرب، وهي أكبر خسارة لحقت بإسرائيل منذ إعلان قيامها في قلب العالم العربي؛ لأنها أطول حروبها زمنًا؛ ولأنها لم تحقق شيئًا من أهدافها؛ ولأنها أكبر معركة خاضتها المقاومة الفلسطينية ضد الكيان الإسرائيلي، وإذا كانت غزة قد ودّعت الآلاف من أبنائها فإن الخسائر البشرية التي لحقت بإسرائيل تجاوزت كل حروبها السابقة، لقد خسرت إسرائيل هيبة الجيش الذي لا يُقهر، وكانت تتصور أن يدها الغليظة يمكن أن تمتد إلى أي عاصمة عربية، وأن قضية فلسطين أصبحت جزءًا من التاريخ، وأن أوسلو كانت مجرد مهدئات للقضية دخلت سراديب النسيان، وأن الزمن القادم سيكون زمن التطبيع وجني الثمار، وأن الدول العربية قد باعت قضيتها، وبدأت تستعد لكي تعلن وحدتها مع الكيان الصهيوني، وقد يأتي زمن تعلن فيه تل أبيب احتلال عضوية فلسطين في الجامعة العربية. إن الشيء المؤكد أن إسرائيل خسرت كل شيء، فهي لم تستطع القضاء على حماس بعد أربعة أشهر من الحرب، ولم تستطع أن تخرج شعب غزة من وطنه ولم تستطع أن طوق تنفذ برامجها في التطبيع مع دول عربية كانت مهدت كل شيء لاستقبال مواكب التطبيع وقبل هذا فإن تكنولوجيا الحرب لم تحسم المعارك لمصلحتها رغم الدعم الأوروبي.
- سوف تحتاج إسرائيل أن تعيد حسابات كثيرة مع نفسها، ومن سيبقى من شعبها في أرض فلسطين، ومن سيرحل، وسوف تحاول إعادة جسورها مع العالم بعد أن شوهت الدماء صورتها، وسوف تحتاج إلى دعم ينقذ اقتصادها لتعيد بناء جيشها وإطعام شعبها، وبعد ذلك كله سوف تحتاج إلى علاجات نفسية لآلاف الجرحى والمصابين وعائلات كثيرة خسرت أبناءها. إن حرب غزة لم تكن جولة عابرة ولكنها لحظة تاريخية سوف تراجع بعدها كل المواقف، وهي المرة الأولى التي راهنت فيها إسرائيل على الزمن وخسرت الرهان.
- لا شك في أن أطرافًا عربية كثيرة خرجت بخسائر كبيرة من حرب غزة، أولى هذه الخسائر هي حالة الانقسام التي اقتحمت الواقع العربي ما بين المطبعين والرافضين، وللأسف الشديد فإن الشعوب العربية شعرت بالهوان أمام المذابح التي لحقت بأطفال غزة ونسائها وبيوتها وشوارعها، وكان العذاب الأكبر أن غزة بدأت تعاني نقص ضروريات الحياة، طعامًا وماء ودواء وسكنًا. ودخلت الشعوب العربية في حالة عجز كامل أمام الجبروت الصهيوني. كانت صور الآلاف الذين يُدفنون في مقابر جماعية في

الشوارع صورة مخزية وحزينة، وكانت البيوت المنهارة وتحتها آلاف الشهداء تحرك آلام الشعوب العربية، وللأسف الشديد كانت مواكب الشهداء أكبر إدانة لشعوب عجزت أن تمد يدها لشعب عربي تكالبت عليه عصابات الموت والطغيان.

- لقد أعادت حرب غزة للقضية الفلسطينية مكانها في ضمير الملايين في العواصم العربية وإن عجزوا عن المشاركة حتى بالصراخ، كانوا يشاهدون مواكب الرفض تطوف العالم وهم قابعون في بيوتهم لا يستطيعون حراكًا. كانت حرب غزة تجربة للشعوب العربية وما ينتظرها من الجبروت الوحشي الذي اجتاح غزة، وأن هذا الكيان البغيض يمثل تهديدًا لكل شعوب المنطقة، وأن على العرب أن يفيقوا من نوبات التطويع والسلام العاجز. أما غزة وشعبها المقاتل فقد دخلوا التاريخ من أوسع أبوابه، وإنّ كرامة الأوطان في صمود أبنائها، وسوف يذكر التاريخ أن غزة حاربت دفاعًا عن أمتها، وقدمت أغلى الشهداء دفاعًا عن الأرض والكرامة، وسوف يقف العالم أمام ملحمة الصمود في غزة، ويدرك أن للحرية ثمنًا يدفعه الشرفاء، وأن الطغيان لا يبني أوطانًا، ولكنه يحفر قبورًا لتجار الموت في كل زمان.

- لا يستطيع أحد -حتى لو كان مغرضًا- أن يذكر أن المقاومة الفلسطينية قد أعادت القضية الفلسطينية إلى اهتمام الرأي العالمي والمؤسسات الدولية، وحرّكت شباب العالم لكي يخرج في مظاهرات حاشدة يدين الوحشية الإسرائيلية ضد شعب يدافع عن أرضه، ولأول مرة منذ اتفاقية أوسلو يعود الحديث عن دولة فلسطينية كحق مشروع للشعب الفلسطيني، وقبل ذلك كله فإن الخسائر البشرية في الجيش الإسرائيلي كانت حدثًا فريدًا اهتزت به أركان المجتمع الإسرائيلي، وهذا يؤكد أن غزة لم تخسر وحدها هذه الأعداد من الشهداء. إن الشيء المؤكد أن ما حدث لم يكن مغامرة قادتها حماس، ولكنها كانت معركة حقيقية ضد محتل غاصب.

حاشية:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ النساء: ١٠٤.

والمعنى في تفسير (السعدي):

أي لا تضعفوا ولا تكسلوا في ابتغاء عدوكم من الكفار، أي، في جهادهم، والمرابطة على ذلك، فإن وهن القلب مستدع لوهن البدن، وذلك يضعف من مقاومة الأعداء، بل كونوا أقوياء، نشيطين في قتالهم، ثم ذكر ما يقوّي قلوب المؤمنين فذكر شيئين:

الأول: أن ما يصيبكم من الألم، والتعب، والجراح ونحو ذلك، فإنه يُصيب أعداءكم، فليس من المروءة والشهامة الإسلامية أن تكونوا أضعف منهم، وأنتم وهم قد تساويتم فيما يوجب ذلك؛ لأن العادة الجارية أن لا يضعف إلا من توالت عليه الآلام وانتصر عليه الأعداء على الدوام، لا من يُنال مرة ويُنال عليه أخرى.

الأمر الثاني: أنكم ترجون من الله ما لا يرجون، فترجون الفوز بثوابه والنجاة من عقابه. بل خواص المؤمنين، لهم مقاصد عالية، وآمال رفيعة، من نصر دين الله، وإقامة شرعه، واتساع دائرة الإسلام، وهداية الضالين، وقمع أعداء الدين.

فهذه الأمور، توجب للمؤمن المصدّق، حيازة القوة، وتضاعف النشاط، والشجاعة التّامة؛ لأن من يقاتل ويصبّر على نيل عزّه الدنيوي، إن ناله، ليس كمن يقاتل لنيل السعادة الدنيوية والأخروية، والفوز برضوان الله وجنته. فسبحان من فاوت بين العباد، وفرّق بينهم بعلمه وحكمته؛ ولهذا قال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾، كامل العلم، كامل الحكمة)[1].

كتب الأستاذ عبد المحسن سلامة تحت عنوان:

سقطة أمريكا (الثالثة):

لثالث مرة على التوالي -منذ بدء الحرب على غزة- تسقط الإدارة الأمريكية أمام العالم كله، وكذلك أمام الشعب الأمريكي، وأمام كل الأحرار وذوي الضمائر الحية، من كل الأجناس والأعراق والديانات في العالم، باستخدامها حق النقد (الفيتو) ضد مشروع القرار الجزائري لوقف الحرب في غزة يوم الثلاثاء الماضي.

حصل المشروع والقرار على تأييد ١٣ عضوًا من بين أعضاء المجلس الـ ١٥ بينما عارضته أمريكا فقط، في حين امتنعت بريطانيا عن التصويت.

---

(١) عبد الرحمن بن ناصر السّعدي (تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) ص ١٧٨ ط مكتبة الصفا بالأزهر ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

بريطانيا هي الحليف الإستراتيجي للولايات المتحدة، ولا تنفصل عنها أبدًا، بل إن الشائع أن الإنجليز دائمًا يخططون والأمريكان ينفذون، ومع ذلك فهذه هي المرة الثانية التي تمتنع فيها بريطانيا عن التصويت وتترك أمريكا في مواجهة العالم.

امتناع بريطانيا عن التصويت ليس هو الأمثل، لكنه طريقة ذكية تعني موافقة ضمنية على قرار وقف الحرب ما دامت أغلبية أعضاء مجلس الأمن يرى ذلك، وتعني أيضًا رفضًا ضمنيًّا للعدوان الإسرائيلي الغاشم المستمر على قطاع غزة، وليت أمريكا فعلت ذلك أيضًا.

للاسف الشديد لا تزال أمريكا تسبح عكس التيار وحدها، وتقوم بتوفير الحماية والدعم لجرائم الإبادة الإسرائيلية ضد الفلسطينيين، وترفض وقف قتل الأطفال والنساء، بل إنها تقوم بتعطيل إدخال المساعدات إلى غزة بعد أن أوقفت تمويل منظمة الأونروا التي تعمل من أجل مساعدة الفلسطينيين.

المؤكد أن هناك فرقًا في الإدارة الأمريكية التي يتحكم فيها اللوبي الصهيوني وبين أغلبية الشعب الأمريكي الذي يرفض العدوان وسفك الدماء، ولا يمكن أن يقبل بإبادة جماعية لشعب أعزل دون مبرر.

أعتقد أن الضغط الدولي الحالي وما يحدث من محاكمات لإسرائيل في محكمة العدل الدولية، والمطالبات بمحاكمتها في الجنائية الدولية، وتصاعد نغمة الانتقاد لأساليبها النازية سوف ينعكس بالضرورة على الراعي الأمريكي المساند بالحق والباطل للعدوان الإسرائيلي.

للأسف الشديد نحن الآن في عام الانتخابات الأمريكية، وربما يكون هو العام الأسوأ لاتخاذ القرار في البيت الأبيض؛ خوفًا من اللوبي اليهودي المتغلغل في أنفاق السياسة الأمريكية ودهاليزها عقودًا طويلة، لكن هذا لا يمنع من وجود فرصة قوية للصوت العربي والأفريقي والمسلم وأعداد ضخمة من الأصوات العاقلة في الحزبين الديمقراطي والجمهوري للضغط على الإدارة الأمريكية في هذا التوقيت لوقف ممارساتها الخاطئة المساندة للعدوان الإسرائيلي، أو اتخاذ موقف حاسم بمعاقبة بايدن وإدارته في الانتخابات المقبلة، وهذا أغلب الظن.

عبد المحسن سلامة

الحزن الخامس بعد المائة!

يقول بهاء جاهين:

مرّ الأحد الماضي مائة يوم على إضرام محرقة غزة وتراكم الركام، ومعه الأرقام يومًا بعد يوم حتى وصل إلى أكثر من ٣٥٥ ألف بيت مهدم أو نصف مهدم، وتحت أنقاض تلك البيوت التي كانت تضج بالحياة ومرح الطفولة سبعة آلاف مفقود أو يزيد، أكثر من نصفهم أطفال، بينما تكدست جثامين أولئك الذين قصفوا فلم تخفيهم السقوف والجدران المنهارة، فزاحمت الأحياء والجرحى في ساحات المستشفيات العاطلة عن العمل والمدارس والمساجد والطرقات والمقابر التي خرجت أحشائها مسجلة حسب قراءات الأسبوع الماضي لعداد الموت اليومي لأهل غزة ٢٤ ألف شهيد، عشرة آلاف منهم من الأطفال وستون ألف جريح، أفلتوا من مصير الفناء ليواجهوا مصيرًا أشد فتكًا في غيبة الدواء ومسكنات الآلام والماء والطعام والأمن والسلام، يلفهم الحزن بعد موت الأحياء في أحضانهم أو تحت ركام البيت، والدنيا لم تكن هانئة تمامًا ولكنها كانت أكثر أمنًا وأقل حزنًا.

هذا هو الحزن الخامس بعد المائة (الجمعة ١٩ يناير ٢٠٢٤) شعب بأسره تحوّل إلى أرقام، إلى ركام من الأرقام اليومية المفزعة، ٢ مليون غزّي نزحوا من بيوتهم إلى مستشفيات ومدارس ومناطق أبعد في مدن ومحافظات قطاع غزة نجوا بإلحاح من غريزة الحياة وتحذيرات عدو قال إنه حريص على حياتهم لكنه كان ينتظرهم بهدايا الموت في الأماكن التي نصحهم بالنزوح إليها وفي ضميره حلم التخلص منهم نهائيًا بالموت أو بالهجرة القصرية؛ لينضموا إلى خمسة ملايين وسبعمائة ألف لاجئ فلسطيني خرجوا نهائيًا من بيوتهم منذ عام النكبة الأولى ١٩٤٨، أرقام ترسم وجهًا حزينًا، لكنه صامت صمود الأبطال في غزة، في ١٠٠ يوم تهدم ١٤٥ مسجدًا وكنيسة و٢٩٠ مدرسة وجامعًا و٢٥ مستشفى تعرض القصف ومعها ١٢١ سيارة إسعاف أُحرقت بمن فيها و٣٢٦ طبيبًا ومسعفًا وممرضًا قُتلوا، و١٤٨ من منفذي الدفاع المدني انضموا للضحايا الذين كانوا يحاولون إخراجهم من تحت الأنقاض، و١٤٨ آخرين من العاملين في وكالة غوث اللاجئين (الأونروا) ماتوا مع الفلسطينيين تحت هديم مباني، وفي الضفة قُتل في تلك الأيام المائة أكثر من خمسمائة فلسطيني وأُسر سبعة آلاف في مقابل المئتين الذين عادوا من الأسر في صفقة نوفمبر الماضي. حزن يومي يزداد عمقًا مع تراكم الأرقام وارتفاع تل الخراب الذي خلّفه الانهيار التام النهائي لكل معاني الآدمية وحقوقها. حزن ينتشر في الصدر وفي خريطة

الأرض خاصة شرقها الأدنى وبالذات في الجرح الطولي الغائر في صدر الخريطة المسمى قطاع غزة، ويمتد جنوبًا إلى البحر الأحمر، وشمالًا إلى جنوب لبنان، وشرقًا وغربًا إلى العراق وسوريا وشبه الجزيرة، وإلى مصر العروبة، وإلى قلوب البشر والضمائر التي ما زالت نقية على امتداد الأرض، الحزن الخامس بعد المائة الذروة الناتئة الصخرية المدببة، قمة جبل من الحزن يرزح تحته البشر الحقيقيون من عشرات وآلاف السنين.

إنها ليست الإبادة الجماعية الأولى في تاريخنا أيها السادة، لكن التكنولوجيا جعلتها الأشد إيلامًا وحزنًا؛ لأن البشرية كلها تشاهدها على الهواء.. على رأس كل ساعة وعلى امتداد ساعات اليوم الأربع والعشرين. ركام من المشاهد المفزعة تراكم طوال أيام بلغ عددها مائة وخمسة. إنها المأساة المهزلة الخامسة بعد المائة التي ربما تمتد لعشرات أو مئات أخرى من الأيام. المهازل المأساوية الموجعة المفجعة التي تثير الذعر والغضب وتزداد كل يوم حزنًا، ويتراكم حزنها، وينضم إلى الركام العام لوجيعة البشر ومركزها الجرح الفلسطيني.

«موفد أمريكي» إلى إسرائيل لتحريك التهدئة

تسع مجازر إسرائيلية جديدة خلال ٢٤ ساعة

كتب محمد حجاب -القدس المحتلة -رام الله- وكالات الأنباء. أعرب سامح شكري وزير الخارجية عن أسف مصر ورفضها استمرار عجز مجلس الأمن عن المطالبة الصريحة بوقف إطلاق النار في غزة نتيجة تكرار استخدام الفيتو الأمريكي غير المبرر، وذلك خلال لقائه أمس الأول نظيره الأمريكي أنتوني بلينكن، على هامش اجتماع وزراء خارجية مجموعة العشرين بريو دي جانيرو البرازيلية، بالتزامن مع مفاوضات صعبة من أجل التهدئة بوصول موفد أمريكي خاص إلى إسرائيل سعيًا لتحريك التهدئة.

وصرح السفير أحمد أبو زيد، المتحدث باسم الخارجية، بأن اللقاء تناول التطورات الخاصة بالوضع في غزة؛ حيث أعاد وزير الخارجية تأكيد ضرورة الوقف الكامل لإطلاق النار؛ باعتباره الضمانة المثلى لحقن دماء المدنيين وخفض التصعيد المرتبط بالأزمة، والبدء في حوار جاد حول مستقبل التعامل مع القضية الفلسطينية.

وأوضح شكري لنظيره الأمريكي أن مصر تراقب عن كثب تطور العمليات العسكرية الإسرائيلية، وتحذر من المخاطر الجسيمة الناجمة عن **أي هجوم واسع النطاق على رفح الفلسطينية.**

وأكد شكري مجددًا رفض مصر القاطع لأي خطط أو إجراءات تفضي إلى تهجير الفلسطينيين خارج القطاع، باعتبار ذلك سيؤدي إلى تصفية القضية الفلسطينية.

وفي سياق متصل كثّف الاحتلال الإسرائيلي **قصفه على رفح جنوب غزة،** تزامنًا مع مفاوضات صعبة من أجل التهدئة، بوصول موفد أمريكي خاص إلى إسرائيل سعيًا لتحريكها.

وقرر مجلس وزراء الحرب في إسرائيل –أمس- إرسال وفد تفاوضي إلى باريس للمشاركة اليوم في محادثات يحضرها وفود من مصر وقطر وأمريكا؛ بهدف التوصل لاتفاق بشأن الأسرى المحتجزين في غزة، وأعطى المجلس الوفد الصلاحية لإجراء مفاوضات وليس الاستماع فقط كما حدث في الجولة السابقة.

من جانبها أعلنت وزارة الصحة الفلسطينية أن الاحتلال الإسرائيلي ارتكب تسع مجازر ضد العائلات في غزة، راح ضحيتها ٩٧ شهيدًا و١٣٢ إصابة خلال الـ ٢٤ ساعة الماضية.

مرافعتنا التاريخية أمام العدل الدولية

بلا ضجيج قامت مصر بتعرية الاحتلال الإسرائيلي في مذكرتين مكتوبتين تقدمت بهما إلى محكمة العدل الدولية في يوليو وأكتوبر الماضيين، ثم جاءت مرافعتها الشفهية التاريخية صباح أمس الأول الأربعاء أمام المحكمة نفسها؛ لتتناول بشكل مستفيض الآثار القانونية للممارسات الإسرائيلية في الأراضي الفلسطينية المحتلة، ومع الدفوع والأسانيد القانونية التي تؤكد اختصاص المحكمة بمنح الرأي الاستشاري في تلك المسألة، أكدت المرافعة المصرية من الناحية الموضوعية عدم شرعية ممارسات الاحتلال الإسرائيلي الممنهجة ضد حقوق الشعب الفلسطيني المشروع وغير القابلة للتصرف.

في المرافعة التي صارت جزءًا أساسيًا ومفصليًا من تاريخ الصراع العربي الإسرائيلي وتجسيدًا للفارق بين القول والفعل، أو بين الادعاء والواقع، أكدت مصر الأهمية القصوى لرأي المحكمة الاستشاري، في ظل ظرف دقيق وعلى خلفية تاريخ يمتد لنحو ٧٥ سنة من الممارسات الإسرائيلية الرامية إلى تهجير الفلسطينيين من أراضيهم، وتنفيذ سياسات العقاب الجماعي، والاستخدام الممنهج والعشوائي للعنف ضد المدنيين، ومواصلة تعريض أبناء الشعب

الفلسطيني للمعاناة الإنسانية بنهج غير مسبوق الحجم والتأثير، بينما لا يزال العالم يقف صامتًا أمام اتخاذ موقف حازم بحتمية إنهاء الاحتلال الطويل المدى.

وفي هذا السياق شددت مصر على ضرورة التزام المجتمع الدولي وفقًا لمبادئ المسؤولية الجماعية بوقف الانتهاكات الإسرائيلية المنهجة لأحكام القانون الدولي، وعدم الاعتراف ورفض أي آثار تنشأ عن الممارسات الإسرائيلية غير القانونية، سواء في قطاع غزة أو في الضفة الغربية، بما في ذلك القدس الشرقية من استيطان وتهجير وسلب للأراضي وعرقلة الشعب الفلسطيني عن تقرير مصيره وإقامة دولته المستقلة، مؤكدة ضرورة قيام الأطراف الدولية بالضغط على إسرائيل للامتثال لقرارات الشرعية الدولية ذات الصلة، واحترام أحكام القانون الدولي والقانون الدولي الإنساني ومبادئ ميثاق الأمم المتحدة؛ استجابة لقرار الجمعية العامة للأمم المتحدة الصادر في ديسمبر ٢٠٢٢. تعقد أعلى هيئة قضائية دولية جلسات استماع بدءًا من الإثنين الماضي وحتى بعد غد الأحد؛ للنظر في الوضع القانوني للاحتلال وعواقبه ومراجعة وضع الاحتلال والاستيطان والضم والتدابير الإسرائيلية الرامية إلى تغيير التركيبة السكانية وطابع ووضع مدينة القدس. وكان لافتًا أن الولايات المتحدة التي عارضت قرار الجمعية العامة وقت صدوره طالبت قضاة المحكمة الثلاثاء الماضي بأن يأخذ في الاعتبار الاحتياجات الأمنية الإسرائيلية التي زعمت أن مرافعات عديدة تجاهلتها، وهو ما نسفته المرافعة المصرية بتفنيدها كل المبررات الخاصة باستخدام مبدأ الدفاع عن النفس ومزاعم الضرورة الأمنية أو العسكرية لممارسات أو جرائم دولة الاحتلال. وبشكل واضح مستفيض وفاضح أكدت المرافعة التي أعدها الفريق القانوني للخارجية المصرية وألقتها الدكتورة ياسمين موسى، المستشارة القانونية بمكتب وزير الخارجية، أن الاحتلال الإسرائيلي الذي طال أمده خالف قواعد لاهاي الخاصة بقانون وأعراف الحرب والمبادئ التي تحكم مشروعية استخدام القوة، واستندت إلى سوابق أحكام وآراء المحكمة نفسها التي تؤكد انطباق القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان على الأراضي الفلسطينية المحتلة، وعلى رأسها الرأي الاستشاري الصادر سنة ٢٠٠٤ بشأن الجدار العازل في الأراضي الفلسطينية المحتلة. وأوضحت مصر في مرافعتها الشفهية التاريخية أيضًا أنه بات من المستحيل تجاهل مسؤولية الأطراف الدولية عن تغيير الوضع الراهن، مشيرة إلى أن الاعتداءات الإسرائيلية ضد سكان قطاع غزة المحتلّ لا تزال مستمرة، وأن أعداد

الضحايا تجاوزت الـ٢٩ ألفًا من أبناء الشعب الفلسطيني، إضافة إلى نقل وتهجير ما يقرب من ٢,٢ مليون شخص قسرًا، في انتهاك صارخ لأحكام القانون الدولي، وفي ظل عجز مجلس الأمن عن تحقيق الوقف الفوري لإطلاق النار.

كما أشارت إلى أن هذا الوضع الكارثي امتد ليشمل الضفة الغربية، موضحة أن مجتمعات فلسطينية كاملة تم تهجيرها على أثر تصاعد عنف المستوطنين الإسرائيليين ووضع قيود على تنقل المواطنين وتوسع سياسات الحكومة الإسرائيلية في أنشطتها الاستيطانية على نحو يزيد من الفصل بين الأراضي الفلسطينية ويهدد أسس ومقررات الشرعية الدولية بحل الدولتين، بل يقوض من آفاق إرساء السلام الدائم والتعايش بين شعوب المنطقة. أخيرًا وبرغم كل ما سبق من المتوقع أن يحتاج قضاة محكمة العدل الدولية إلى ستة أشهر على الأقل لإبداء رأيهم الاستشاري بشأن الوضع القانوني للاحتلال. غير أن الأهم من هذا الرأي غير الملزم ومن المرافعة المصرية التاريخية وكل مرافعات جلسات الاستماع، هو أن مصر مستمرة في مساعيها الهادفة إلى الوقف الفوري لإطلاق النار، وتدفع بجدية نحو مسار سياسي للتسوية العادلة والشاملة، يفضي إلى إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على حدود ٤ يونيو ١٩٦٧ وعاصمتها القدس الشرقية. ويمكنك أن تضيف إلى ذلك أن كل مؤسسات وجهات الدولة المصرية، بدءًا من مؤسسة الرئاسة وحتى المجالس المحلية في القرى والنجوع، أكدت عشرات المرات رفضها التام الذي لا رجعة فيه لأي تهجير قسري أو طوعي للأشقاء الفلسطينيين، خاصة للأراضي المصرية؛ لما في ذلك من تصفية مؤكدة للقضية الفلسطينية، ولعلك تتذكر تصريحات رئيس الجمهورية، القائد الأعلى لقواتنا المسلحة، التي أكد فيها أن هذا الأمر خط أحمر، وأن لدينا من الوسائل ما يمكّننا من التعامل معه بصورة فورية وفعالة وحاسمة.

***

ليالي إسرائيل المظلمة

كتب الأستاذ أحمد أبو المعاطي مقالًا بهذا العنوان، قال فيه:

يستيقظ إشكول نيفو كل صباح فيمد يده إلى الهاتف قبل أن يفتح عينيه ليدخل إلى مواقع الأخبار، يمر على أسماء القتلى فيما دقات قلبه تتصارع وهو يطالع الأسماء بقراءة سريعة؛ كي يتأكد أنه لا يعرف أحدًا منهم، لكنه يقول في مقال افتتاحي نشرته صحيفة «يدعوت أحرونوت» قبل أيام وترجم صديقنا الدكتور محمد عبود أستاذ اللغة العبرية بآداب عين شمس أجزاء منه، أن الإحصائية الإجمالية التي توصّل إليها بعد مرور ثلاثة أشهر على الحرب في غزة كانت ابن صديقته المقربة وابن تلميذة له وشقيق صديقة لبنته.

هذا هو ما فعلته الليالي في إسرائيل على مدار أكثر من مائة يوم من الحرب، وقد كانت تلك الترجمة البديعة للدكتور عبود سببًا في دفعي للبحث عن النص الكامل بالمقال عبر الموقع الناطق بالإنجليزية طبعًا للصحفي الأشهر في إسرائيل، وقد تركت صدر صفحتها الأولى لأحد أبرز الأدباء الشبان فيها ليدوّن تلك الشهادة الدامية لما فعلته الحرب الأطول في تاريخ الدولة العبرية، وما خلفته من جروح نفسية عميقة لدى أجيال عدة بعد عملية السابع من أكتوبر، التي تشبه إلى حد كبير ما خلّفته صدمة حرب «يوم الغفران» من آثار، دفعت والده الذي كان يعمل طبيبًا نفسيًّا إلى البقاء كمجند في قوات الاحتياط لعدة أشهر بعد الحرب للتعامل -حسبما يقول هو- مع الصدمات النفسية التي عانى منها جنود جيش الدفاع، والتي يطلق عليها خبراء الطب النفسي صدمات ما بعد الهزيمة في ميادين القتال.

هذا الصباح لا يوجد اسم مألوف حسبما يقول نيفو، لكن الأمر يتطلب قراءة متأنية حتى يمكن معرفة ما خسرته إسرائيل في الليلة السابقة، وكم روحًا من أرواح الشباب أزهقت، هؤلاء الذين يبدون دائمًا في الصور التي تلتقط لهم في ساحة الحرب مثل أطفال صغار لكنهم يرتدون ثياب الجنود.

منذ أن بدأت الحرب وإشكول نيفو يركض كل صباح، تمامًا مثل توم هانكس في فيلمه الشهير «فورست جامب»، ويقول إنه سيظل يركض حتى تنتهي الحرب، فلا يوجد في الحقيقة خيار، ولا يمكن لأحد أن يبدأ يومه كل صباح بكل هذا الحزن، فالشوارع فارغة وصور الأسرى معلّقة على الأشجار وعلى واجهات المباني وفي الساحات، فيما لا يزال بعضهم معلقًا داخل الأنفاق وبعضهم الآخر لن يعود أبدًا.

تشبه تلك الأيام المظلمة في إسرائيل -حسبما يقول إشكول نيفو المولود في عام ١٩٧١- ذكريات طفولته الأولى مع حرب يوم الغفران، وكيف كانت البلاد كلها في حالة ما بعد الصدمة، لولا أن نجحت إسرائيل بعد سنوات قليلة في التغلّب على تلك الصدمة بتوقيع اتفاقية سلام مع مصر، ويقول نيفو: تخيل كيف كان يمكن أن تمرّ هذه الأيام التي نعيشها اليوم لو لم يكن هناك سلام مع مصر؟

أطماع إسرائيل تتجاوز حرب غزة

هوامش حرة

يكتبها فاروق جويدة

يبدو أن أطماع إسرائيل تتجاوز حرب غزة وتصفية القضية الفلسطينية، وأننا أمام مواجهة تشارك فيها قوه أجنبية في مقدمتها أمريكا وأوروبا، وقد شجع الدعم الأمريكي إسرائيل أن تتجاوز في أطماعها، ولم تعد القضية الفلسطينية تشغل إسرائيل، ولكنها تجاوزت كثيرًا حدود غزة والضفة وأحلام أبو مازن وصمود حماس.

إن إسرائيل تقف الآن في منطقة أخرى، رغم أنها لم تكسب الحرب ولم تتخلص من حماس ولم تنجح في تحرير المخطوفين منها، ولكن إسرائيل ما زالت قادرة على المواجهة أمام دعم أمريكي في كل المجالات، والشيء المؤكد أن إسرائيل توافرت لها مجموعة من العناصر ساعدتها في الصمود حتى الآن، وفي مقدمتها:

- **أولًا**: أن أمريكا قدّمت لإسرائيل في هذه الحرب كميات مهولة من السلاح، وفتحت ترساناتها من الأسلحة الحديثة التي استخدمت أحدث ما وصلت إليه تكنولوجيا الدمار في العالم، وعلى المستوى الاقتصادي قدّمت أمريكا ١٤ مليار دولار دعمًا للاقتصاد الإسرائيلي، بجانب اشتراك الجيش الأمريكي في الحرب بصورة أو بأخرى.
- **ثانيًا**: أن إسرائيل لا تحارب وحدها، ولكن دول الاتحاد الأوروبي قدمت لإسرائيل كل وسائل الدعم، وصارت وراء أمريكا في الحرب ضد الحوثيين في اليمن، وكانت هذه الحرب من أكثر جوانب المواجهة في حرب غزة، بل إن ألمانيا قدّمت لإسرائيل أحدث ما أنتجت من الدبابات والأسلحة الحديثة.

- **ثالثًا:** لا شك أن المقاومة الفلسطينية نجحت في إرهاق الجيش الإسرائيلي، سواء في العمليات الناجحة خاصة في أعداد القتلى أو الخسائر المادية التي دمرت مناطق في قلب تل أبيب وبقية المدن الإسرائيلية التي تعرضت لصواريخ حماس وسقط فيها آلاف القتلى والمصابين في الجيش الإسرائيلي.
- **رابعًا:** أن قضية الأسرى كانت سببًا في حالة الفوضى التي أصابت الشارع الإسرائيلي، وتجسدت في المظاهرات الخاصة الغاضبة التي اجتاحت ربوع إسرائيل وكانت سببًا في أزمات كثيرة حلّت بحكومة الحرب، وقد تكون أحد الأسباب في محاكمة نتنياهو وخروجه من رئاسة الحكومة.
- **خامسًا:** لا شك أن فشل المفاوضات حول الأسرى وقضية الهدنة وتوفير الاحتياجات الإنسانية لسكان غزة، طعامًا وماء ودواء، قد تكون سببًا في امتداد الحرب، خاصة أن المفاوضات في باريس والدوحة والقاهرة لم تصل إلى شيء.
- **سادسًا:** أن أمريكا التي أجهضت كل القرارات التي تدين إسرائيل وتدعو لنهاية الحرب، كانت سببًا في تشويه صورة أمريكا أمام العالم، وقد تجسّد ذلك في موقف إسرائيل التي لم تعبأ بالقرارات الدولية، سواء في الأمم المتحدة أو مجلس الأمن أو محكمة العدل الدولية.
- **سابعًا:** لا بد أن نعترف بأن موقف بعض أو الدول العربية -شعوبًا وحكومات- لم يكن متعاطفًا مع الحرب في غزة، وإن كان الدعم الغذائي هو الجانب الوحيد الذي قدمته بعض العواصم العربية، ولكن المال العربي غاب، خاصة الأثرياء العرب من أصحاب الملايين، ولم نسمع لهم صوتًا، كما أن أمريكا وقفت بجانب إسرائيل ولم تحسب حسابًا للعالم العربي، وقبل هذا فإن مواكب التطبيع العربية هاجمت حماس ودافعت عن إسرائيل وسارت في الركاب الأمريكي، وكان الموقف العربي من أهم الأسباب التي جعلت إسرائيل تمارس كل ألوان التوحش والهمجية ضد الشعب الفلسطيني، وكان شيئًا غريبًا وشاذًا أن يسجن كل من يدافع عن فلسطين وقضيتها العادلة!!
- لا شك في أن سلبية الموقف العربي مع الدعم الأمريكي الغربي، شجع إسرائيل على أن تتمادى في وحشيتها، وأن تتسع مساحة أطماعها، ولا أحد يعرف الآن ما هي حدود هذه الأطماع، وهل ستكون حربًا أم تطبيعًا أم صمتًا واستسلامًا؟!

- إن حرب غزة لم تنته بعدُ، وقد تكون لها توابع كثيرة، وقد تدخل فيها أطراف أخرى، خاصة أن صمود الشعب الفلسطيني ما زال حتى الآن يقدم ملحمة تاريخية في التضحية، وقد استطاع أن يؤكد للعالم دروسًا في مواجهة الهمجية والوحشية، والشيء المؤكد أن أمريكا خاسرة كثيرًا، حين تحوّلت إلى أداة قتل ودمار، وأن على إسرائيل أن تنتظر أجيالًا جديدة تعيد الأرض وتسترد الكرامة، أما عالمنا العربي الذي صمت على الجريمة فهناك حساب طويل لم يشهده من قبل.
- كانت تجربة غزة في الحرب شيئًا فريدًا في كل شيء؛ في الصمود والمواجهة والموت في سبيل الوطن، وسوف تكون هذه الحرب نموذجًا يدرس في كليات الحرب والمؤسسات العسكرية، وسوف يكتب التاريخ بصفحات من نور أن هزيمة ثقيلة لحقت بجيش همجي، وأن أسطورة الجيش الذي لا يُهزم قد سقطت على يد شعب دافع عن أرضه وسقط منه آلاف الشهداء، في قصة من قصص البطولة والتضحية.
- إن ملحمة غزة سوف تكتب تاريخًا جديدًا، وسوف تكون نتائجها لحظة فارقة، ليس في تاريخنا العالم العربي فقط، ولكن كل الأشياء والمواقف سوف تعيد حساباتها، وهناك واقع جديد ينتظر العالم؛ لأن توازنات القوى لن تكون كما كانت، وهناك خسائر ضخمة سوف تلحق بالقوى التقليدية، وفي مقدمتها أمريكا، ولا أحد يستطيع أن يحدد مستقبل الدولة الصهيونية، خاصة أن حشود الهاربين منها قد ازدادت بصورة تهدد مستقبلها، وكانت هزيمة الجيش الإسرائيلي رغم همجية التعامل من أهم أسباب هجرة الشباب الهارب من الموت، كما أن المقاومة الفلسطينية غيّرت حسابات وموازين القوى، وأن إسرائيل لم تعد العدو الذي لا يقاومه أحد، ورغم التخاذل العربي فإن الفلسطينيين فرضوا قضيتهم على العالم كله، بما في ذلك أمريكا التي عجزت عن أن تفرض قرارًا على إسرائيل وتركتها تعبث في مستقبل شعب، وقد يكون ذلك أول إنذار تتلقاه: بأن هناك مستقبلًا غامضًا في انتظار قادتها أمام العالم العربي، فأخشى أن يدفع ثمن هروبه من الواجهة، وقد يكون الثمن غاليًا.
- بقيت عندي تحية واجبة للجاليات العربية المقيمة في أمريكا وأوروبا، وهم بالملايين، وكانت وقفتهم مع أبطال غزة شيئًا يدعو للفخر والاعتزاز، فقد شاركوا في كل المظاهرات التي احتشدت في العواصم الغربية تدين العدوان الهمجي والموقف الأمريكي المتواطئ، وربما كان ذلك تعويضًا عن الموقف العربي الذي سقط في مواكب التطبيع وفرّط في كل ثوابت الأمة تاريخًا وأمجادًا.

ملحق ٨

القول الحق

إلى أبناء العزة من شهداء غزة

الموت في صبرهم يموت

قصيدة بقلم: الأستاذ جميل عبد الرحمن

الموت في غزة الآن

يلعب دور البطولة

فينال الضحايا وسام الشهادة

حتى وهم في مدار الطفولة

في روض ربهم يُرزقون

ثم يمضون أحياء نحو الجنان

يبهت الغاصبون

ويموت بحسرتهم

قاتلو النبيين

يستدير لكم موتهم

فيموت هنا الموت من صبركم

ويولي عن الأهل دون وجود

حيث يبقى الشهيد

ليطارد من قتلوه

يتجذر في الأرض إخوته

ويعود هنا الشهداء

بحرية إصرارهم يضربون

يتهاسك ركب الشهادة

يصعد في نعشه الذهبي

آه والجلنار.. المعانق خضرة هذي القباب بمسجدنا

(ثالث الحرمين)

يرسل أشذاءه

المنداة من قلب رمانه المطعون

الدماء على كل شيء تبين

ليس موتًا فناء

أيها الجاهلون

إنهم خالدون

إنهم خالدون

***

ملحق ٩

فاتورة الغفلة

هادية المستكاوي

متى يعتمد العرب على أنفسهم ولا يلتفتون غربًا طلبًا للمساعدة والنجاة من الأعداء؟! أعداؤنا هم أصدقاؤهم. متى نفهم؟! أمريكا أيام المذابح الرهيبة ١٩٩٤ في دولة رواندا تجاهلت المأساة وأعلنت أن وسائل المراقبة الجوية الأمريكية لا تسجل وجود مذابح، وكذلك في البلقان والحرب التي راح ضحيتها ٨ آلاف مسلم تجاهلت ما حدث، وحتى في حرب إسرائيل وغزة ودمار ذاع صيته في العالم، إلا أن بايدن أعلن أن إسرائيل لم تتجاوز الخطوط الحمراء!!

العرب عندما يركزون على مصيرهم ومستقبلهم سيخططون بوعي طمعًا في النصر واستقرار الحق في دولهم!! على مدار أكثر من ٨ أشهر والمآسي في حرب غزة تتوالى، وشلالات الدم تغرق أطفالًا أبرياء ونساء وشيوخًا. كانت أعداد الشهداء في الشهر الثالث من الحرب ١٦ ألف شهيد، وملل سخيف من التصريحات الغربية والشرقية تدعو لوقف هذا الدمار، لم يتوقف حتى وصل عدد الشهداء لنحو ٤٠ ألفًا، والمصابون بالآلاف، منهم صغار بلا أذرع أو أرجل على الأرض. الفاتورة مرعبة، ومشاهد القتل موجعة، والألم طال تقريبًا كل عائلات غزة، وتتوالى مشاهد أهالي تقبل أطفالها الشهداء مثل الأم «لانا» التي استشهد طفلها (ستتان ونصف السنة) وهي تقبله وتبكي بحرقة قائلة: لقد أخذت ٥٨٠ حقنة هيبارين لكي يجيء طفلها في أمان، فهي تعاني تجلط الدم، كيف يمكن ابتلاع هذا الألم ببساطة! نرى شابًا غارقًا وسط ركام منزله، وآخرون يشدونه خوفًا عليه من مزيد من الإصابات، ومثله العشرات!

ناهيك عن أن هناك الآلاف لا يزالون تحت الأنقاض، يعانون متاهة الظلم والألم والخوف من المجهول، والناس تتجه بلا بوصلة إلى مكان مجهول، يحملون أهدافًا مجهولة داخل رؤوس حزينة. الحق سينتصر بإذن الله، إلا أن العقل لا بد أن يمهد جيدًا للانتصار.. وهل يعقل أن نمرر قصف خيام الآمنين بنيران المدافع لتحرق أكثر من مائتي إنسان بريء لمجرد إنقاذ أربع رهائن دون ثورة على إسرائيل، قسوة ما بعدها قسوة! إنها توابع ونتائج الغفلة التي سيطرت على العرب منذ وعد بلفور ١٩١٧، ونجاح الرئيس الأمريكي ترومان في إصدار قرار التقسيم عام ١٩٤٧،

ورفض العرب له للأسف، لمجرد أن اليهود لهم ٥٤٪ من الأرض، ولو كانوا قبلوا واستقروا وبدأوا في تنمية أنفسهم، لكنه ظرف أحسن، وما زال الوطن يدفع فاتورة الغفلة.

الأهرام ٢١/ ٦/ ٢٠٢٤

***

ملحق ١٠

من مقال فاروق جويدة:

ماذا بقي للعالم العربي؟

الأهرام ٢١/ ٦/ ٢٠٢٤

لدينا ثقافة وحدت شعوبًا وكانت زادًا حضاريًا وإنسانيًا اعترف به العالم آلاف السنين.. لدينا لغة تواجه الآن تحديات رهيبة في وجودها، ولدينا دين عظيم إن تمسكنا به لن نضل أبدًا، ولدينا أرض تتوسط العالم تستحق أن نموت في سبيلها، ولدينا شعوب ما زالت صامدة رغم كل ما عانته في السابق، ولدينا إرادة أكدنا بها دائمًا أننا خير أمة أُخرجت للناس، وقبل هذا كله لدينا أجيال جديدة من الشباب ربما تكون أكثر إيمانًا بأوطانها وأحلام شعوبها في الحق والكرامة.

إن ما حدث في حرب غزة غيّر حسابات كثيرة، ليس فقط في العالم العربي، ولكن غزة تتصدر الآن كل واجهات العواصم والشاشات والمنابر، نحن الآن أمام عالم ما بعد غزة، وقد يكون نهاية أشياء وكيانات ورموز، وقد يكون بداية ظهور عالم جديد، هناك موت وميلاد، ومن حق العالم العربي أن يكون في مقدمة الأحياء، لقد حاربت غزة بلا طائرات وقنابل عنقودية، وانتصرت بشعبها الذي دفع ثمنًا غاليًا، وأثبت أن الإرادة تسبق القوة، وأن الإيمان هو الحق والعدل، وأن الحياة ليست فيما نملك، ولكن الخلود فيما ترك البشر، لقد حاربت غزة وحدها، وانتصرت بإرادتها وإصرار شعبها، وكان العالم ضدها، حتى بعض الشعوب العربية لم تكن على مستوى الأحداث دعمًا وتأييدًا، ولكننا أمام تاريخ جديد تصنعه سواعد الرجال ودماء الأطفال والأرض الطيبة التي لن تفرط في أصحابها، إن أوروبا التي بدأت في تأييد إقامة الدولة الفلسطينية، وفي مقدمتها النرويج وإسبانيا وأيرلندا، وهذه الدول التي اعترفت بفلسطين، غيّرت مواقف دول كثيرة، وسوف يكون ذلك سببًا في تغيير الموقف الأمريكي، وإن أمريكا لن تدعم إسرائيل في كل شيء، وهذا في حد ذاته تغيير في الحسابات. هناك عقدة نفسية سوف تطارد بعض العواصم العربية بسبب حرب غزة، تعكس حالة التخلي وغياب المشاركة والتقصير أمام واقع إنساني غاية في القسوة.

ويبقى أن في تاريخ هذه الأمة ثوابت كثيرة يمكن الرجوع إليها، لعلها توحّد الصفوف وتجمع الشتات وتفتح أبوابًا لإرادة عربية تدرك مسؤوليتها في حماية أمن شعوبها واستقرار

أوطانها والدفاع عن مستقبلها، وفي التاريخ دروس كثيرة يمكن أن نعود إليها لكي ترشدنا إلى آفاق من الوحدة والتعاون وإنقاذ ما بقي لنا من مصادر القوة والحكمة والبصيرة، وما زالت جامعة الدول العربية قادرة على أن تجمع الصف العربي، ولديها من القرارات والاتفاقيات ما يمكن أن يكون بداية جديدة؛ لأن القضية الفلسطينية أصبحت الآن في ضمير شعوب العالم، وأن حرب غزة كانت إدانة تاريخية لم ينجُ منها أحد، وأن العالم العربي بكل ما فيه من الانقسامات والحروب والفوضى يمكن أن يعود مرة أخرى قوة صامدة، المهم أن نتعلم من دروس الحاضر.

***

ملحق ١١

الأسلحة معركة القيم

د/ محمد حسين أبو العلا

ستظل القيم تمثل المرآة العاكسة لأحوال البشر، يتبدل مكانها ويتغير مع مسارات الزمن، لكن اختلفت الوتيرة صعودًا مع عواصف الأحداث المنفلتة عن السياق الإنساني العام.

إن معركة الأسلحة التي أشعلت المحيط الكوني على الصعيد السياسي والاقتصادي، والاجتماعي، والإستراتيجي، والإنساني، هي شيء حقيقتها معركة انتصار للقيم الرفيعة، معركة انتشال حضارة من غفوتها، حضارة متألقة فرضت نمطًا قيميًّا خالصًا، لكن يُعاد استكشافه وتقييمه وتشخيصه لتحديد درجة اعوجاجه.

ولعل أهم ما صدّرته هذه المعركة؛ باعتبارها ثورة تصحيحية للمفاهيم المغلوطة والأفكار الشوهاء والوعي المتردي، هي قيم البطولة والنضال، والاستبسال والحرية، والإيمان المطلق بالحق، والاعتزاز والشموخ، وكلها قيم إنسانية لم تهزمها تلك الآلة العسكرية الصهيونية التي تتوارى وراءها تلك القوة الغاشمة صاحبة قيم الوحشية والهمجية، والاستيلاء والاستحواذ، والقهر والإذلال، والكراهية والعنصرية، لكن يحكمها الخوف والرعب المستتر تحت سطوة الجبروت السياسي والنووي.

لذا كانت الاستجابة والتعاطف والمؤازرة المعنوية والمادية، والإشادة بالبطولة التاريخية، والتنديد والظلم الدولي، تلك الاستجابة التي مثّلت ثورة عارمة أخرى في وجه الكيان الصهيوني، الذي لم يبلغ وعيه مستوى فهم أعماقها وتأثيراتها وانعكاساتها على مستقبله؛ لأنها استنفرت شعوب العالم وأنظمته، ووجهته نحو حتمية تغيير جوهر وهيكل النظام الدولي الذي يعاني خللًا خطيرًا، نسف قيم المساواة الإنسانية ومعها معاني الإخاء، وأعطاه بقيمة الحرية التي تُرتكب باسمها أبشع الأخطاء والخطايا، أن الحرب الضارية التي يخوضها الكيان قد كشفت له عن دوائر من الفراغ والهشاشة لم يكن يعتقد بوجودها، وكشفت كذلك عن ترنح الأنظمة الغربية بين البدائل الأكثر سوءًا، وتقويض أي توجه إنساني؛ لذا: هل يدخل ضمن الاحتمالات المستحيلة أو المنطقية أن تؤثر موجة الاجتياح القيمي التي فرضتها المقاومة في توجهات العالم

المعاصر، وهل يمكن أن يتبنى العالم مبادئ ميثاق قيمي جديد، وكيف انتصرت الشرعية التاريخية كقيمة على وضعية عدم تكافؤ القوة بين الأطراف، وكيف يتم التعامل مع العدالة كقيمة وليس كشعار أجوف، وأما آن للحضارة المعلوماتية أن تلفظ من قيم بالية عودة بحياة الملايين، وكيف لهذه الحضارة أن يكون منطقها الأوحد هو تأليه القوة وتأليه الآلة وسحق البشر.

وهل كان العالم المعاصر في حاجة ملحّة لحرب ضارية تزحزح مساره القيمي غير الحداثي بأنه لا يمثل على الإطلاق قوة دافعة للنهوض بالوجود الحضاري، وكيف تحولت حرب الأسلحة إلى معركة على الذات الصهيونية قبل أن تكون حربًا على الآخر، كيف يمكن طمس الحقائق التي تكشفت عن هذه الحرب، وحفرت في ذاكرة التاريخ أن تقابل بالتشويه والأكاذيب والمغالطات.

إن المنظمات الدولية كافة ينبغي أن تنبري لإجراء مسح قيمي عالمي، يمثل مؤشرًا مهمًا في مدى تحوّل المسار القيمي لدى الشعوب والأنظمة؛ ليوقن أن تغيير السياسات ضرورة، وحقوق البشر فريضة، وأن القيمة الأخلاقية تعلو على المصالح الزائلة، وأن الأساطير لن تهزم الحقائق، وأن تلك الكيانات المتسلّطة الزاعمة لملكية الحاضر والمستقبل.

ولقد أعربت عن ذلك مؤخرًا تانيا فاجون، وزيرة خارجية سلوفينيا، حين أكدت أن العالم قد سقط في اختبار الإنسانية في الأسلحة، وأن المجاعة قد أصبحت سلاحًا جديدًا للحرب، وبالطبع ماذا تكون دلالات ذلك غير كارثية الحدث وسادية الأنظمة المهادنة، ووحشية التفكير العنصري، وصدارة قانون الإبادة الجماعية، وأولوية وجود الشعوب على الكوكب الأرضي، وفرض تاريخ زائف، وصياغة وعي مكذوب، وبصفة عامة أن كل ما مرّ بالشرق والغرب من حوادث وأحداث وخلافات واحتكاكات ومناوشات واتهامات وإسقاطات ومناظرات وجدليات ومؤامرات وصراعات وحروب لم تكن تمثل في جوهرها غير صراع قيمي حاد تعددت جولاته ولم تهدأ؛ لأن هناك فارقًا هائلًا بين استلهام القيم النفعية كمعايير عابرة وبين القيم الإنسانية الأخلاقية كمعتقد راسخ، لكن قانون الوجود يحتم انتصار الفضيلة دائمًا.

أستاذ الاجتماع السياسي

الأهرام في ٧/ ٦/ ٢٠٢٤

***

ملحق ١٢

الاعتراف الأوروبي بفلسطين

هادية المستكاوي

ما حدث في السابع من أكتوبر كان ثمنه باهظًا، فالضحايا تعدوا المائة ألف مصاب وشهيد وأكثر من ١٢ ألف طفل بريء تم ضربهم بلا رحمة، ولا شك أن أكبر تحدٍّ هو التدخل السافر الأمريكي، الذي أدى إلى الكارثة الإنسانية في غزة، أمريكا وتوابعها تجتمع مع كبار القوم هنا وهناك وتقول ما لا تفعل وتفعل ما لا تقول، وتعلن وتصرح بآراء منمقة، وتمد وتؤيد وتساعد إسرائيل بكميات هائلة من الأسلحة، التي تنم عن تضارب تصريحاتها تمامًا، إن أمريكا تتلاعب بالعالم كله، وإسرائيل تزيد من جبروتها وعدوانيتها متكئة على التأييد الأمريكي الصريح والصارخ، بايدن بعد ثمانية أشهر من الحرب المريرة يقول حان الوقت لإنهاء الحرب وأدعو حماس لقبول الصفقة، صفقة تم إعدادها على الطاولة الأمريكية بشروط ثلاثة لإنهاء الحرب؛ أولها: وقف إطلاق النار وانسحاب إسرائيل من المناطق السكنية في غزة، وثاني شرط في الصفقة: تبادل الأسرى ورفع المساعدات الإنسانية بمعدل ٦٠٠ شاحنة يوميًا، ثم المرحلة الثالثة: إعمار غزة وتحسين ظروف القطاع. وهنا نشير بأصابع الاتهام لأمريكا وتابعيها، فهم خططوا جيدًا لالتهام الاستقرار في الشرق، وتصدير الارتباك السياسي والتأثير السلبي للاقتصاد لمعظم بلاد الشرق الأوسط، والفيتو الأمريكي خير مثال لتأكيد النيات الخفية الحقيقية لأمريكا وتوأم روحها إسرائيل.

وزير الخارجية الأمريكي زار المنطقة أكثر من ست مرات، ولا حياة لمن تنادي، القصف مستمر، وحرق الخيام بذخيرة أمريكية الصنع يحدث بلا رحمة، ولا عزاء للإنسانية، ونجد ميناء أو رصيفًا أمريكيًّا يهوديًّا على شاطئ غزة يتم بناؤه لسهولة المساعدات لأهل غزة، ولم نر أي شيء إيجابي من الجانب الأمريكي، وكان بصيص الأمل في الاعتراف المتزايد لبعض الدول الأوروبية (إسبانيا وأيرلندا والنرويج وسلوفينيا) بفلسطين اعتراف أثلج صدر العرب، لعل وعسى صوت الحق يُسمع في أوروبا كلها المغيبة، التي اعتادت سماع صوت إسرائيل وتنحاز لها دائمًا، هذا الاعتراف للدول الأربع يعضد قيمة التعايش السلمي، وله مكاسب جامعة، ويشير إلى حق الفلسطينيين في أرضهم؛ مما يساعد على عزل إسرائيل واهتزاز أرض الثقة تحت بعض أجسادهم

ووحشية أفكارهم، وهناك ١٤٧ دولة تعترف بفلسطين، قوة لا بأس بها، والشيء المضحك والمذهل أن إدارة بايدن تنفي تجاوز تل أبيب الخطوط الحمراء في رفح.. وعجبي.

الأهرام بتاريخ ٧/ ٦/ ٢٠٢٤

***

المصادر

١. إبراهيم خليل أحمد، إسرائيل فتنة الأجيال.

٢. أبو الحسن الندوي (نحو التربية الإسلامية الحرة).

٣. أحمد أبو المعاطي، مقال بعنوان: حرب الأسلحة ونبوءة هيكل، جريدة الأهرام.

٤. أحمد ديدات، عاصفة الصحراء: المبررات والدوافع، ترجمة محمد مختار.

٥. أسامة الألفي، السلام على الطريقة الصهيونية.

٦. أنور الرفاعي، تاريخ العرب والإسلام.

٧. ثأر الله، الحركات الأصولية المعاصرة في الديانات الثلاث، ترجمة نصيرة مرضي.

٨. البخاري، ومسلم، ومختصر تفسير القرآن.

٩. تفسير المؤمنين.

١٠. جلال العشري، مصطفى محمود شاهد على عصره، دار الهلال.

١١. حمدي حنبلي، الإنسان العقائدي.

١٢. د. حورية توفيق مجاهد، الاستعمار كظاهرة عالمية: حول الاستعمار والإمبريالية والتبعية.

١٣. د/ جمال الشاعر، مقال بعنوان: (لا سكوت بعد اليوم).

١٤. د/ خالد قنديل، مقال بعنوان: (الحرب والهدنة ومستقبل المنطقة).

١٥. د/ جمال الشاعر، كيف استطاعوا؟ الأهرام.

١٦. دكتور أحمد شلبي، اليهودية.

١٧. د/ بهاء الأمير، مقال بعنوان: بروتوكولات حكماء صهيون -الرأي الآخر.

١٨. د/ جمال حمدان، ٦ أكتوبر في الإستراتيجية العالمية.

١٩. د/ جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار والتحرير.

٢٠. د/ جمال حمدان، إستراتيجية الاستعمار الجديد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

٢١. د/ جمال حمدان، العالم الإسلامي المعاصر.

٢٢. د/ جمال عبد الهادي، أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ: الطريق إلى بيت المقدس «القضية الفلسطينية».

٢٣. د/ رفعت سيد أحمد، مقال بعنوان: أفول إمبراطورية.

٢٤. د/ صفر بن عبد الرحمن الحوالي، القدس بين الوعد والحق والوعد المفترى.

٢٥. د/ عبد الوهاب المسيري، من هم اليهود؟ وما هي اليهودية؟

٢٦. الدكتور عمرو الشوبكي، تفكيك أمريكا.

٢٧. د/ فوزي الأسمر، أمريكا وسراب الحلم العربي.

٢٨. د/ محمد أبو الإسعاد، أمريكا: جذور الغزو والعولمة.

٢٩. د/ محمد حسين هيكل، مذكرات في السياسة المصرية.

٣٠. د/ محمد معروف الدواليبي: أمريكا وإسرائيل: دراسة لدور الفكر الديني في الدعم الأمريكي لإسرائيل.

٣١. د/ يوسف الحسن، مقال بعنوان: الأصولية المسيحية في أمريكا وقضية فلسطين.

٣٢. رضا هلال، المسيح اليهودي ونهاية العالم: المسيحية السياسية والأصولية في أمريكا.

٣٣. رمزي محمود، أوباما واللوبي الصهيوني.

٣٤. روجيه جارودي، الإرهاب الغربي، ترجمة: دكتورة داليا الطوخي ودكتورة ناهد عبد الحميد ودكتور سامي مندور.

٣٥. روجيه جارودي، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية.

٣٦. روجيه دوباسكويه، إظهار الإسلام.

٣٧. ريجينا الشريف، الصهيونية غير اليهودية، ترجمة: أحمد عبد العزيز.

٣٨. الشيخ أسعد التميمي (إمام المسجد الأقصى ومديره سابقًا)، زوال إسرائيل حتمية قرآنية.

٣٩. صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات: إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب.

٤٠. ضياء الحاجري، إسرائيل من الداخل.

٤١. عارف باشا العارف، الموجز في تاريخ القدس.

٤٢. عباس محمود العقاد، الصهيونية العالمية.

٤٣. عبد المحسن سلامة، مقال بعنوان: العماليق والمأزوم، جريدة الأهرام.

٤٤. -عمرو موسى، كتابيه: سنوات الجامعة العربية.

٤٥. فاروق جويدة، مقال بعنوان: المؤامرة الكبرى، جريدة الأهرام.

٤٦. فاروق جويدة، مقال بعنوان: طوفان الأقصى تكتب تاريخًا جديدًا.

٤٧. فاروق جويدة، مقال بعنوان: ملحمة الأسلحة وماذا بعد الحرب.

٤٨. الفريق سعد الدين الشاذلي، الحرب الصليبية الثامنة: العدوان على العراق.

٤٩. فيرناند بروديل، تاريخ وقواعد الحضارات، ترجمة: دكتور حسين شريف.

٥٠. كارين أرمسترونج (مسيرة الإسلام)، ترجمة: هشام الحناوي.

٥١. كارين أرمسترونج، مدينة واحدة، عقائد ثلاث.

٥٢. لواء أ. ح دكتور إبراهيم شكيب، حرب فلسطين ١٩٤٨: رؤية مصرية.

٥٣. مايكل كوربت وجوليا كوربت، الدين والسياسة في الولايات المتحدة.

٥٤. محمد السعيد الأودن، بنو إسرائيل في الكتاب والسنة.

٥٥. محمد الغزالي، قذائف الحق.

٥٦. محمد حسنين هيكل، العروش والجيوش.

٥٧. محمد سيد أحمد، سلام أم سراب؟

٥٨. محمد ضياء الدين الريس، الشرق الأوسط في التاريخ الحديث.

٥٩. محمد عبد العزيز منصور، اليهود المغضوب عليهم.

٦٠. محمد عبد العزيز منصور، يا مسلمون.. اليهود قادمون.

٦١. مريم جميلة، الإمبريالية الغربية تتوعد المسلمين، ترجمة: طارق السيد خاطر.

٦٢. المسألة اليهودية: القبلة، الشريعة، المكان، إيلاف هاليفي.

٦٣. مقال بعنوان: بايدن شريك الدم.

٦٤. ملامح من تاريخ القدس عبر العصور، إعداد الباحثين بلجنة التاريخ والحضارة بهيئة كبار العلماء.

٦٥. ملف إسرائيل: دراسة الصهيونية السياسية، ترجمة: د/ مصطفى كامل فودة.

٦٦. المؤرخ الفلسطيني عبد القادر ياسين، مأساة الهنود الحمر لن تتكرر في أرضنا.

٦٧. نزار بشير، حضارة الدم وحصادها.

***

الفهرس

المقدمة ٣
حاشية تحذير ضروري ٧
الهدف الرئيس من الكتاب ٧
طوفان النصر والصمود ٨
مدخل الدراسة ١٣
أسباب الحرب وصداها ١٣
حاشية: يقظة المثقفين.. .... ١٤
رؤية عمرو موسى الشاملة للقضية ١٥
الباب الأول: معالم منهج الدراسة ١٩
(١) بيان موقف القرآن الكريم من اليهود ٢١
(٢) صفاتهم في كتبهم وعلى ألسنة رسلهم ٢٧
شهادة اليهود على أنفسهم بالإفساد ٢٨
ما الموقف الآن أمام أطماع إسرائيل؟ ٣٥
الباب الثاني: دورُ كلٍّ من عصبة الأمم وهيئة الأمم المتحدة في تأسيس إسرائيل ٣٧
ما هي القضية الأصلية؟ ٣٨
حاشية عن سلوك (ترومان) ٤٠
حاشية المسلمون وحدهم يملكون حائط المبكى ٤٠
حاشية دور الرسول صلى الله عليه وسلم في إقامة حضارة لم يسبق لها مثيل ٤٧
دور كل من عصبة الأمم وهيئة الأمم في تأسيس إسرائيل ٤٨
نبذة عن نشأة عصبة الأمم وجذورها اليهودية ٤٩
الباب الثالث: الفصل الأول: امتداد الحروب الصليبية حتى عصرنا الحديث ٥٥

نبذه تاريخية عن بيت المقدس ٥٥
الصهيونية كامتداد للحروب الصليبية في العصر الحديث ٥٨
التعريف بالرئيس ترومان (١٨٨٤-١٩٧٢) ٦٣
الفصل الثاني: الاستعمار الاستيطاني ٦٧
إسرائيل كاستعمار استيطاني دراسة تحليلية ٦٧
إسرائيل أقذر نموذج للإمبريالية الغربية ٦٩
الفصل الثالث: الموقف الديني الأوروبي من إسرائيل ٧٣
دور الكنيسة الإنجليزية في خدمة اليهود وقيام إسرائيل ٧٣
الكنيسة واليهودية.. من العداء إلى الانفتاح ٧٤
إسرائيل دولة يهودية ٧٦
الباب الرابع: دور الإرهاب في قيام إسرائيل ٨١
الفصل الأول: الحركة الصهيونية ٨٣
سطور من كتاب الثورة، تأليف مناحم بيجن ٨٣
الإرهاب الإسرائيلي منذ بدأ واستمراره حتى الآن ٨٦
الإرهاب خارج فلسطين ٨٨
شعار الإرهابي الأكبر أنا أقتل إذًا أنا موجود ٩٠
ويا لها من مهانة حقة!! ٩٢
حاشية السلام مع إسرائيل من منظور أمريكا ٩٤
الباب الخامس: تفسير العلاقة الحميمة بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية ٩٧
الفصل الأول: ظاهرة الطابع الدموي بين الدولتين ٩٩
تفسير العلاقة الوطيدة بين أمريكا وإسرائيل دراسة مقارنة ٩٩
ظاهرة الطابع الدموي لكلا الدولتين ١٠٥
حاشية الإمبريالية الأمريكية ١١٧
جذور الإمبريالية الأمريكية ١١٨
حركات الإحياء الديني والأصولية المسيحية في أمريكا ١٢٢

الأصولية المسيحية في أمريكا ١٢٥
نفوذ اللوبي الصهيوني بالولايات المتحدة الأمريكية ١٢٧
تشكيل الرأي العام ١٢٩
الباب السادس: دور يهود مصر الفعّال في تأسيس إسرائيل ١٣٢
الفصل الأول: أسرة محمد علي الحاكمة في مصر وصلتها باليهود ١٣٤
نفوذ اليهود في عهد أسرة محمد علي ١٣٤
الفصل الثالث: المساهمة الكبرى ليهود مصر في إقامة إسرائيل ١٤٢
نشاط وايزمان في مصر وآثاره لصالح إسرائيل ١٤٤
أحوال اليهود عقب عام ١٩٥٢ .... ١٤٥
حاشية الدروس المستفادة من حكم محمد علي لمصر (تصحيح تاريخي ضروري ووضع للأمور في نصابها) ١٤٩
الباب السابع: دراسة الدكتور حامد ربيع لحروب مصر وإسرائيل ١٥٤
تمهيد ١٥٥
دراسة الدكتور حامد ربيع لحروب مصر وإسرائيل من منظور الصراع العربي الإسرائيلي ١٥٦
حاشية قرار مجلس الأمن بمطالبة إسرائيل بالرجوع عن كل إجراءاتها (نظام مدينة القدس ٤ يوليو ١٩٦٩) ١٦١
مجلس الأمن ١٦١
حاشية ٢ حريق المسجد الأقصى ١٦٣
الفصل الأول: الأوضاع السياسية في مصر قبل حرب سنة ١٩٤٨ .... ١٦٦
شعب مصر والقضية الفلسطينية ١٦٦
مناصرة الشعب المصري للشعب الفلسطيني ١٦٨
حاشية التعريف باللواء صالح حرب، وهو صاحب الموقف الحماسي بشأن فلسطين ورفع المصحف الشريف والسيف! ١٦٩
الفصل الثاني: الموقف السياسي والعسكري للعرب قبل حرب سنة ١٩٤٨ .... ١٧٢

ما قبل حرب فلسطين عام ١٩٤٨ .... ١٧٧
حاشية: وثيقة خاصة بموقف أمريكا وموقف ملك الأردن عبد الله ١٨٠
وثيقة عن الرؤى الإستراتيجية «ديفيد بن جوريون» ١٨١
تعليل الدكتور محمد حسين لأسباب هزائم الجيوش العربية في عام ١٩٤٨ .... ١٨٣
الفصل الرابع: الهزيمة الكارثة عام ٦٧ (أو النكبة العظيمة) ١٨٨
فقرات مختارة من وثائق أمريكية عن أسرار هزيمة ١٩٦٧ .... ١٩٢
حاشية تدعيم الولايات المتحدة الدائم لإسرائيل ١٩٤
الاغتراب بسبب وقوع هزيمة ١٩٦٧ .... ١٩٦
هزيمة ٦٧ وفقدان الأحلام ١٩٩
آثار هزيمة ٦٧ على الاقتصاد ٢٠١
الفصل الخامس: التقويم السياسي لحرب أكتوبر ١٩٧٣ .... ٢٠٤
الوجه الآخر لحرب ٧٣ في رأي دكتور حامد ربيع ٢٠٥
حاشية الآثار النفسية للحروب ومنها حرب عام ١٩٦٧ مع إسرائيل ٢٠٦
معارضة اتفاقية كامب ديفيد [بيان نقابة المحامين نموذجًا] ٢٠٧
حاشية: بريد الشعب المعبّر عن معارضة «كامب ديفيد» ٢٠٩
الباب الثامن: قطوف من تفاسير القرآن الكريم عن علو بني إسرائيل مرّتين ٢١٢
الفصل الأول: آيات سورة الإسراء وإفساد بني إسرائيل في الأرض ٢١٤
مختصر كتاب (زوال إسرائيل حتمية قرآنية) ٢١٥
الإفساد الثاني ٢١٦
عوامل النصر التي تملكها الأمة ٢٢٠
Toc174476664_مختصر تفسير «في نور القرآن الكريم» ٢٢٣
بعض كتب التفسير ٢٢٤
تفسير الأستاذ مجدي أحمد حسين ٢٢٥
من تفسير (المنار) ٢٢٩
وحدة المسلمين وعزة ماضيهم وذلة حاضرهم وما يجب عليهم (التفسير ج ١) ٢٣٠

تفسير المؤمنين ٢٣١
الفصل الثاني: توقعات بعض الدراسات المعنية بالقضية الفلسطينية ومصير إسرائيل . ٢٣٢
حاشية تحت عنوان (برقيا) كتبت مجلة المختار الإسلامي في ٦/ ١٠/ ١٩٩٨، تقول (توقع الشيخ أحمد ياسين مؤسس حركة حماس الفلسطينية أن يكون زوال إسرائيل في الربع الأول من القرن القادم، ودعا الشيخ ياسين إلى مواصلة الكفاح المسلح ضد إسرائيل لتحرير كامل التراب الفلسطيني) ص ١٣. .... ٢٣٣
١- الدكتور حامد ربيع ٢٣٣
٢- الأستاذ عباس محمود العقاد ٢٣٣
٣ - الدكتور جمال حمدان ٢٣٥
ما هو مصيرإسرائيل؟ ٢٣٧
٤- دكتور فوزي الأسمر (وهو فلسطيني المولد) ٢٣٨
٥- الدكتور مصطفى محمود ٢٤٢
٦- الدكتور عبد الوهاب المسيري ٢٤٩
هل تستمر إسرائيل على خطى الصليبيين؟ ٢٥٢
«أسلاف الإسرائيليين» ٢٥٣
حذو النعل بالنعل ٢٥٤
الحاشية الأخيرة ٢٥٤
الملاحق ٢٥٨
ملحق رقم ١ بيان مجمع البحوث الإسلامية ٢٦١
ملحق رقم ٢ دليلي إلى محطات الصراع العربي الإسرائيلي ٢٦٤
ملحق ٣ .... ٢٧٤
ملحق ٤ (حرب غزة) (ما زالت أمريكا تمد إسرائيل بالسلاح الأكثر فتكًا!!) ٢٧٨
ملحق ٥ .... ٢٨٠
ملحق ٦ قصيدة الشاعر (علي محمود طه) ٢٨٢
ملحق رقم ٧ .... ٢٨٣

الكيان المحتل يتمادى.. وأمريكا هل تحترق؟! ٢٨٤
الخاسرون في حرب غزة ٢٨٦
هوامش حرة ٢٨٦
سقطة أمريكا (الثالثة) ٢٨٩
الحزن الخامس بعد المائة! ٢٩١
«موفد أمريكي» إلى إسرائيل لتحريك التهدئة ٢٩٢
تسع مجازر إسرائيلية جديدة خلال ٢٤ ساعة ٢٩٢
مرافعتنا التاريخية أمام العدل الدولية ٢٩٣
ليالي إسرائيل المظلمة ٢٩٦
أطماع إسرائيل تتجاوز حرب غزة ٢٩٧
هوامش حرة ٢٩٧
ملحق ٨ القول الحق ٣٠٠
إلى أبناء العزة من شهداء غزة ٣٠٠
الموت في صبرهم يموت ٣٠٠
ملحق ٩ فاتورة الغفلة ٣٠٢
ملحق ١٠ .... ٣٠٣
ملحق ١١ الأسلحة معركة القيم ٣٠٦
ملحق ١٢ .... ٣٠٧
الاعتراف الأوروبي بفلسطين ٣٠٨
المصادر ٣١٠

***

إسرائيل

بين
التاريخ .. الحاضر .. المصير

دراسة تاريخية تحليلية



الأستاذ الدكتور مصطفى حلمي

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

محمد رجب